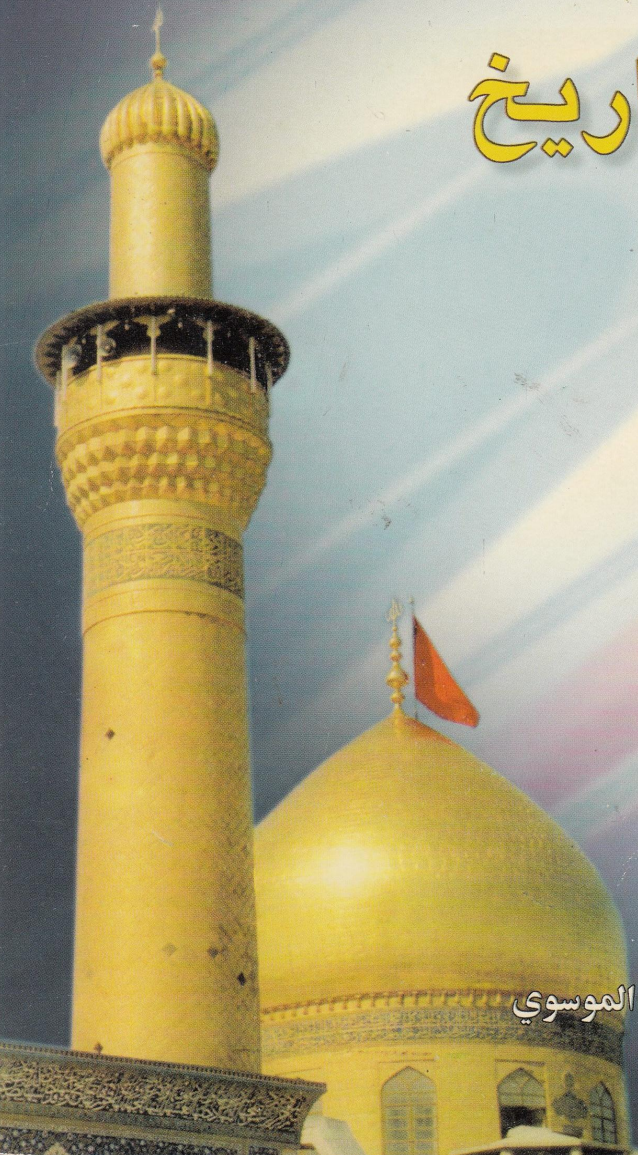
مرقد الامام الحسين (ع)

عبر التاريخ



لسيد تحسين آل شبيب الموسوي

مرقد
الامام الحسين (ع)
عبر التاريخ

تأليف
السيد تحسين آل شبيب الموسوي





مؤسسة الفقه للطباعة والنشر

ص.ب. ٣٦٦٣ ـ ٣٧١٨٥ ـ الهاتف: ٧٣٤٨٧٣ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+

شماره شابک: ٣ ـ ٣٥ ـ ٦٩٠٩ ـ ٩٦٤

اسم الكتاب:	مرقد الامام الحسين(ع) عبر التاريخ
المؤلف:	سيد تحسين آل شيب الموسوي
الناشر:	دار الفقه للطباعة والنشر
الطبعة:	الأُولىٰ ـ ١٤٢١ هـ.ق
المطبعة:	شريعت ـ قم
عدد الطبع:	١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الفقه للطباعة والنشر

الإهداء

سيدي أبا الشهداء:

«يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين».

الموسوي

مقدمة المؤلف

كُتِبَ لأرض كربلاء ان تشهد اجلّ حدث في تاريخ الامة الاسلامية ، وحيث كانت فيها اعنف وقعة عرفها التاريخ بين قوىٰ الخير وقوىٰ الشر .

لقد امتدت أيادي الشر لتحتز وريد سبط رسول الله ﷺ مع أهل بيته واصحابه ، حتىٰ تركوهم مجزرين كالاضاحي علىٰ رمضاء كربلاء ، غير مستأثمين ولا مستعظمين جريمتهم النكراء هذه ، حتىٰ ليبدو للمرء أن لهم حساباً قديماً أرادو تصفيته مع رسول الله ﷺ ، ففعلوا تلك الافاعيل المنكرة بذريته واهل بيته .

وإلا فهل كان القوم لا يعرفون الحسين ؟ وابن من هو ؟ وهم قريبو العهد برسول الله ﷺ !

لكنهم لم يكن يروق لهم ان يروا ثبات وانتصار هذا الدين الجديد الذي يدعو الىٰ القيم السامية وإزالة الفوارق بين المجتمع ، والقضاء علىٰ مساوىء الجاهلية ، كذلك لا يروق لهم ان يروا أهل بيت الرسالة وقد اخذت النفوس تهفو نحوهم ، بما امتازوا به من عقيدة ثابتة وايمان راسخ واخلاق عظيمة .

لقد وَضِع مخطط كامل ومدروس منذ اللحظة الاولىٰ التي فارق رسول الله ﷺ فيها الدنيا ، والا فبماذا نفسر اقصاء امير المؤمنين عليه السلام عن خلافته التي امر الله تعالىٰ بها رسوله ﷺ .

وكيف نفسر الفتنة التي اشعلها معاوية بعد تسلم الامام عليه السلام لزمام الخلافة وانحياز رموز الشر الىٰ معاوية تطالبه بشق العصا واعلان الحرب ، ثم التآمر علىٰ

قتل أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو جزء من هذا المخطط ، الذي يستمر في تصفية الذرية الذين اذهب الله عنهم الرجس ، فيصل بعدها الىٰ الامام الحسن ليقتله بالسم كما هو معروف ، ثم أخذ الامر منحىٰ اكثر شمولية وقسوة حيث تمت تصفية العترة الطاهرة بالحملة في كربلاء .

لقد كانوا يفتخرون بقتل سيد شباب اهل الجنة واهل بيته ، فعندما سئل الحجاج سنان بن انس ، كيف قتلت الحسين ؟ قال : دسرته بالرمح دسراً ، وهبرته بالسيف هبراً !!

ولم تقتصر جرائم القوم بحق آل البيت عليهم السلام حتىٰ تعدت الىٰ اصحابهم المتمسكين بولائهم الذين كانوا يرونهم أكثر جدارة من غيرهم في قيادة الامة ، حتىٰ كان حجربن عدي ضحية ايمانه الراسخ ، وتمسكه بولاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتله معاوية مع اصحابه الذين استهجن عمله الشنيع هذا عامة المسلمين ، فروي ان عائشة قالت لمعاوية ، ودخل عليها بالمدينة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «يُقتل بعذاره سبعة نفر يغضب الله واهل السماء من قتلهم»[١] .

وعبدالله بن عمر ايضاً من الذين نقموا علىٰ معاوية عند قتله لحجر ، ففي رواية البلاذري قال : قال ابن عون : انبأنا نافع ، قال : بلغ ابن عمر قتله (اي حجر) وانه لمحتبٍ في السوق ، فأطلق حبوته ومضىٰ ، فسمعت نحيبه[٢] .

بعد هذا هل وفق طابور الشر من تحقيق مآربه الخبيثة بأجتثاث العترة الطاهرة ، وتعطيل دورها الرسالي الذي هو امتداد لرسالة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

الجواب معروف ، لقد تساقط اصحاب الشر الواحد تلو الآخر وقد خذلتهم فراستهم ، وخاب ظنهم فأكل الدهر علىٰ اخبارهم وشرب حتىٰ اصبحوا نسياً

(١ ـ ٢) انساب الاشراف ٥ : ٢٧٤ .

منسياً .

ولنعد الىٰ كربلاء البطولة والدم فنقول : عرفت كربلاء التاريخ فدخلته من اوسع ابوابه ، وعرفها التاريخ فخلدها كأعظم ملحمة بطولية بين قوىٰ الخير والشر ، فإذا حقق اهل الشر نصراً مزعوماً تلاشىٰ بعد فترة قصيرة ، فأن الدماء الزكية التي سالت علىٰ ارض كربلاء اخذت تجني ثمارها شيئاً فشيئاً فمن اجلها طارت رؤوس ، واٌهتزت عروش ، وما انقضاء دولة بني امية الا ثمرة من ثمرات كربلاء .

وهكذا ظل الحسين عليه السلام المنار الذي يهتدي به اصحاب الفضيلة ومحبو العدل والحرية ، وكابوساً جاثماً علىٰ صدور الطغاة والمجرمين يقضُّ مضاجعهم ، وينغصُّ عيشهم ، فتارة يهرعون الىٰ قبره بالهدم والتخريب ، واخرىٰ يضيقون علىٰ زائري القبر الشريف بالخوف والتنكيل ، لكن هذه الاعمال كلها ذهبت أدراج الرياح ولم يجنوا غير الخيبة والفشل والخذلان .

* * *

الفصل الأول

كربلاء في التاريخ واللغة

وردت عدة تسميات للبقعة المباركة التي شهدت فصول مأساة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، مثلما ورد لفظ (كربلاء) بأخبار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل ولده الحسين في هذه البقعة ، أما التسميات الاخرىٰ لهذه الارض فمنها : الطف ، شاطىء الفرات ، نينوىٰ ، النواويس ، ارض العراق ، ارض بابل ، وغيرها .

وسنتطرق لهذه التسميات بنوع من التفصيل .

١ ـ كربلاء :

اسم قديم في التاريخ يرجع الىٰ عهد البابليين ، وقد استطاع المؤرخون والباحثون التوصل الىٰ معرفة لفظة «كربلاء» من نعت الكلمة وتحليلها اللغوي ، فقيل إنها منحوتة من كلمة (كور بابل) العربية[١] .

وهي تعني مجموعة قرىٰ بابلية ، فالأطلال الكائنة في شمال غربي كربلاء الحالية استخرج منها بعض الجرار الخزفية ، وكان البابليون يدفنون موتاهم فيها .

لذلك يرىٰ الباحثون ان كربلاء : هي أُمُّ لقرىٰ عديدة تقع بين بادية الشام وشاطىء الفرات ، ويحدثنا التاريخ أنها كانت من أمهات مدن مابين النهرين الواقعة

---

(١) تراث كربلاء : ١٩ .

علىٰ ضفاف نهر (بالاكوباس) ـ الفرات القديم ـ وعلىٰ أرضها كان معبد للعبادة والصلاة، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر علىٰ جثث الموتىٰ داخل أواني خزفية يعود تاريخها الىٰ ماقبل العهد المسيحي.

أما الاقوام الذين سكنوها فكانوا يعولون علىٰ الزراعة لخصوبة تربتها، وقد أخذت كربلاء تزدهر شيئاً فشيئاً لا سيما علىٰ عهد الكلدانيين والتنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة لهم[١].

ويرىٰ فريق آخر من المؤرخين: ان لفظة كربلاء، مركبة من كلمتين آشوريتين هما: (كرب) و (ابلا) ومعناهما (حرم الله)، وذهب آخرون الىٰ ان الكلمة فارسية المصدر، فهم يرون انها مركبة من كلمتين هما: (كار) و (بالا)[٢] ومعناهما العمل الأعلىٰ اي العمل السماوي، او بعبارة اخرىٰ محل للعبادة والصلاة.

وأما صاحب دبستان المذاهب فيرىٰ: ان كربلاء كانت في الزمن السالف تحوي بيوت نيران ومعابد المجوس ويطلق عليها بلغتهم «مه يار سور علم» اي المكان المقدس[٣].

لكن اصحاب اللغة ومنهم ياقوت الحموي يرون رد كربلاء الىٰ أصول عربية وذلك من نحت الكلمة وتحليلها اللغوي.

فكربلاء: بالمد، الكربلة: وهي رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مُكْرِبلاً، فيجوز علىٰ هذا ان تكون أرض هذا الموضع «رخوة» فسمّيت بذلك.

ويقال: كرْبَلْتُ الحنطة إذ هديتُها ونقيتها، وينشد في صفة الحنطة:

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩: ٣٥٧.

(٢) الاغاني ١٢: ٦٣.

(٣) دائر المعارف الشيعية ٩: ٣٥٧.

يَحملنْ صحراء رسوباً للثقلِ قد غُرْبِلَتْ وكُرْبلت من الفَصَلِ

فيجوز علىٰ هذا ان تكون هذه الارض منقاة من الحصىٰ والدَّغل فسمّيت بذلك.

والكَرْبَل: اسم نبت الحُمّاض، وقال ابو وَجْزَةَ يصف عُهُون الهْودج:

وثامرُ كربل وعميم دِفْلي عليها والندىٰ سبط يمورُ

فيجوز ان يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته هناك فسمّي به[١].

وذهب ابن منظور مذهب ياقوت الحموي في التحليل اللغوي للفظة كربلاء الا انه زاد فيها بقوله:

والكَرْبَلْ: نبت له نور أحمر مشرق، حكاه ابو حنيفة: وانشد

كأنَّ جنىٰ الدِّفلى يُغشّي خُدرها ونُوّارُ ضاحٍ من خُزامى وكَرْبَل

فيجوز ان يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته في هذا الموضع، فسمّي به.

وقال ايضاً: وكربلاء اسم موضع وبها قبر الحسين بن علي عليه السلام، قال كثير:

فسبطٌ سبطُ ايمانٍ وبرٍ وسَبطٌ غيبتهُ كَرْبَلاء[٢]

وقال صفي الدين البغدادي: هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام في طريق البرية عند الكوفة، علىٰ جانب الفرات[٣]، وعلىٰ هذا الاساس اطلق عليها اسم (النوائح) وربما اشتقت من كلمة النياح لكثرة البكاء والعويل منذ نزول الحسين عليه السلام فيها وذكر ياقوت الحموي أبياتاً انشدها الشاعر معن بن أوس المزني من قصيدة طويلة:

إذا هي حلت بكربلاء معلعا فجوز العذيبِ دونها والنوائحا

---

(١) معجم البلدان ٤: ٤٤٥.

(٢) لسان العرب ١١: ٥٨٦.

(٣) مراصد الاطلاع ٣: ١١٥٤.

فباتت نواها من نواك فطاولت مع الشائنين الكواشحا
توهمت ربعا بالمعبر واضحاً ابت قرّتاه اليوم لا تراوحا[١]

وقال صاحب مجمع البحرين في كربلاء: ان كربلاء موضع معروف بها قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. روي انه عليه السلام اشترىٰ النواحي التي فيها قبره من اهل نينوىٰ والغاضرية بستين الف درهم، وتصدّق بها عليهم، وشرط عليهم ان يرشدوا الىٰ قبره ويضيّفوا من زاره ثلاثا[٢].

ومما يدل علىٰ كربلاء ووجودها قبل الفتح الاسلامي، ماذكره الخطيب البغدادي بسندٍ الىٰ أبي سعيد التميمي قال: «اقبلنا مع علي عليه السلام من صفين فنزلنا كربلاء». وذكر ايضاً قال: «اقبلت من الانبار مع علي نريد الكوفة وعلي في الناس، فبينا نحن نسير علىٰ (شاطىء الفرات) اذ لجّج في الصحراء فتبعه ناس من اصحابه، واخذ ناس علىٰ شاطىء الماء، فكنت من أخذ مع علي حتىٰ توسط الصحراء، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا نخاف العطش، قال: ان الله سيسقيكم، وراهب قريباً منا، فجاء علي الىٰ مكانه فقال: احفروا هاهنا، فحفرنا، وكنت فيمن حفر، حتىٰ نزلنا ـ يعني عرض لنا حجر ـ فقال علي: ارفعوا هذا الحجر. فأعانونا عليه حتىٰ رفعناه، فإذا عين باردة طيبة، فشربنا ثم سرنا ليلاً او نحو ذلك، فعطشنا، فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا. فرجع الناس وكنت فيمن رجع، فألتمسناها فلم نقدر عليها، فأتينا الراهب فقلنا: اين العين التي هاهنا؟ قال: اية عين؟ قلنا: التي شربنا منها واستسقينا والتمسناها فلم نقدر عليها. فقال الراهب: لا يستخرجها الا نبي او وصيّ[٣].

---

(١) الاغاني ١٢: ٦٣.
(٢) مجمع البحرين ٥: ٤٦١.
(٣) تاريخ بغداد ١٢: ٣٠٥.

اما المرحوم الدكتور مصطفىٰ جواد فأنه يرىٰ محاولة ياقوت الحموي برد (كربلاء) الىٰ الاصول العربية غير مجدية حيث يقول: وأنا أرىٰ محاولة ياقوت الحمّوي ردّ (كربلاء) الىٰ الاصول العربية غير مجدية، ولا يصح الاعتماد عليها، لانها من باب الظن والتخمين، والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدراً لسائر الامكنة والبقاع، مع انّ موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، وان في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربية، كبغداد وصرورا وجوخا وبابل وكوش وبعقوبا.

وان التاريخ لم ينص علىٰ عروبة اسم (كربلاء) فقد كانت قبل الفتح الاسلامي للعراق، وقبل سكنىٰ العرب هناك، وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربي المشهور في غزوته لغرب العراق سنة ١٢ هـ ـ ٦٣٤ م. قال ياقوت الحموي:

ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا اليه عبدالله بن وشيمه النصري الذبان فقال رجل من اشجع في ذلك:[١]

لقد حبست في كربلاء مطيتي ... وفي العين حتىٰ عاد غثاً سمينُها
إذا رحِلتْ من منزلٍ رجعت له ... لعمري وايها إنني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة ... رفاق من الذبان زرق عيونها

واستطرد المرحوم جواد قائلاً: ولقائل ان يقول: إن العرب أوطنوا تلك البقاع قبل الفتح العربي، فدولة المناذرة في الحيرة ونواحيها وكانت معاصرة للدولة الساسانية الفارسية وفي حمايتها وخدمتها. والجواب:

ان المؤرخين لم يذكروا لهم انشاء قرية سميت بهذا الاسم ـ أعني كربلاء ـ

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ١٠.

غير ان وزن كربلاء ألحق بالاوزان العربية ونقل «فَعْلَلا» الىٰ «فَعْلَلاء» في الشعر حسب. فالاول موازن قرقرى وقهقرى، والثاني موازن لعقرباء وحرملاء، زيد همزة كما زيد برنساء[١].

اما الاستاذ انطوان بار فأنه يعزو كلمة كربلاء بقوله:

وقيل عنها قديماً «كور بابل» ثم اختصرت الىٰ اسم كربلاء تسهيلاً للفظها، وبابل كما جاءت في نبوة أشعيا هي «صحراء البحر» كانت في سهل متسع يقطعه الفرات، وفيها غدران كثيرة حتىٰ ليظن الناظر اليها بأنها صحراء طافية فوق بحر، فأطلق عليها هذا الاسم وفي هذا التفسير شيء من المعقول: إذ كربلاء منطقه صحراوية حارة، وفيها الفرات وبعض الغدران، وتسمية «صحراء البحر» فيها شبه كبير بتسمية «كور بابل»، فالكور معناه في العربية هو ذلك الجهاز الذي ينفخ الهواء فوق جمر الحداد لأحماء الحديد، وبابل هي «الصحراء الحارة»، فصار اللفظ «كور بابل» يعني ـ لهب صحراء بابل ـ كلهب كور الحداد.

وكربلاء تقع علىٰ بعد عدة كيلومترات من مشرعة الفرات شمال غرب الكوفة، وكانت في عهد البابليين معبداً، والأسم محرف من كلمتي «كرب» بمعنىٰ معبد او مصلىٰ او محرم، «وابلا» بمعنىٰ إله باللغة الآرامية، فيكون معناها «حرم الاله»[٢].

وهذا يؤيده وجود الاطلال في شمال غربي كربلاء الحالية وتستخرج في كربلاء القديمة الكائنة في منها احياناً الجرار الخزفية، وكان البابليون يدفنون موتاهم فيها[٣].

---

(١) المصدر السابق ٨: ١٣.

(٢) الحسين في الفكر المسيحي: ٣١٣.

(٣) دائر المعارف الشيعية ٩: ٢٥٦.

وفي تعوذ الحسين من الكرب والبلاء، مُرادف لفظي آخر جاء متطابقاً الىٰ حد كبير مع لفظة «كربلاء» موصوفة. فالكرب، هو الشدة المصحوبة بالالم. والبلاء هو النهاية وبلية الموت.

ولو نسبنا اللفظة الىٰ مرادف آخر، لوجدناها تصح بلفظة «كُر و بلاء» ومعنىٰ الكُر هنا، هو أحد وجهي الهجوم والتراجع في المعارك، وهو ما يعني الهـجوم ـ الكر ـ لان التراجع يعني ـ الفر ـ وهكذا يقال في وصف معركة: «قتال بين كُر وفر» اي بين اقدام وهروب.

اما لفظة «كربلاء» فمعناها متمم لمعنىٰ لفظة «كر» و بلاء هنا بعد لفظة كر، غير تلك البلاء بعد لفظة كرب، فاللفظان إذا عُطفا علىٰ ما قبلهما، فسرّا معنىٰ مـا سبقهما، فالبلاء بعد الكرب، تعني الشدة والمـوت، وبـعد الكـر، تـعني المـضاء والنجاح في القتل والهجوم، وهكذا يقال في وصف احد الشـجعان: «ابـلىٰ بـلاءً حسناً» اي قاتل بشكل جيد وماضٍ.

وعلىٰ هذا القياس تفسر لفظة «كر، بلاء» بمعنىٰ: «اقدام، وبسالة»[١].

ومهما كان من آراء المؤرخين تبقىٰ كربلاء الارض المباركة التي كرمها الله تعالىٰ حيث ضمت بين جنباتها الجسد الطاهر لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتزجت تربتها مع دماء العترة الطاهرة من آل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فتسمية كربلاء كما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الوحي هي ربما ابعد مما ذكره المحللون لهذه اللفظة، فقد اعطىٰ صلى الله عليه وآله وسلم تفسيراً واقعياً للفظة كربلاء، إذ ذكر فرات الكوفي في تفسيره: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام: «يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الاذىٰ والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبةٍ كأنهم نجم السماء يتهاون الىٰ القتل،

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي: ٣١٣.

وكأني انظر الىٰ معسكرهم، والىٰ موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا ابة، واين هذا الموضع الذي تصف؟

قال: موضع يقال له: كربلاء، وهي دار كرب وبلاء..»[١].

نعم: لقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارض كربلاء وقد نعتها بأرض كرب وبلاء قبل ان يدخل العراق الىٰ حضيرة الاسلام، وقبل ان تطأ اقدام المسلمين ارض العراق التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بني ـ اي الامام الحسين ـ إنّك ستساق الىٰ العراق وهي أرض قد التقىٰ بها النبيّيون وأوصياء النبيّين»[٢].

اذن كربلاء هي الارض التي التقىٰ عليها النبيون وأوصياؤهم، و شهدت اعظم معركة في التاريخ قتل فيها ذرية نبي الأمة صلى الله عليه وآله وسلم وهم حديثو العهد به، لابد ان تكون ارضاً مباركة كرمها الله تعالىٰ وشرفها علىٰ بقاع الارض الاخرىٰ حتىٰ جاءت هذه التسمية مطابقة للفظ والمعنىٰ.

وكانت تحيط بكربلاء عند ورود الحسين عليه السلام لها، مجموعة من القرىٰ كالغاضرية ونينوىٰ وعمورا وشاطىء الفرات وغيرها.

٢ ـ الطفّ:

بالفتح، والفاء مشددة؛ وهو في اللغة ما اشرف من أرض العرب علىٰ ريف العراق، قال الاصمعي: وانما سمّي طفاً لانه دانٍ من الريف، ومن قولهم: خُذْ ما طفّ لك واستعطف (اي ما دنا وامكن».

---

(١) انظر: تفسير فرات: ٥٥، كامل الزيارات ٢: ٦٨ ـ ٦٩، البحار ٢٢: ٤٤ / ٦٤.

(٢) انظر: مختصر بصائر الدرجات: ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٥٠، الرجعة للاسترابادي ٤٣: ٦٧، اثبات الهداة ١: ٣٢٠ / ٢٨١، الايقاظ من الهجعة: ٣٥٢ / ٥٩، الاربعون للمجلسي: ٤٠٠، البحار ٤٥: ٨٠ / ٦ وج ٥٣: ٥٢ / ٦١.

وقال ابو سعيد: سمّي الطف لانه مشرف علىٰ العراق، من أطفّ علىٰ الشيء، بمعنىٰ أطلّ، والطفّ: طف الفرات اي الشاطيء[١]. سمي بذلك لدُنوّه، قال شُبرمه بن الطفيل:[٢]

كأنّ ابـــاريق المُـــدام عـــليهِمْ اَوزُ، بأعلىٰ الطفِّ، عُوَج الحَناجِرِ

والطف هي ارض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية، منها: الصيد والقُطْقُطانة والرُّهيمة وعين جمل[٣] وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب، وذلك ان سابور[٤] أقطعهم أرضها يعتلونها من غير ان يلزمهم خراجاً، فلما كان يوم ذي‌قار ونصر الله العرب بنبيّه ﷺ، غلبت العرب علىٰ طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في ايدي الاعاجم، ثم لما قدم المسلمون الحيرة وهربت الاعاجم بعدما طمّت عامة ما كان في أيديها وبقي ما في أيدي العرب فأسلموا عليها وصار ما عمروه من الارض عُشراً، ولمّا انقضىٰ امر القادسية والمدائن وقع ما جلا عنه الاعاجم من أرض تلك العيون الىٰ المسلمين وأقطعوه فصارت عشرية ايضاً، وقال الافيشر الاسدي من قصيدة:[٥]

---

(١) معجم البلدان ٤: ٣٥.

(٢) لسان العرب ٩: ١٢١.

(٣) قال ياقوت الحموي: وسميت عين جمل لان جملاً مات عندها في حدثان استخراجها فسميت بذلك، وقيل: ان المستخرج لها كان يقال له جمل: وسميت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها. انظر: معجم البلدان ٤: ٣٦.

(٤) كانت أياد تغير علىٰ السواد وتفسد، فجعل سابور بن هرمز بن ثري بن بهرام، بينه وبينهم مسالح بالانبار وعين التمر، وغير هاتين الناحيتين، فكانوا اذا أخذوا الرجل منهم، نزعوا كتفه، فسمّت العرب سابور «ذا الاكتاف». انظر: انساب الاشراف ١: ٣٣.

(٥) معجم البلدان ٤: ٣٥ ـ ٣٦.

انّـي يُـذكّرني هـنداً وجـارتها بالطفّ صوتُ حمامات علىٰ نـبقِ
بـناتُ مـاءٍ مـعاً بـيضٌ جآجـئها حـمرٌ مـناقرها صـفرُ الحـماليقِ
أيدي السُّحاة بـهن الدهـرَ مـعملة كأنـما لونـها رجـع المـخاريقِ
أفني قلادي وما جمّعتُ من نشب قـرعُ القـواقـيز افـواه الابـاريقِ

وقال الزبيدي «صاحب تاج العروس»[١]: والطفّ قرب الكوفة، وبه قتل الامام الحسين عليه السلام سمّي به لانه طرف البرّ مـما يـلي الفـرات، وكـانت يـومئذ تـجري قريباً منه، قال ابو دهبل الجمحي:[٢]

تـبيت سَكـارىٰ مـن أمـيّةَ نـوّماً وبالطفِّ قَـتلىٰ مـا يَـنامُ حـميمُها
ومـا افسـد الاسـلام إلا عـصابةٌ تأمّـر نـوْكـاها فـدامَ نـعيمُها
فصارت قناة الدين في كفِّ ظـالم إذا اعْوَجَّ مـنها جـانب لا يـقيمها

٣ ـ الحائر:

بعد الالف ياء مكسورة، وراء، وهو في الاصل حوض يصبُّ إليه سيل الماء من الامطار، سمي بذلك لان الماء يتحير فيه، ويرجع من اقصاه الىٰ ادناه، وقـال الاصمعي: يقال للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائرٌ وجمعه حُوران، واكثر الناس يسمونه الحائر الحَيْر كما يقولون كعائشْة عيشه.

والحائر: قبر الحسين بن علي عليه السلام؛ وقال ابو القاسم عليّ بن حمزة البصري رداً علىٰ ثعلب في الفصيح: قيل الحائر لهذا الذي يسميه العامة حَيْير وجمعه حيران وحُوران، قال ابو القاسم: هو الحائر إلا انه لا جمع له لانه اسم لموضع قبر الحسين

---

(١) تاج العروس ٦: ١٨٣.

(٢) معجم البلدان ٤: ٣٦. وله ايضاً:

مـررتُ عـلىٰ ابـيات آل مـحمد فـلم أرهـا أمـثالها يـوم حُـلّت

بن علي عليه السلام ، فأما الحيران فجمع حائر ، وهو مستنقع ماء يتحير فيه فيجيء ويذهب .

والحائر : وهي الارض المنخفضة التي تضم موضع قبر الحسين عليه السلام الىٰ رواق بقعته الشريفة ، وقد حار الماء حولها علىٰ عهد المتوكل العباسي عام ٢٣٦ هـ وكانت للحائر وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة وربوات متصلة في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية منه تشكل للناظرين نصف دائرة مدخلها الجهة الشرقية ، حيث يتوجه منها الزائر الىٰ مثوىٰ العباس بن علي عليه السلام[١] .

وقال المرحوم الدكتور مصطفىٰ جواد : «فالحائر اسم عربي وكانت ارض كربلاء من مساكن العرب منذ الجاهلية ، ولذلك سميت اكبر مدينة في هذا الموضع (عين التمر) ، وهذا الاسم المركب الاضافي يحتوي علىٰ اسمين عربيين خالصي العروبة . فهل كانت تسمية الحائر قبل الاسلام ؟ وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ايضاً : (يوم حائر ملهم ايضاً علىٰ حنيفة ويشكر) فهذا الحائر كان في جزيرة العرب فيجوز فيه الامران اعني انه سمي في الجاهلية بالحائر ، وانه سمي في الاسلام بهذا الاسم»[٢] .

وتابع المرحوم مصطفىٰ جواد قائلاً : «وقد ذكرنا ان الحائر اسم عربي وأن العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية ، فلا بد من أن يكون معروفاً قبل استشهاد الحسين عليه السلام ، لان هذه التسمية هي والحير والحيرة من أصل واحد ، وقد قال ياقوت في كلامه علىٰ (الحيرة) . واكثره مذكور في الطبري : «وفي بعض اخبار اهل السير ؛ سار أردشير الىٰ الاردوان ملك النبط ، وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له : باب ، فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩ : ٣٥٦ .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٨ : ٢٢ .

بهم آلاف ، فبنىٰ الاردوان حيراً ، فأنزله من أعانه من العرب ، فسمي ذلك الحير الحيرة ، كما تسمىٰ القيعة من القاع ، وأنزل بابا من أعانه من الاعراب الانبار وخندق عليهم ..

وقال ابو المنذر هشام بن محمد : كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم بها واتخاذهم الحيرة والانبار ان الله أوحىٰ الىٰ يوحنا .. أن أئت بختنصر فمره ان يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلهم ويستبيح اموالهم ، واعلمهم كفرهم بي ، وأتخاذهم آلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي ، فأقبل يوحنا من نجران حتىٰ قدم علىٰ بختنصر وهو ببابل فأخبره بما أوحي اليه ، وذلك في زمن معد بن عدنان ، فوثب بختنصر علىٰ من كان في بلاده من تجار العرب ، فجمع من ظفر به منهم وبنىٰ لهم حيراً علىٰ النجف وحصنه ، ثم جعلهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادىٰ في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين ومستأمنين ، فأستشبار بختنصر فيهم يوحنا فقال : خروجهم اليك من بلدهم قبل نهوضهم اليك رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقْبَلْ منهم وأحسن اليهم ، فأنزلهم بختنصر السواد علىٰ شاطىء الفرات وابتنوا موضع عسكرهم فسموا الانبار ، وخلىٰ عن اهل الحيرة فأبتنوا في موضعه وسموها الحيرة لانه كان حيراً مبنياً ، ومازالوا كذلك مدة حياة بختنصر ، فلما مات انضموا الىٰ اهل الانبار ، وبقي الحير خراباً زمناً طويلاً لا تطلع عليه طالعة من بلاد العرب ، واهل الانبار ومن انظم اليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب بمكانهم ، وكان بنو معد نزولاً فيها قدموا اليها من البلاد ففرقتهم حروب وقعت بينهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارق الشام ، واقبلت منهم قبائل حتىٰ نزلوا البحرين ، وبها قبائل من الأزد كانوا نزلوها من زمان عمرو بن عامر ماء السماء ..

وكان من أجتماع القبائل بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم زمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرّق البلدان عند قتله دارا، الىٰ ان ظهر أردشير علىٰ ملوك الطوائف وهزمهم ودان له الناس وضبط الملك، فتطلعت أنفس من كان في البحرين من العرب الىٰ ريف العراق، وطمعوا في غلبة الاعاجم مما يلي بلاد العرب ومشاركتهم فيه، واغتنموا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فاجمع رؤساؤهم علىٰ المسير الىٰ العراق، ووطن جماعة ممن كان معهم انفسهم علىٰ ذلك.. ثم قدمت قبائل تنوخ علىٰ الاردوانيين (وهم ملوك الطوائف) فأنزلوهم الحيرة التي كان بناها بختنصر والانبار، وأقاموا يدينون للعجم الىٰ ان قدمها تبع ابو كرب فخلف بها من لم تكن له نهضة فانضموا الىٰ الحيرة وأختلطوا بهم.. فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم، ونزل كثير من تنوخ الانبار والحيرة الىٰ طف الفرات وغربيّه، إلا انهم كانوا بادية يسكنون المضالّ وخيم الشعر ولا ينزلون بيوت المدر، وكانت منازلهم بين الانبار والحيرة فكانوا يسمون عرب الضاحية، فكان أول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم ابو جذعة الابرش، وكان منزله مما يلي الانبار، ثم مات فملك ابنه جذيمة الابرش بن مالك بن فهم، وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وابعدهم مغاراً وأشدهم نكايةً وأظهرهم حزماً وهو أول من أجتمع له الملك بأرض العرب وغزا بالجيوش، وكان به برص وكانت العرب لا تنسبه إليه اعظاماً له وأجلالاً، فكانوا يقولون: جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش، وكانت دار مملكته الحيرة والانبار وبقعة وهيت وعين التمر واطراف البر الىٰ الغمير الىٰ القُطقطانه وما وراء ذلك، يجبى إليه من هذه الاعمال الاموال وتفد عليه الوفود.

ونستدل بهذا الخبر علىٰ إمكان كون (الحائر) من وضع العرب في ايام الجاهلية، لانه لا صلة لاشتقاقه بالقتل والفتك ولا بالاستشهاد ولا بالدفن حتىٰ

يكون ظهوره مشروطاً بأحد هذه المعاني»[١].

٤ ـ الغَاضِرِيَّةُ:

بعد الالف ضاد معجمة، منسوبة الىٰ غاضره من بني اسد؛ وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء[٢].

ويظهر ان الغاضرية ليست قديمة التاريخ فهي انشئت بعد انتقال قبيلة بني اسد الىٰ العراق في صدر الاسلام[٣]. وهي ارض منبسطة وتقع اليوم في الشمال الشرقي من مقام او شريعة الامام جعفر الصادق عليه السلام علىٰ العلقمي بأمتار وتعرف بأراضي الحسينية[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام انه قال: الغاضرية هي البقعة التي كلّم الله فيها موسىٰ بن عمران، وناجىٰ نوحاً فيها، وهي أكرم أرض الله، ولولا ذلك ما استودع أولياءه وأنبياءه، فزوروا قبورنا بالغاضرية[٥].

٥ ـ نِيْنَوَىٰ:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوىٰ، بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوىٰ، منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه[٦] وكانت علىٰ

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٣.

ذكر ابن الاثير ١: ٢٧٧ انه سار ملك من اليمن الىٰ الانبار فلما انتهىٰ الىٰ موضع الحيرة تحير راجعه في الكامل.

(٢) معجم البلدان ٤: ١٨٢.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٤.

(٤) دائر المعارف الشيعية ٩: ٣٥٦.

(٥) المستدرك ١٠: ٣٢٤.

(٦) معجم البلدان ٥: ٣٣٩.

نهر العلقمي ، وكانت قرية عامرة في العصور الغابرة ، تقع شمال شرقي كربلاء ، وهي الآن سلسلة تلول اثرية ممتدة من جنوب سدة الهندية حتىٰ مصب نهر العلقمي في الاهوار وتعرف بتلول نينوىٰ[١] .

٦ ـ شفيه :

وهي بئر حفرتها بنو أسد بالقرب من كربلاء ، وأنشأت بجانبها قرية ، وكان الحسين عليه السلام عندما حبسه الحر بن يزيد الرياحي عن الطريق ، وأمَّ كربلاء ، أراد ان ينزله في مكان لا ماء فيه ، قال أصحابه : دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوىٰ ، او هذه القرية يعنون الغاضرية ، او هذه القرية يعنون شفيه ، وإن الضحاك بن عبدالله القرشي المشرفي عندما اشتد الامر علىٰ الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبقي وحيداً استأذن الحسين عليه السلام بالانصراف لوعد كان بينهما (ان ينصره متىٰ كان كثير الانصار) فأستوىٰ علىٰ ظهر فرسه فوجهها نحو العسكر ، فأفرجوا له وأفترق صفوفهم ، ثم تبعه خمسة عشر فارساً حتىٰ جاء شفيه فألتجأ بها وسلم من القتل .

٧ ـ العقِر :

قال ياقوت الحموي : «العَقْر بفتح أوله وسكون ثانيه .. منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة . وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها اثريات مهمة[٢] .

وقد روي ان الحسين عليه السلام لمّا انتهىٰ الىٰ كربلاء وأحاطت به خيل عبيدالله بن زياد قال : ما اسم هذه القرية ؟ واشار العقر ، فقيل له : اسمها العقر . فقال : نعوذ بالله من العقر ، فما اسم هذه الارض التي نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، فقال : أرض

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩ : ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق ٩ : ٣٥٦ .

كرب وبلاء . وأراد الخروج فمُنِعَ حتىٰ كان ما كان .

وقُتل في العقر ايضاً يزيد بن الملهب بن ابي صفرة في سنة ١٠٢ هـ، وكان خلع طاعة بني مروان ، دعا الىٰ نفسه واطاعه أهل البصرة والاهواز وفارس وواسط ، وخرج في مائة وعشرون الفاً ، فندب له يزيد بن عبدالملك اخاه مسلمة ، فواقعه في العقر من أرض بابل ، فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن الملهب[١] .

وقال ابو العباس محمد بن يزيد المبرد : كان يقال : ضحىٰ بنو حرب بالدين يوم كربلاء ، وضحّىٰ بنو مروان بالمروءة يوم العقر ، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي وأصحابه ، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه .

قال الكلبي : «نشأتُ والناس يقولون : ضحّىٰ بنو امية بالدين يوم كربلاء ، وبالكرم يوم العقر»[٢] .

٨ ـ النواويس :

كانت مقبرة عامة للنصارىٰ قبل الفتح الاسلامي ، وتقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوىٰ[٣] .

٩ ـ عين التمر :

قال ياقوت الحموي : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له : شفاثا ، منها يُجلب القَسْب والتمر الىٰ سائر البلاد ، وهو بها كثير جداً ، وهي علىٰ طرف البرية ، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر علىٰ يد خالد بن

---

(١) الكامل في الادب ٣ : ٢٤٨ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٤ .

(٣) دائرة المعارف الشيعية ٩ : ٣٥٦ .

الوليد في سنة ١٢ هـ.

وكان فتحها فسبى نساءها وقتل رجالها، فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين، وسيرين اسم امه، وحُمْرانُ بن أبان مولىٰ عثمان بن عفان، وفيها يقول عبيدالله بن الحُرّ الجُعفي في وقعه كات بينه وبين اصحاب مصعب[١]:

ألا هل أتىٰ الفتيان بالمصر انني ... اسرتُ بعين التمر أورع ما جدا

وفرقْتُ بين الخيل لمّا تواقَفَتْ ... بطعن امرىء قد قام من كان قاعدا

وفي الفتح الاسلامي للعراق قالوا: ولما فرغ خالد من الانبار، واستحكمت له، استخلف علىٰ الانبار الزّبْرِقان بن بدر، وقصد لعين التَّمر، وبها يومئذ مهران بن بهرام في جمع عظيم من العجم، وعَقّة بن أبي عَقّة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وأياد ومن فهم[٢].

وذكر ابو الفرج الاصفهاني: «ان سابور الثاني الملقب بذي الاكتاف حاصر مدينة الحضر بين دجلة والفرات علىٰ الانهار وأفتتحها وسبي النضيرة ابنة ملكها وخرب المدينة، وحمل النضيرة فأعرس بها بعين التمر»[٣].

ويظهر من هذه الروايتين بأن مدينة عين التمر كانت عامرة قبل الفتح الاسلامي للعراق. قال الدكتور جواد: «واختياره لعين التمر دليل علىٰ ان فيها بنياناً ملوكياً يصلح لان يكون موضعاً للعرس، وما أحرىٰ حصن الاخيضر بذلك فأنه حصن ملوكي حقاً»[٤].

* * *

(١) معجم البلدان ٤: ٣٦.

(٢) الطبري ٣: ٣٧٦.

(٣) الاغاني ٢: ١٤١.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٠.

الفصل الثاني

اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل الحسين عليه السلام في كربلاء

المقدمة:

نعىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته وعترته الطاهرة، بما يلاقون بعده من المصائب والويلات، والنوائب الفادحة، والقتل الذريع، كل هذه المصائب تحل بساحة أهل بيته وفلذة كبده، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم يراها من وراء ستر رقيق.

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته الشريفة كئيباً حزيناً والشجو والأسىٰ لا يفارقانه، لذلك فهو صلى الله عليه وآله وسلم كان دائماً يحث أمته علىٰ التمسك بأهل بيته وحفظهم وصونهم مراعاة لحقه فيهم، وكونهم اعدال الثقلين المتفق عليهما، ولن يتفرقا حتىٰ يردا عليه صلى الله عليه وآله وسلم الحوض. كما أورد المحب الطبري انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان الله جعل اجري عليكم المودة في اهل بيتي واني سائلكم غداً عنهم»، وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة احاديث منها حديث «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم لن تضلوا بعدي، الثقلين احدهما اعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الىٰ الارض، وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتىٰ يردا علي الحوض، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما»[1]. وفي رواية اخرىٰ؛ «كأني دعيت فأجبت، اني قد تركت فيكم الثقلين

---

(١) العمدة: ٦٨ ح ٨٢.

احدهما آكد من الآخر: كتاب الله عزّوجلّ وعترتي، اي بالمثناة، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما فأنهما لن يتفرقا حتىٰ يردا عليّ الحوض»[١]، وفي رواية: «وانهما لن يتفرقا حتىٰ يردا علي الحوض، سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فأنهم أعلم منكم»[٢]. فهو صلى الله عليه وآله وسلم يصرح في اكثر من موضع بأنهم ائمة الهدىٰ، ومثلهم مثل القرآن في انقاذ البشرية من تيه الضلالة وحيرة الجهالة، الىٰ الحياة السعيدة. كما صرح صلى الله عليه وآله وسلم كونهم سفينة نجاة الامة، كما في حديث السفينة الصحيح الثابت: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[٣]، وأخرج الحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاءهم ما يوعدون، وأنا أمان لاصحابي فاذا ذهبت اتاهم ما يوعدون، واهل بيتي امان لامتي فاذا ذهب اهل بيتي اتاهم ما يوعدون»[٤].

وفي رواية من ابغضنا اهل البيت حشره الله يهودياً وان شهد لا اله إلا الله[٥]. كما أكد لامته صلى الله عليه وآله وسلم كون حب أهل البيت وولائهم شرطاً عاماً في قبول مطلق الاعمال والطاعات والقربات، من الصلاة والصِلات والحج والصوم وغيرها، كما جاء منصوصاً عليه في جملة من الاحاديث[٦].

لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان علىٰ يقين بأن امته سوف تمتهن حرمة عترته

---

(١) العمدة: ٧١ ح ٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٢٨.

(٣) انظر: العمدة: ٣٥٩ ح ٦٩٥، مناقب ابن المغازلي: ١٣٣.

(٤) المستدرك ٢: ٤٤٨.

(٥) الصواعق المحرقة: ٢٤٠.

(٦) سيرتنا وسنتنا: ٢١.

الطاهرة كما أخبره الامين جبرائيل عليه السلام ، وتقصيهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، بل سوف تذهب ابعد من هذا من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ، لا يراعون لرسول ﷺ حقّاً ولا حرمة ، لكنه ﷺ أراد ان يلقي علىٰ امته ويعذر فيما يرتكبون من جرائم وآثام بحقهم (سلام الله عليهم) . فكان ﷺ يحذرهم في مناسبات كثيرة وينذرهم بيوم المعاد .

قال ابن عباس : خرج النبي ﷺ قبل موته بأيام يسيره الىٰ سفر له ، ثم رجع وهو متغير ، محمر الوجه ، فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه تهملان دموعاً قال فيها :

«ايّها الناس اني خلفت فيكم الثقلّين : كتاب الله وعترتي ، وأرومتي ، ومزاج مائي ، وثمرتي ، ولن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض ، الا واني انتظرهما ، الا واني لا اسئلكم في ذلك إلا ما امرني ربي ان أسألكم به المودة في القربىٰ ، فأنظروا لا تلقوني علىٰ الحوض وقد ابغضتم عترتي وظلمتموهم ، الا وانه سترد عليّ في القيامة ثلاث رايات من هذه الامة : راية سوداء مظلمة فتقف عليّ ، فأقول من انتم ؟ فينسون ذكري ويقولون : نحن اهل التوحيد من العرب . فأقول : انا أحمد نبي العرب والعجم . فيقولون : نحن أمتك يا أحمد ، فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في اهلي وعترتي وكتاب ربي ؟ فيقولون : اما الكتاب فضيعناه وفرقناه ، واما عترتك فحرصنا علىٰ ان ننبذهم عن جديد الارض . فأولي وجهي عنهم ، فيصدرون ظماءً عطاشا مسودّة وجوههم ، ثم ترد عليّ راية اشد سواداً من الاولىٰ ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون كالقول الاول بأنهم من اهل التوحيد ، فإذا ذكرت لهم اسمي عرفوني ، وقالوا : نحن امتك ، فأقول لهم : كيف خلفتموني في الثقلين الاكبر والاصغر ؟ فيقولون : اما الاكبر فخالفناه ، واما الاصغر فخذلناه ومزقناه كل ممزق ، فأقول لهم : اليكم عني فيصدرون ظماءً عطاشاً مسودة وجوههم .

ثم ترد عليّ راية اخرىٰ تلمع نوراً، فأقول لهم: من انتم؟ فيقولون: نحن كلمة أهل التوحيد والتقوىٰ، ونحن امة محمد، ونحن بقية اهل الحق الذين حملنا كتاب ربنا، فحللنا حلاله وحرمنا حرامه، واجبنا ذرية محمد فنصرناهم بما نصرنا به انفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم. فأقول لهم: أبشروا انا نبيكم محمد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم، ثم اسقيهم من حوضي، فيصدرون رواءً[1].

وحديث آخر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أخرجه الحافظ ابو بكر بن ابي شيبة قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن زيد بن ابي زياد، عن ابراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اذ أقبل فئة من بني هاشم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت له: ما نزال نرىٰ في وجهك شيئاً نكرهه، قال: إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وان أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتىٰ يأتي قوم من المشرق، معهم رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيضربون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتىٰ يدفعوها الىٰ رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً علىٰ الثلج[2].

واخرج الشريف النسابة ابو الحسين العبيدي الحقيقي، في كتابه اخبار المدينة، عن طريق مولانا امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رضي الله عنه: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمعلنا له خزيرة، واهدت لنا ام ايمن قعباً من لبن، وصفحة من تمر، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واكلنا معه، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمسح رأسه وجبهته ولحيته بيده، ثم استقبل فدعا الله بما شاء، ثم اكب علىٰ الارض بدموع غزيرة، يفعل ذلك ثلاث

---

(١) احقاق الحق: ٩: ٣٥٥.

(٢) اخرجه ابن ماجه في سننه ح٤٠٨٢.

مرات ، فتهيبنا رسول لله ﷺ ان نسأله ، فوثب الحسين علىٰ ظهر رسول الله ﷺ فبكىٰ فقال له : بأبي وامي ما يبكيك ؟ قال : يا ابت رأيتك تصنع شيئا ما رأيتك تصنع مثله ، فقال رسول الله ﷺ : يا بني سررت بكم اليوم سروراً لم أسرّ مثله قط ، وانّ حبيبي جبريل اتاني واخبرني انكم قتلىٰ ، وان مصارعكم شتىٰ ، فأحزنني ذلك ودعوت الله لكم بالخيرة[1] .

لكن علىٰ الرغم من تحذيرات رسول الله ﷺ امته ، ووصاياه المتكررة علىٰ التمسك بولاية اهل بيته ، كيف خلفوه فيهم ؟ لقد قتلوهم شر قتلة ، وجهدوا في وضع الاحاديث الكاذبة في حقهم .

لكن رسول الله ﷺ كان يدرك تلك الحقيقة وما تؤول اليه عاقبة اهل بيته ، فكان ﷺ مدة حياته يبدو الحزن والكآبة في اساريره ، فكان منغص العيش يُسرّ الزفره ، ويخفي الحسره ، ويجرّع الغصة .. مهما وجد جواً صافياً يعالج لوعة فؤاده ، ويطفي لهفة قلبه ، ويخمد ثائرة الحزن بأن يضمّ احداً من أهله إلىٰ صدره ، ويشمه ويقبله ، ساكباً عبرته ، باكي العينين ، وفي لسانه ما يتسلىٰ به خاطره .

فتراه يلتزم علياً سيد عترته وابن عمه وابا ولده في قارعة الطريق ويقبله ويكرر قوله : بأبي الوحيد الشهيد . كما اخبرت بذلك السيدة عائشة ام المؤمنين فيما اخرجه عنها الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده ، وأخذه عنه جمع من الاعلام .

وأخرج الحفاظ بأسانيدهم الصحيحة عن ابن عباس قال : خرجت انا والنبي ﷺ وعلي عليه السلام في حيطان المدينة ، فمررنا بحديقة فقال علي عليه السلام : ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله ! فقال : حديقتك في الجنة احسن منها . ثم أومأ بيده الىٰ رأسه ولحيته ، ثم بكىٰ حتىٰ علا بكاؤه . قيل : ما يبكيك ؟ قال : ضغائن في صدور

---

(١) اخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين .

قوم لا يبدونها لك حتىٰ يفقدوني.

وفي لفظ عن أنس بن مالك: ثم وضع النبي رأسه علىٰ إحدىٰ منكبي علي فبكىٰ، فقال له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها حتىٰ أفارق الدنيا[١].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستخفيه عن صبره وجلده، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام: كيف صبرك اذا خضبت هذه من هذه؟ وأهوىٰ بيده الىٰ لحيته ورأسه. فقال علي: اما بليت ما بليت فليس ذلك من طريق مواطن الصبر، وانما هو من مواطن البشرىٰ والكرامة[٢]. فيتسلىٰ صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الكلام الطيب المعرب عن عظمة نفسيات علي عليه السلام ومبلغ تفانيه في الله تعالىٰ.

وتراه يضم صلى الله عليه وآله وسلم ابا محمد الحسن السبط الىٰ صدره ويقبله من فمه وسرته متيقناً بأن احشاءه من فمه الىٰ سرته ستقطع بالسم النقيع، ويضم الحسين السبط اليه ويشمهُ ويقبله ويقبل منه مواضع السيوف والرماح والطعون، ويخص من جوارحه بالقبله شفتيه، علماً منه بأنهما ستضربان بالقضيب.

وأما الصديقة الطاهرة فإنها لما يخبرها ابوها صلى الله عليه وآله وسلم بأنها اسرع لحوقاً به من أهل بيته يسرّها هذا النبأ وتأنس به، وإنّ هو الا لعلمها بأن حياة آل محمد حفت بالمكاره والقوارع والطامات، ولولا الحذر والجزع من تلكم المصائب الهائلة النازلة بساحتهم فأي مسوغ للزهراء في استيائها من حياتها؟ وحياتها السعيدة هي أحسن حياة وأحلاها واسعدها وأجملها واعظمها فخراً، زوج في شاكلة أبيها في فضائله وفواضله، وأولاد من البنين مثل الحسنين ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدي

---

(١) تاريخ دمشق ترجمة الامام علي ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٧.

(٢) سرتنا وسنتنا: ٣٠.

شباب أهل الجنة ، لا يمثلون بنظير ، ويقصر عن بلوغ نعتهما وصف كل بليغ طلق ذليق ، ومن البنات مثل العقيلة زينب جوهرة القدس والكمال والشرف والمنعة .

فلماذا تستاء عندئذ فاطمة من الحياة وهي بعد في عنفوان شبابها الغض لم تبلغ فناها ، ولم تنل آمالها من الحياة ؟ ولماذا تدعو وتسأل ربها ان يعجل لها وفاتها ، وهي بعدُ لم تدرك مرارة الدنيا ، وتُفدي دونها كل تليد وطارف ؟

ولماذا ترفع اليد عن حضانة اولادها ، وتفرغ منهم حجرها ، وترضى بيُتمهم ، وهم بعد ما شبوا ومازهوا ؟ ولماذا تحب فراق بعلها ، وتدع حبيبها اليف الاسىٰ والهم والجوىٰ ، حزنه بعدها سرمد ، وليله في فراقها مسهد ؟ ولماذا ذلك الفرح والجذل من أقتراب الاجل ودنوّ الموت ؟

ان كل هذه إلا تخلص من هول تلكم النوائب التي كانت تعلمها من ابيها الصادق الصدوق . ولم تك فاطمة عليها السلام تتصور لنفسها منجىٰ ومرتجىٰ وملجأ تثق بالطمأنينة لديها ، وسكون الخاطر في حماها غير جوار ربها الكريم .

ماذا تصنع فاطمة بالحياة وهي ترىٰ اباها صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته حليفاً للشجون ؟ قد قضىٰ حياته بعين عبرىٰ ، وقلب مكمد محزون ، وزفرة وحسرة ولهفة دفينة بين جوانحه كمداً علىٰ اهل بيته ، يقيم لحسينه المآتم من يوم ولادته ومن يوم كان رضيعاً وفطيماً وفتياً ، وقد أتخذت بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار حزن وبكاء منذ ولد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين العزيز ، يأتي اليه صلى الله عليه وآله وسلم ملائكة ربه افواجاً وزرافات ووحداناً ، حيناً بعد حين ، مرة بعد اخرىٰ ، بين فينة وفينة ، ينعون الحسين ، ويأتون اليه صلى الله عليه وآله وسلم بتربته ممثلين بذلك مصرعه ومقتله .

ومن هنا سنتطرق الىٰ ذكر ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يحلُّ بعترته الطاهرة في كربلاء عليه السلام .

فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الامين جبرائيل بأن ولده الحسين عليه السلام

بقتل بأرض يقال لها كربلاء ، والطف ، وشاطىء الفرات ، وقد نعىٰ صلى الله عليه وآله وسلم فلذة كبده الحسين السبط منذ يوم ولادته :

١ ـ اخرج الحاكم النيسابوري ، في المستدرك علىٰ الصحيح ، قال :

أخبرنا ابو عبدالله محمد بن علي الجواهري ببغداد ، حدّثنا الاحوص محمد بن الهيثم القاضي ، حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الاوزاعي ، عن ابي عمار شداد بن عبدالله ، عن ام الفضل بنت الحارث ، انها دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله اني رأيت حلماً منكراً الليلة . قال : وما هو ؟ قالت : إنه شديد ! قال : ماهو ؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت خيراً ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً يكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدخلت يوماً الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعته في حجره ، ثم حانت مني التفاته فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهريقان من الدموع . قالت : فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي مالك ؟ قال : اتاني جبرئيل عليه السلام فأخبرني ان امتي ستقتل ابني هذا . فقلت : هذا ؟ فقال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراء[١] .

٢ ـ اخرج الحافظ احمد بن الحسين البيهقي قال : اخبرنا ابو القاسم بن محمد المفسر ، اخبرنا ابو بكر محمد بن عبدالله الحفيد ، حدثنا ابو القاسم عبدالله بن احمد بن عامر الطائي بالبصرة ، حدثني ابي ، حدثني علي بن موسىٰ ، حدثني ابي موسىٰ بن جعفر حدثني ابي جعفر بن محمد ، حدثني ابي محمد بن علي ، حدثني ابي علي بن الحسين ، قال : حدثتني اسماء بنت عميس قالت : قبلت جدتك بالحسن والحسين ... فلما ولد الحسين جاءني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا اسماء هاتي

---

(١) انظر : المستدرك ٣ : ١٧٩ ، تاريخ دمشق : ٢٦٥ ، الخوارزمي ١ : ١٥٩ .

ابني فدفعته اليه في خرقة بيضاء فأذن في اذنه اليمنىٰ ، واقام في اليسرىٰ ، ثم وضعه في حجره وبكىٰ ، قالت : فقلت : فداك ابي وامي مم بكاؤك ؟ قال : علىٰ ابني هذا ، فقلت : انه ولد الساعة ، قال : يا اسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي ، ثم قال : يا اسماء لا تخبري فاطمة بهذا ، فانها قريبة عهد بولادته[١] .

٣ ـ اخرج الحافظ الطبراني في المعجم ، قال : حدّثنا علي بن سعيد الرازي ، حدّثنا اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة المروزي ، نا علي بن الحسين بن وافد ، نا أبي ، نا ابو غالب عن أبي امامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه : لا تبكوا هذا الطفل (يعني الحسين) قال : وكان يوم امّ سلمة ، فنزل جبرئيل فدخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال لام سلمة : لا تدعي احداً يدخل ، فأخذته امّ سلمة فاحتضنته وجعلت تناغيه وتسكته ، فلما اشتد في البكاء خلت عنه ، فدخل حتىٰ جلس في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان امتك ستقتل ابنك هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يقتلونه وهم مؤمنون بي ؟ قال : نعم يقتلونه .

فتناول جبريل تربة فقال : كذا وكذا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد احتضن حسيناً كاسف البال ، مهموماً ، فظنت ام سلمة انه غضب من دخول الصبي عليه ، فقالت : يا نبي الله ، جعلت لك الفداء ، إنك قلت لنا : لا تبكوا هذا الصبي ، وأمرتني ان لا ادع احداً يدخل عليك ، فجاء فخليت عنه ، فلم يرد عليها ، فخرج الىٰ اصحابه وهم جلوس . فقال : ان امتي يقتلون هذا ، وفي القوم ابو بكر وعمر ، (وكانا أجرأ القوم عليه) فقالا : يا نبي الله يقتلونه وهم مؤمنون ؟!

قال : نعم ، وهذه تربته ، فأراهم اياها[٢] .

---

(١) انظر : الخوارزمي ١ : ٧٨ ، ذخائر العقبىٰ : ١١٩ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد ٩ : ١٨٩ ، تاريخ الاسلام ٣ : ١٠ ، سير اعلام النبلاء ٤ : ١٩٤ ، احقاق الحق ١١ : ٣٩٤ .

٤ ـ اخرج الحافظ ابن عساكر قال: أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي، حدّثنا ابو محمد الحسن بن علي املاء.

وأخبرنا ابو نصر بن رضوان، وابو غالب محمد بن الحسن، وابو محمد عبدالله بن محمد قالوا: حدّثنا محمد الحسن بن علي، نا ابو بكر بن مالك، نا ابراهيم بن عبدالله، نا حجاج، نا حماد بن ابان عن شهر بن حوش، عن ام سلمة قالت:

كان جبريل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسين معي، فبكىٰ فتركته فدنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: ان امتك ستقتله، وان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها فأراه اياها، فإذا يقال لها: كربلاء[1].

٥ ـ عن خالد بن مخلّد ومحمد بن عمرة، قالا: حدثنا موسىٰ بن يعقوب الزمعي، قال: أخبرني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبدالله بن وهب بن زمعه، قال: أخبرتني امّ سلمة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ فزعاً وهو خاثر! ثم اضطجع واستيقظ وهو خاثر دون المرة الاولىٰ، ثم اضطجع فنام فاستيقظ فزعاً وبيده تربة حمراء يقلبها بيده وعيناه تهرقان بالدموع!

فقلت: ماهذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يُقتل بارض العراق! فقلت لجبريل: أرني تربة الارض التي يقتل بها، فجاء بها فهذه تربته[2].

٦ ـ عن يعلى ومحمد ابنا عبيد، قالا: حدثني موسىٰ الجهني عن صالح بن

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٨.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (الملحق): ٤٣، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٨٢، والحاكم في المستدرك ٤: ٣٩٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤٦٨، وفي سير اعلام النبلاء ٣: ٢٩، وفي تذكرة الخواص: ٢٥٠، وفي كنز العمال ١٢: ١٢٦.

أربد النخعي ، قال : قالت امّ سلمة : قال لي نبي الله : أجلسي بالباب فلا يلج عليّ احد فجاءه الحسين وهو وضيف فذهبت تناوله فسبقها فدخل .

قالت : فلمّا طال عليّ خفت ان يكون قد وجد علي فتطلّعت من الباب فإذا في كف النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء يقلبه ، والصبي نائم علىٰ بطنه ودموعه تسيل .

فلمّا امرني ان ادخل قلت : يا رسول الله ، إنّ ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني ، فلما طال عليّ فتطلّعت من الباب فرأيتك تقلب شيئاً في كفك والصبي نائم علىٰ بطنك ودموعك تسيل !

فقال : إنّ جبريل أتاني بالتربة التي يقتل عليها ، وأخبرني أنّ امتي يقتلونه[1] .

٧ ـ عن ابي بكر السمعاني قال : اخبرنا ابو سعد محمد بن محمد المطرز قال : أخبرنا ابو نعيم بن عبد الحميد قال : حدثنا سليمان بن بلال من كثير بن زيد عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن ام سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم فقال : لا يدخلن عليّ احد فانتظرت فدخل الحسين ، فسمعت نشيج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فأطلعت فإذا في حجره الحسين أو في جنبه يمسح رأسه وهو يبكي ، فقلت : والله ما علمت به حتىٰ دخل ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن جبريل كان معنا في البيت ، فقال : أتحبه ؟ فقلت : من حب الدنيا فنعم ، فقال : إن امتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء ، فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال : ما اسم هذه الارض ؟ قالوا : ارض كربلاء ، قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارض

---

(١) اخرجه : ابن ابي شيبه في المصنف ١٥ : ٩٧ ، وابن سعد في الطبقات (الملحق) : ٤٤ . والطبراني في المعجم الكبير : ٢٨٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٦ : ٤٦٨ ، والخوارزمي في مقتل الحسين ١ : ١٥٨ ، وفي زينة المجالس : ٣٥٠ .

كرب وبلاء[١].

٨ ـ اخرج الحافظ الكبير ابو القاسم الطبراني في (المعجم الكبير) لدىٰ ترجمة الحسين السبط عليه السلام قال: حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل، حدثني عباد بن زياد الاسدي، نا عمرو بن ثابت بن الاعمش، عن ابي وايل شقيق بن سلمة، عن ام سلمة قالت: كان الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن امتك تقتل إبنك هذا من بعدك، فأومأ بيده الىٰ الحسين، فبكىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمه الىٰ صدره، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ريح كرب وبلاء.

قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ام سلمة إذا تحولّت هذه التربة دماً فاعلمي ان ابني قد قتل.

قال: فجعلتها ام سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر اليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحوّلين دماً ليوم عظيم[٢].

وقيل لما اتىٰ جبرئيل بالتربة الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من موضع يهراق فيه دم أحد ولديه ولم يخبر باسمه: شمها وقال: هذه رائحة ابني الحسين وبكىٰ، فقال: جبرئيل: صدقت[٣].

٩ ـ اخرج الامام أحمد بن حنبل في المسند قال: حدثنا مؤمل، ثنا عمارة بن راذان، ثنا ثابت عن انس بن مالك، إن ملك المطر أستأذن ربه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له، فقال لام سلمة: اغلقي علينا الباب، لايدخل علينا احد. قال:

---

(١) رواه ابن العديم في الحسين بن علي: ٥٧.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٨.

(٣) الخوارزمي في مقتل الحسين: ١٧.

وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فصعد علىٰ ظهر النبي ﷺ وعلىٰ منكبه وعلىٰ عاتقه قال: فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبه؟ قال: نعم. قال: اما ان امتك ستقتله، وان شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها ام سلمة فصرّتها في خمارها. قال: قال ثابت: بلغنا انها كربلاء[١].

واخرجه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة قال: اخبرنا علي بن احمد بن عبدان، اخبرنا احمد بن عبيد الصفار، حدثنا عبد الصمد بن حسان بالاسناد بلفظ: استأذن ملك ان يأتي رسول الله ﷺ فأذن له فقال لامِّ سلّمة: احفظي علينا الباب لايدخلني احد، قال: فجاء الحسين بن علي فوثب حتىٰ دخل فجعل يقع علىٰ منكب النبي ﷺ، فقال الملك: أتحبه؟ قال النبي ﷺ: نعم، قال: فإن امتك تقتله، وان شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه قال: فضرب بيده وأراه ترابا أحمر، فأخذته امّ سلمة فصرته في ثوبها، كنّا نسمع ان يقتل بكربلاء[٢].

واخرجه الحافظ ابن عساكر، وفي لفظه: فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبله[٣]. فقال: وفي رواية: انّ النبي ﷺ قال لام سلمة: هذه التربة وديعة عندكِ، فإذا تحولت دماً فأعلمي ان ابني قد قتل، فجعلتها ام سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر اليها كل يوم وتقول: إن يوماً تتحولين فيه دماً ليوم عظيم[٤].

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٩٩، والسيوطي في الخصائص ٢: ١٢٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٩٠.

(٢) دلائل النبوة ٦: ٤٨٧.

(٣) تاريخ دمشق ١: ٣٢٥.

(٤) اخرجه: الحافظ العراقي في طرح التهذيب ١: ٤١، والقرطبي في مجمع التذكرة: ١١٩، وابن حجر في الصواعق: ١١٥.

وذكر الخوارزمي، قال شرحبيل بن ابي عون: ان الملك الذي جاء الىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما كان ملك البحار، وذلك ان ملكاً من ملائكة الفراديس، نزل الىٰ البحر ثم نشر اجنحته عليه وصاح صيحة قال فيها: يا اهل البحار إلبسوا ثياب الحزن، فإن فرخ محمد مقتول مذبوح، ثم جاء الىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا حبيب الله تقتل علىٰ هذه الارض فرقتان من امتك بارض كرب وبلاء. وهذه التربة عندك. وناوله قبضة من ارض كربلاء، وقال له: تكون هذه التربة عندك حتىٰ ترىٰ علامة ذلك. ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض اجنحته، فلم يبق في سماء الدنيا ملك الا وشم تلك التربة وصار لها عنده اثر وخبر، قال: اخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك القبضة التي اتاه بها الملك، فجعل يشمها ويبكي، ويقول في بكائه: اللهم لا تبارك في قاتل ولدي، واصله نار جهنم، ثم دفع تلك القبضة الىٰ امّ سلمة واخبرها بقتل الحسين بشاطىء الفرات، قال: يا امّ سلمة هذه التربة اليك، فانها اذا تغيرت وتحوّلت دماً عبيطاً فعند ذلك يقتل ولدي الحسين[1].

وفي رواية اخرىٰ قالت: ثم ناولني كفاً من تراب أحمر، وقال: إن هذا من تربة الارض التي يقتل بها، فمتىٰ صار دماً عبيطاً فأعلمي انه قد قتل، قالت ام سلمة: فوضعته في قارورة عندي وكنت اقول: ان يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم، وفي رواية عنها: فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً. وفي اخرىٰ ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله، فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قارورة، قالت ام سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

ايها القاتلون جهلاً حسيناً ... ابشروا بالعذاب والتنكيلِ

قد لعنتم علىٰ لسان ابن داود ... ويحيىٰ وحامل الانجيلِ

---

(١) سيرتنا وسنتنا: ٦٣.

١٠ ـ اخرج الحافظ ابن عساكر في رواية مسنداً عن عبدالله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه قال: قالت امّ سلمة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نائماً في بيتي، فجاء الحسين رضي الله عنه يدرج فقعدت علىٰ الباب فأمسكته مخافة ان يدخل فيوقظه، ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد علىٰ بطنه، قالت: فسمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجئت فقلت: يا رسول الله، والله ما علمت به! فقال: انما جاءني جبرئيل عليه السلام ـ وهو علىٰ بطني قاعد ـ فقال لي: أتحبه؟ فقلت: نعم، قال: إنّ امتك ستقتله، ألا أريك التربة التي يقتل بها؟ قال: فقلت: بلىٰ، قال: فضرب بجناحه فأتي بهذه التربة قالت: واذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: ياليت شعري من يقتلك بعدي[1]؟

١١ ـ روي باسناد آخر عن امّ سلمة انها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو اشعث اغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله مالي اراك شعثاً مغبراً؟ فقال: أُسري بي في هذا الوقت الىٰ موضع من العراق يقال له (كربلاء)، فأريت فيه مصرع الحسين عليه السلام ابني وجماعة من ولدي واهل بيتي، فلم ازل القط دماءهم فهاهو في يدي وبسطها اليّ فقال: خذيه فاحتفظي به فأخذته فإذا هو شبه تراب احمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت به.

فلما خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة أشمّها وانظر اليها ثم ابكي لمصابه، فلما كان اليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، اخرجتها في اول النهار وهي بحالها، ثم عدت اليها آخر النهار فاذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٥٨، كنز العمال ٧: ١٠٦.

وكظمت غيظي مخافة من ان يسمع اعداؤهم بالمدينة فيتسرّوا بالشماتة فلم ازل حافظة للوقت واليوم حتىٰ جاءنا الناعي ينعاه فحقق ما رأيت[١].

١٢ ـ عن الباقر عليه السلام قال: لما اراد الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق بعثت اليه امّ سلمة رضي الله عنها وهي التي كانت ربته وكان احب الناس إليها و كانت ارق الناس عليه وكانت تربة الحسين عندها في قارورة دفعها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقالت: يا بني اتريد ان تخرج فقال لها: يا اماه اريد ان اخرج إلى العراق. فقالت: إني اذكرك الله تعالى ان تخرج إلى العراق. قال: ولم ذلك يا اماه. قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتل ابني الحسين بالعراق وعندي يا بني تربتك في قارورة مختومة دفعها إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا اماه والله إني لمقتول وإني لا افر من القدر والمقدور والقضاء المحتوم والامر الواجب من الله تعالى. فقالت: واعجباه فاين تذهب وانت مقتول فقال: يا اماه إن لم اذهب اليوم ذهبت غدا وإن لم اذهب غدا لذهبت بعد غد وما من الموت - والله يا اماه - بُدْ، واني لاعرف اليوم والموضع الذي اقتل فيه والساعة التي اقتل فيها والحفرة التي ادفن فيها كما اعرفك وانظر إليها كما انظر إليك. قالت: قد رايتها! قال: إن احببتِ ان اريكِ مضجعي ومكاني، فأراها مضجعه ومكانه ومكان اصحابه، واعطاها من تلك التربة، فخلطتها مع التربة التي كانت عندها، ثم خرج الحسين عليه السلام وقد قال لها: إني مقتول يوم عاشوراء. فلما كانت تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي عليه السلام فيها اتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام اشعث باكيا مغبراً فقالت: يا رسول الله مالي اراك باكياً مغبراً اشعث! فقال: دفنت ابني الحسين عليه السلام واصحابه الساعة. فانتبهت ام سلمة رضي الله عنها فصرخت باعلى صوتها فقالت: وا إبناه. فاجتمع اهل المدينة وقالوا لها:

---

(١) انظر: العوالم ٦: ١٣١، وبحار الانوار ١٠: ٢٣٩.

ما الذي دهاك فقالت : قتل ابني الحسين بن علي عليهما السلام . فقالوا لها : وما علمك (بذلك) قالت : اتاني في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكياً اشعث اغبر فأخبرني انه دفن الحسين واصحابه الساعة . فقالوا : اضغاث احلام قالت : مكانكم فإن عندي تربة الحسين عليه السلام، فأخرجت لهم القارورة فإذا هي دم عبيط[١] .

١٣ ـ عن ابن عباس قال : بينا انا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت ام سلمة وهي تقول : يابنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي فقد قتل سيدكن فقيل : ومن أين علمت ذلك ؟ قالت : رأيت رسول الله الساعة في المنام شعثاً مذعوراً فسألته عن ذلك ، فقال : قتل ابني الحسين واهل بيته فدفنتهم قالت : فنظرت فاذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم : اذا صارت دما فقد قتل ابنك فأعطانيها النبي فقال : اجعليها في زجاجة فليكن عندك فاذا صارت دما فقد قتل الحسين فرأيت القارورة الآن صارت دما عبيطاً يفور[٢] .

١٤ ـ عن علي بن محمد ، عن عثمان بن مقسم ، عن المقبري ، عن عائشة ، قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقد اذ جاء الحسين يحبو اليه فنحيته عنه ، ثم قمت لبعض أمري فدنا منه فاستيقظ يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟

قال : انّ جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين ، فاشتد غضب الله علىٰ من يسفك دمه ، وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء .

قال : يا عائشة والذي نفسي بيده ليحزنني ، فمن هذامن امتي يقتل حسيناً بعدي[٣] ؟

---

(١) الثاقب في المناقب : ٣٢٩ ـ ٣٣٢ .

(٢) مناقب آل ابي طالب ٣ : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٣) كنز العمال ١٢ : ١٢٧ ، ورواه الحافظ ابن عساكر : ٢٢٩ .

١٥ ـ عن محمد بن عمرة، قال: اخبرنا موسىٰ بن محمد بن ابراهيم، عن ابيه، عن ابي سلمة، عن عائشة، قالت:

كانت لنا مشربة، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد لقي جبريل لقيه فيها، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة من ذلك فيها، وامر عائشة ان لا يصعد اليه احد، فدخل حسين بن علي ولم تعلم حتىٰ غشيها، فقال جبريل: اما انه سيقتل! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ومن يقتله؟ قال: امتك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: امتي تقتله؟! قال: نعم، وإن شئت اخبرتك بالارض التي يقتل بها فأشار جبريل الىٰ الطف بالعراق، واخذ تربة حمراء فأراه إيّاها فقال: هذه من تربة مصرعه[1].

١٦ ـ اخرج الحافظ ابو القاسم الطبري في المعجم الكبير لدىٰ ترجمة الحسين بن علي عليه السلام قال: حدثنا احمد بن رشد بن المصري، نا عمرو بن خالد الحراني، نا ابن لهيعة عن أبي الاسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل الحسين بن علي رضي الله عنه علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحىٰ اليه، فنزا علىٰ رسول الله وهو منكب ولعب علىٰ ظهره، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتحبه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لا احب ابني؟ قال: فان امتك ستقتله من بعدك. فمد جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الارض يقتل ابنك هذا يا محمد، واسمها الطفّ، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتربة في يده يبكي، فقال: يا عائشة ان جبريل عليه السلام اخبرني ان الحسين ابني مقتول في ارض الطف، وان امتي ستفتتن بعدي، ثم خرج الىٰ اصحابه فيهم علي وابو بكر وعمر وحذيفة وعمار وابو ذر رضي الله عنهم وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله. فقال: اخبرني جبريل: ان

---

(١) اخرجه: احمد في المسند ٦: ٢٩٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤٧٠، والخوارزمي في مقتل الحسين ١: ١٥٩، والمتقي في كنز العمال ١٢: ١٢٧، والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣: ٢٩٠.

ابني الحسين يقتل بعدي بارض الطف وجاءني بهذه التربة واخبرني انّ فيها مضجعه(١).

١٧ ـ اخرج الحافظ ابو القاسم الطبراني في «المعجم الكبير» لدىٰ ترجمة الحسين عليه السلام قال: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا الحسين بن الحريث، حدثنا الفضل بن موسىٰ بن عبدالله بن سعيد، عن ابيه، عن عائشة:

ان الحسين بن علي دخل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: يا عائشة ألا أعجبك لقد دخل علي ملك آنفاً مادخل علي قط، فقال: ان ابني هذا مقتول، وقال: إن شئت اريتك تربتة التي يقتل فيها، فتناول الملك بيده فأراني تربة حمراء(٢).

واخرج امام الحنابلة في المسند قال: ثنا وكيع قال: حدثني عبدالله بن سعيد عن ابيه عن عائشة او ام سلمة قال وكيع: شك، وهو يعني عبدالله بن سعيد ان النبي ﷺ قال لاحدهما: لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل قبلها، فقال لي: ان ابنك هذا حسين مقتول، وان شئت اريتك من تربة الارض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء(٣).

١٨ ـ اخبرتنا ام المجتبىٰ العلوية، قالت: قرأ علي ابي القاسم السلمي، أنبأنا ابو بكر بن المقرىء، انبأنا ابو يعلىٰ، انبأنا عبد الرحمن بن صالح، انبأنا عبد الرحيم بن سليمان، عن ليث بن ابي سليم، عن جوير بن الحسن العبسي، عن مولىٰ لزينب او عن بعض اهله، عن زينب قالت: بينا رسول الله ﷺ في بيتي وحسين عندي حين درج، فغفلت عنه فدخل علىٰ رسول الله ﷺ فجلس علىٰ

---

(١) اخرجه: الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٩.

(٢، ٣) المعجم الكبير: ١١٠.

بطنه ، قالت : فبال عليه ، فأنطلقت لأخذه ، فأستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : دعيه ، فتركته حتىٰ فرغ ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماءٍ فقال : انه يصب من الغلام ويغسل من الجارية ، فصبوا صباً ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قام يصلي ، فلما قام احتضنه اليه ، فاذا ركع او جلس وضعه ، ثم جلس فبكىٰ ، ثم مدّ يده (فدعا الله تعالىٰ) فقلت حين قضى صلاته : يا رسول الله اني رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك تصنعه قبل اليوم ؟! قال : ان جبريل اتاني فأخبرني ان هذا تقتله امتي !! فقلت : يا جبريل ارني تربة مصرعه ، فأراني تربة حمراء[١] .

١٩ ـ اخبرنا عفان بن مسلم ، ويحيىٰ بن عباد ، وكثير بن همّام ، وموسىٰ بن اسماعيل ، قالوا : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا عماربن ابي عمار ، عن ابن عباس قال : رأيت النبي فيما يرىٰ النائم ، وهو قائم اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي ماهذا ؟ قال : دم الحسين واصحابه انا منذ اليوم التقطه .

قال : فأحصي ذلك اليوم فوجده قتل ذلك اليوم[٢] .

٢٠ ـ عن ابن عباس في حديث طويل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الا وان جبرئيل قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كربلاء ، ألا فلعنة الله علىٰ قاتله وخاذله آخر الدهر . قال : ثم نزل عن المنبر ، ولم يبق احد من المهاجرين والانصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول . حتىٰ اذا كان في ايام عمر بن الخطاب واسلم كعب

---

(١) روه ابن عساكر في تاريخ دمشق : ٢٦٣ ، وابن حجر في المطالب العالية ١ : ٩ ، واحقاق الحق ١١ : ٣٩٦ .

(٢) انظر : مسند أحمد ١ : ٢٤٢ ، المعجم الكبير : ٢٨٢ ، المستدرك ٤ : ٣٩٧ ، الاستيعاب ١ : ١٩٦ ، تاريخ بغداد ١ : ١٤٢ ، دلائل النبوة ٦ : ٤٧١ ، التبصرة ٢ : ١٣ ، أُسد الغابة ٢ : ٢٣ ، تاريخ الاسلام ٢ : ٣٤٩ ، سير اعلام النبلاء ٣ ، ٢١٣ ، تهذيب الكمال ٣ : ٤٣٩ ، ابن حجر في الاصابة ١ : ٣٣٥ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٥٥ .

الاحبار ، وقدم المدينة ، جعل اهل المدينة يسألون عن الملاحم التي تكون آخر الزمان ، وكعب يحدثهم بانواع الملاحم والفتن ، فقال كعب لهم : واعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسىٰ ابداً ، وهو الفساد الذي ذكره الله تعالىٰ في الكتب وقد ذكره في كتابكم **﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾** وانما فتح بقتل هابيل ويختم بقتل الحسين بن علي[١] .

٢١ ـ اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق قال : اخبرنا ابو الغنائم بن ابي عثمان ، اخبرنا ابو الحسين بن بشران ، اخبرنا الحسين بن صفوان ، اخبرنا عبدالله بن ابي الدنيا ، نا عبدالله بن محمد بن هاشمي ابو عبدالرحمن النحوي ، نا معدي بن سليمان ، نا علي بن زيد بن جذعان قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع ، وقال : قتل الحسين والله ، فقال له اصحابه : كلا يا ابن عباس ، قال : رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم ، فقال : الا تعلم ما صنعت امتي من بعدي ؟ قتل ابني الحسين ، وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الىٰ الله عزّوجلّ .

قال : فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ذلك وتلك الساعة ، قال : فما لبثوا الا اربعة وعشرين يوماً حتىٰ جاءهم الخبر بالمدينة انه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة[٢] .

٢٢ ـ اخرج أحمد في المسند قال : حدثنا عفان ، نا حماد هو بن سلمة ، نا عمار عن ابن عباس ، قال : رأيت النبي ﷺ فيما يرىٰ النائم بنصف النهار ، وهو قائم اشعث اغبر ، بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بابي انت وامي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين واصحابه ، لم ازل التقطه من منذ اليوم ، فاحصينا ذلك اليوم ،

---

(١) انظر : مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٦٤ ، زينة المجالس ٢ : ١١٤ .

(٢) تاريخ دمشق ٤ ، ٣٤٠ .

فوجدوه قتل في ذلك اليوم[١].

٢٣ ـ عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: بينا الحسين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاه جبرئيل، فقال: يامحمد أتحبه؟ قال: نعم، قال: أما ان امتك ستقتله، قال: فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك حزناً شديداً، فقال: جبرئيل أيسرك ان اريك التربة التي يقتل فيها؟ قال: فخسف جبرئيل مابين مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى كربلا حتى التقت القطعتان هكذا، وجمع بين السبابتين، فتناول بجناحه من التربة، فناولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم دحا الأرض أسرع من طرف العين، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طوبى لكِ من تربة وطوبى لمن يقتل فيك[٢].

اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحسين يقتله يزيد

٢٤ ـ قال المسور بن مخرمة: لقد أتىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملك من ملائكة الصفيح الاعلىٰ، لم ينزل الىٰ الارض منذ خلق الله الدنيا، أستأذن ذلك الملك ربه ونزل شوقاً منه الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما نزل الىٰ الارض اوحىٰ الله عزّوجلّ اليه: ايها الملك اخبر محمداً بان رجلاً من امته يقال له (يزيد) يقتل فرخك الطاهر وابن

---

(١) مسند احمد ١: ٢٨٣. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤: ٣٤٠، وابن الاثير في أُسد الغابة ٢: ٢٢، والحافظ الكنجي في الكفاية: ٢١٠، والمحب الطبري في ذخائر العقبىٰ: ١٤٨، وابو المظفر في التذكرة: ١٥٢، والحافظ العراقي في طرح التهذيب ١: ٤٢، الهيثمي في المجتمع ٩: ١٩٤، وابن حجر في الصواعق: ١١٦، الخطيب العمري في مشكاة المصابيح ٢: ٢٧٢، والخطيب في تاريخ بغداد ١: ١٤٢، وفي الخصائص الكبرىٰ ٢: ١٢٦، وتاريخ الخلفاء: ١٣٩، والمستدرك ٤: ٣٩٧، وفي الاستيعاب ١: ١٤٤، عن طريق الحافظ ابي بكر بن ابي شيبة عن عفان بن مسلم بالاسناد واللفظ، فقال: هذا البيت زعموا قديماً لا يدري قائله:

أترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

(٢) بشارة المصطفىٰ: ٢١٤ ـ ٢١٥.

الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: الهي وسيدي، لقد نزلت وانا مسرور بنزولي لما أمرت، فجاء وقد نشر اجنحته حتىٰ وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، اني استأذنت ربي في النزول اليك، فليت ربي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر ولكني مأمور يا نبي الله، اعلم ان رجلاً من امتك يقال له (يزيد) يقتل فرخك الطاهر بن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معاقبة علىٰ اسوء عمله، فيكون من اصحاب النار[1].

٢٥ ـ اخرج الطبراني قال: حدثنا الحسن بن عباس الرازي، نا سليم بن منصور بن عمار، نا ابي، نا احمدبن يحيىٰ بن خالد بن حيّان الرقي، نا عمرو بن بكربن بكار القضبي، نا مجاشع بن عمرو قالا: نا عبدالله بن لهيعة عن ابي قبيل، حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص، ان معاذ بن جبل اخبره، قال:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متغير اللون فقال: انا محمد أوتيت فواتح العلم وخواتمه، فاطيعوني ما دمت بين اظهركم، فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عزّوجلّ أحلّوا حلاله، وحرموا حرامه، اتتكم الموتة، اتتكم بالروح والراحة بكتاب الله من الله سبق، اتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من اخذها بحقها وخرج منها كما دخلها.

أمسك يا معاذ واحص، قال: فلما بلغت خمسة قال: يزيد لا يبارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه، ثم قال: نعي إليّ الحسين، واتيت بتربته واخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدروهم وقلوبهم، وسلط الله عليهم شرارهم، والبسهم شيعاً ثم قال: واهاً لفرخ آل

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٦٣.

محمد صلى الله عليه وآله من خليفة مستخلف مترف ، يقتل خلف وخلف الخلف[١] .

٢٦ ـ قال الحافظ الخوارزمي ولما أتىٰ علىٰ الحسين من ولادته سنة كاملة ، هبط علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر ملكاً محمّرة وجوههم ، قد نشروا أجنحتهم ، وهم يقولون : يا محمد سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل ، وسيعطىٰ مثل أجر هابيل ، ويحمل علىٰ قاتله مثل وزر قابيل ، قال : ولم يبق في السماء ملك إلا ونزل علىٰ النبي يعزيه بالحسين ويخبره بثواب ما يعطىٰ ، ويعرض عليه تربته ، والنبي يقول : اللهم أخذل من خذله ، وأقتل من قتله ، ولا تمنعه بما طلبه .

ولما اتت علىٰ الحسين من مولده سنتان كاملتان ، خرج النبي في سفر فلما كان في بعض الطريق وقف فأسترجع ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك فقال : هذا جبريل يخبرني عن ارضٍ بشاطىء الفرات يقال لها : كربلاء ، يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة ، فقيل : من يقتله يا رسول الله ؟ فقال : رجل يقال له يزيد ، لا بارك الله في نفسه ، وكأني انظر الىٰ منصرفه ومدفنه بها ، وقد أهدىٰ رأسه ، والله ما ينظر أحد الىٰ رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه ـ يعني ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة ـ قال : ثم رجع النبي من سفره ذلك مغموماً ، فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن ، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنىٰ علىٰ رأس الحسين ، وقال : اللهم إني محمد عبدك ونبيك ، وهذان اطائب عترتي ، وخيار ذريتي ، وأرومتي ، ومن اخلفهما بعدي .

اللهم وقد أخبرني جبريل بان ولدي هذا مقتول مخذول ، اللهم فبارك لي في

---

(١) ذكر الحافظ السيوطي شطراً منه في الجامع الكبير ٦ : ٢٢٣ : لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان اما انه نعي الي حبيبي حسين ، اتيت بتربته ، ورأيت قاتله ، اما انه لا يقتل بين ظهراني قوم فلا ينصروه إلا عمهم الله بعقاب .

اخرجه الخوارزمي : ١٦٠ ـ ١٦١ عن الطبراني باسانيد ولفظه التام .

قتله ، واجعله من سادات الشهداء إنك علىٰ كل شيء قدير ، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله .

قال : فضح الناس في المسجد بالبكاء ، فقال النبي : أتبكون ولا تنصرونه ؟! اللهم فكن له انت ولياً وناصراً[١] .

عبور الانبياء ومرورهم بارض كربلاء

٢٧ ـ ذكر الحائري في دائرة المعارف قال : ان آدم عليه السلام لما هبط الىٰ الارض لم ير حواء فصار يطوف الارض في طلبها ، فمر بارض كربلاء فاعتل واعتاق وضاق صدره من غير سبب ، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتىٰ سال الدم من رجليه فرفع رأسه الىٰ السماء وقال : الهي هل حدث في شيء من ذنب آخر فعاقبتني به ! فاني طفت جميع الارض ما اصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الارض ، فأوحىٰ الله تعالى اليه : يا آدم ما حدث منك ذنب ، ولكن يقتل في هذه الارض من ولدك الحسين عليه السلام ظلماً فسال دمك موافقة لدمه ، فقال آدم عليه السلام : ومن قاتله ؟ قال : قاتله يزيد لعين اهل السموات والارض ، فقال آدم : فاي شيء اصنع يا جبرئيل ؟ فقال : العنه اربع مرات ، ومشىٰ خطوات حتىٰ وصل الىٰ جبل عرفات فوجد حواء هناك[٢] .

٢٨ ـ وان نوحاً لما ركب في السفينة طافت جميع الدنيا ، فلما مرت بأرض كربلاء اخذته الارض وخاف نوح الغرق ، فدعا ربه وقال : الهي طفت جميع الدنيا وما اصابني فزع مثل ما اصابني في هذه الارض ؟ فنزل جبرئيل فقال : يا نوح في

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٦٣ .

(٢) دائرة المعارف ٢ : ١٨٥ .

هذا الموضع يقتل الحسين عليه السلام ، فقال : من القاتل ؟ قال : لعين أهل السموات والارض يزيد ، فلعنه نوح اربع مرات فسارت السفينة حتىٰ بلغت الجودي واستقرت عليه[١] .

٢٩ ـ وان ابراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكبٌ فرساً ، فعثرت به وسقط ابراهيم عليه السلام وشج رأسه وسال دمه ، فأخذ في الاستغفار ، وقال : الهي أيُّ شيء حدث مني ؟ فنزل اليه جبرئيل وقال : يا ابراهيم ما حدث منك ذنبٌ ، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الانبياء وابن خاتم الاوصياء ، فسال دمك موافقة لدمه ، قال : يا جبرئيل ومن يكون قاتله ؟ قال : اللعين يزيد ، والقلم جرىٰ علىٰ اللوح بلعنه بغير أذن ربّه ، فأوحىٰ الله الىٰ القلم انك أستحقيت الثناء بهذا اللعن ، فرفع ابراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح ، فقال ابراهيم لفرسه : أي شيء عرفت حتىٰ تؤمن علىٰ دعائي ؟

فقال : يا ابراهيم انا افتخر بركوبك علي ، فلما عثرت وسقطت عن ظهري أخجلني ، وكان سبب ذلك من يزيد[٢] .

٣٠ ـ وان اسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعىٰ بشطِ الفرات فأخبره الراعي انّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذُ كذا يوماً ، فسأل ربّه عن سبب ذلك ؟ فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : يا اسماعيل : سل غنمك فانها تجيبك عن سبب ذلك ، فقال : لِمَ لا تشربن من هذا الماء ؟ فقالت بلسانٍ فصيح : قد بلغنا ان ولدك الحسين عليه السلام سبط محمد يُقتل عطشان ، فنحن لا نشرب من هذا المشرعة حزناً عليه . فسألها عن قاتله فقالت : يقتُلُه لعين أهل السموات والأرضين والخلائق أجمعين يزيد ، فقال

---

(١) دائرة المعارف ٢ : ١٨٦ .

(٢) المصدر السابق.

اسماعيل : اللهم العن قاتل الحسين[١] .

٣١ ـ وان موسىٰ كان ذات يوماً سائراً ومعه يوشع بن نون ، فلما جاء الىٰ أرض كربلاء أنخرق نعله ، وأنقطع شركه ، ودخل الحسك في رجليه ، وسال دمه . فقال : الهي أيُّ شيء حدث مني ؟ فأوحىٰ الله اليه ، ان هنا يقتل الحسين ، وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه ، فقال : ربّ ومن يكون الحسين ؟ فقيل له : هو سبط محمد المصطفىٰ وابن علي المرتضىٰ ، فقال : ومن يكون قاتله ؟ فقيل : هو يزيد لعين السمك في البحار ، والوحوش في القفار ، والطير في الهواء ، فرفع موسىٰ يديه ولعن يزيد ودعا عليه ، وأمن بن نون علىٰ دعائه ومضىٰ لشأنه[٢] .

٣٢ ـ وان سليمان عليه السلام كان يجلس علىٰ بساطه ويسيرُ في الهواء فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء ، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتىٰ خافوا السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء فقال سليمان للريح : لِمَ سكنت ؟ فقالت : ان هنا يقتل الحسين عليه السلام ، فقال : ومن قاتله ؟ قالت : اللعين يزيد ، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه ، وأمن دعاءه الانس والجن ، فهبت الريح وسار البساط[٣] .

٣٣ ـ وان عيسىٰ عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون ، فمروّا بكربلاء فرأوا أسداً كاشراً قد أخذ الطريق ، فتقدّم عيسىٰ الىٰ الأسد وقال له : لِم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرُّ فيه ؟ فقال الأسد بلسان فصيح : اني لن أدع لكم الطريق حتىٰ تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام ، فقال عيسىٰ : ومن يكون الحسين ؟ قال : سبط

---

(١) انظر : جمع الجوامع ١ : ٢٦ ، كنز العمال ١٢ : ١٢٢ ـ ١٢٧ ، تاريخ الاسلام ٣ : ١٠ ، سبط ابن الجوزي : ٢٥٠ ، ابن كثير في تاريخه ٨ : ١٩٩ .

(٢) كنزل العمال ١٢ : ٦٧٣ .

(٣ ـ ٢) دائرة المعارف ٢ : ١٨٧ .

محمد النبي الامي وابن علي الولي، قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع وخصوصاً أيام عاشوراء. فرفع يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن الحواريّون علىٰ دعائه، فتنحىٰ الاسد عن طريقهم ومضوا إلىٰ شأنهم[١].

إخبار الامام علي عليه السلام بقتل الحسين بأرض كربلاء

٣٤ ـ عن علي بن محمد، عن يحيىٰ بن زكريا، عن رجل، عن عامر الشعبي، قال: قال علي وهو علىٰ شاطىء الفرات: صبراً أبا عبدالله، ثم قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تفيضان، فقلت: أحدث حدث؟

فقال: أخبرني جبريل انّ حسيناً يقتل بشاطىء الفرات، ثم قال: أتحبّ أن أريك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضة من تربتها فوضعها في كفي، فما ملكت عيني ان فاضتا.

٣٥ ـ قال ابن سعد: اخبرنا عبدالله بن موسىٰ، قال: اخبرنا اسرائيل، عن أبي اسحاق، عن هانىء، عن علي قال:

ليقتلن الحسين بن علي قتلاً، واني لاعرف تربة الارض التي يقتل بها، يقتل بقرية قريب من النهرين.

٣٦ ـ في رواية يحيىٰ بن حماد، قال: حدّثنا ابو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن ميمون، عن شيبان بن محزم، قال: وكان عثمانياً يبغض علياً! قال: رجع علي من صفين، قال: فانتهينا الىٰ موضع، قال: فقال: ما يسمىٰ هذا الموضع؟ قال: قلنا: كربلاء، قال: ثم قعد علىٰ رابية، وقال: يقتل ها هنا قوم أفضل شهداء علىٰ وجه الارض لا يكون شهداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: قلت: بعض كذباته وربّ الكعبة! قال: فقلت لغلامي ـ وقسمة حمار ميت ـ جئتني برجل هذا

الحمار فأوقدته في المقعد الذي كان فيه قاعداً : فلما قتل الحسين قلت لاصحابي : إنطلقوا ننظر ، فانتهينا الىٰ المكان ، واذا جسد الحسين علىٰ رجل الحمار ، واذا اصحابه ربضة حوله[١] .

٣٧ ـ اخرج محب الدين الطبري ، قال : اخرج احمد وابن الضحاك عن علي رضي الله عنه قال :

دخلت علىٰ النبي ﷺ وعيناه تفيضان قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال :

قام من عندي جبريل عليه السلام قبل ، وحدثني : ان الحسين يُقتل بشطّ الفرات ، قال : فقال : هل لك الىٰ ان اشمك من تربته ؟ قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم املك عيني ان فاضتا[٢] .

٣٨ ـ اخرج احمد في المسند قال : نا محمد بن عبيد ، نا شرحبيل بن مدرك ، عن عبدالله بن نجىٰ ، عن ابيه ، انه سار مع علي عليه السلام ، فلما جاءوا نينوىٰ وهو منطلق الىٰ صفين ، فنادىٰ علي : أصبر أبا عبدالله ، أصبر أبا عبدالله بشط الفرات ، قلت : وماذا ؟ قال : دخلت علىٰ رسول الله ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان : قلت : يا نبي الله ! أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : بلىٰ ، قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني : ان الحسين يقتل بشط الفرات ، قال : فقال : هل لك ان اشهدك من تربته ؟ قال : قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم املك عيني ان فاضتا[٣] .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢٣٨ اخرجه ابن أبي الشيبة في المصنف ح ١٢ عن محمد بن عبيد بالاسناد واللفظ وفيه : صبراً ابا عبدالله .

(٢) ذخائر العقبىٰ : ١٤٨ .

(٣) انظر : مسند احمد ٢ : ٦٠ ـ ٦١ ، كنز العمال ١٣ : ٦٥٥ ، البخاري في التاريخ الكبير ٤ : ٢٥٣ .

٣٩ ـ اخرج نصر بن مزاحم في كتابه (صفين) عن سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسين بن كثير، عن ابيه: ان علياً اتىٰ كربلاء فوقف بها فقيل: يا امير المؤمنين هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم اومأ بيده الىٰ مكان فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، واومأ بيده الىٰ موضع آخر فقال: ها هنا مهراق دمائهم[١].

٤٠ ـ واخرج الحافظ ابو نعيم في دلائل النبوة، بالاسناد عن اصبغ بن نباتة قال: اتينا مع علي موضع قبر الحسين فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وموضع رحالهم، ومهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض[٢].

٤١ ـ وروى الحسين بن كثير وعبد خير قالا: لما وصل علي عليه السلام الىٰ كربلاء وقف وبكىٰ وقال: بأبي اغيلمه تقتل هاهنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجال، ثم زاد بكاؤه[٣].

٤٢ ـ وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه: قد روىٰ محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن ابي طالب: انه مر بكربلاء عند اشجار الحنظل وهو ذاهب الىٰ صفين.

فسأل عن اسمها فقيل: كربلاء، فقال: كرب وبلاء، فنزل وصلىٰ عند شجرة هناك ثم قال: يقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة، يدخلون الجنة بغير حساب، واشار الىٰ مكان هناك، فعلموه بشيء، فقتل فيه الحسين[٤].

---

(١) وقعة صفين: ١٤٢، طبقات ابن سعد: ٢٣٨.

(٢) ذكر السيوطي في الخصائص الكبرىٰ ٢: ١٢٦، ودلائل النبوة ٣: ٢١١.

(٣) رواه السبط ابن الجوزي تذكرة الخواص: ٦٤٢.

(٤) البداية والنهاية ٨: ٩٩.

٤٣ ـ ذكر الخوارزمي حديثاً اخرجه الحافظ الطبراني عن شيبان وكان عثمانياً قال: اني لمع علي إذ اتىٰ كربلاء، فقال: في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر[١].

فقال: وفي رواية ان أمير المؤمنين عليه السلام لما سار الىٰ صفين نزل كربلاء وقال لابن عباس: اتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكىٰ بكاءً شديداً، ثم قال: مالي ولآل ابي سفيان؟ ثم التفت الىٰ الحسين وقال: صبراً يا بني فقد لقي منهم أبوك مثل الذي تلقىٰ بعده[٢].

٤٤ ـ عن مصعب بن سلام، قال ابو حيان التميمي، عن ابي عبيدة، عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن ابي طالب صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلىٰ بنا صلاة، فلما سلّم رفع اليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهاً لك ايتها التربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، فلما رجع هرثمة من غزوته الىٰ امرأته، وهي جرداء بنت سمير، وكانت شيعة لعلي، فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك ابي الحسن؟ لما نزلنا كربلاء رفع اليه من تربتها فشمّها وقال: واهاً لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب وما علمُه بالغيب؟ فقالت: دعنا منك ايها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه الىٰ الحسين بن علي واصحابه، عرفتُ المنزل الذي نزل بنا علي فيه والبقعة التي رفع اليه من ترابها، والقول الذي قال، فكرهت مسيري فأقبلت علىٰ فرسي حتىٰ وقفت علىٰ الحسين، فسلّمت عليه، وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو

---

(١) مقتل الامام الحسين: ١٦٢.

(٢) سيرتنا وسنتنا: ١٢٣.

علينا ؟ فقلت : يا ابن رسول الله ، لا معك ولا عليك . تركت اهلي وولدي اخاف عليهم من ابن زياد . فقال الحسين : فول هرباً حتىٰ لا ترىٰ لنا مقتلاً ؛ فوالذي نفس محمد بيده لا يرىٰ مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلا ادخله الله النار .

قال : فأقبلت في الارض هارباً حتىٰ خفي عليَّ مقتله[١] .

ورواه ابن سعد بلفظ آخر ، قال :

اخبرنا يحيىٰ بن حماد ، قال : حدثنا أبو عوانه ، عن سليمان ، قال : حدثنا ابو عبيده الضبي ، دخلنا علىٰ أبي حين أقبل من صفين وهو مع علي ، وهو جالس علىٰ دكان وله أمرأة يقال لها : حرداء ، هي اشد حباً لعلي ، واشدّ لقوله تصديقاً . فجاءت شاة فبعرت ، فقال : لقد ذكرني بعض بعر هذه الشاة حديثاً لعلي ، قالوا : وما علم علي بهذا ؟

قال : اقبلنا فرجعنا من صفين فنزلنا كربلاء ، فصلىٰ بنا علي صلاة الفجر بين شجرات ودوحات حرمل ، ثم أخذ كفاً من بعر الغزلان فشمه ، ثم قال : أوه ، أوه يقتل بهذا الغائط قوم يدخلون الجنة بغير حساب . قالت حرداء : وما تنكرُ من هذا ؟ هو اعلم بما قال منك ، نادت بذلك وهي في جوف البيت[٢] .

٤٥ ـ عن مصعب بن سلام قال : حدثنا الاجلح بن عبدالله الندي ، عن ابي جُحيفة قال : جاء عروة البارقي الىٰ سعيد بن وهب . فسأله وأنا اسمع فقال : حديث حدّثنيه عن علي بن ابي طالب . قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم الىٰ عليَّ . فأتيته بكربلاء ، فوجدته يشير بيده ويقول : هاهنا هاهنا . فقال له رجل : وما ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال : ثقلٌ لآل محمد ينزل هاهنا ، فويلٌ لهم منكم ، وويلٌ لكم منهم .

---

(١) وقعة صفين : ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد (ترجمة الامام الحسين) : ٤٩ .

فقال له الرجل: ما معنىٰ هذا الكلام يا امير المؤمنين؟ قال: ويلٌ لهم منكم؛ تقتلونهم، وويلٌ لكم منهم؛ يدخلكم الله بقتلهم الىٰ النار[١].

٤٦ ـ عن علي بن الحسين، عن سعد، عن ابن عيسىٰ، عن محمد البرقي، عن عبد العظيم الحسني، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب الحارثي، قال: بينا نحن جلوس عند امير المؤمنين عليه السلام في الرحبة اذ طلع الحسين عليه السلام عليه فضحك علي حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال: ان الله ذكر قوماً فقال: ﴿فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين﴾ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا، ولتبكينّ عليه السماء والارض.

٤٧ ـ عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين عليه السلام مع امه تحمله فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، واهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من اعان عليك.

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة اي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الاذىٰ والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون الىٰ القتل، وكأني انظر الىٰ معسكرهم، والىٰ موضع رجالهم وتربتهم.

قالت: يا أبة واين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له: كربلاء هي دار كرب وبلاء علينا وعلىٰ الائمة، يخرج عليهم شرار امتي «لو انّ احدهم شفع» له من في السموات والارضين فاشفعوا فيه، وهم مخلّدون في النار.

قالت: يا ابة فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته احد كان قبله وتبكيه اهل السموات والارضين، والملائكة، والوحش، والحيتان، والنباتات، والبحار

---

(١) وقعة صفين: ١٤١.

والجبال ، ولو يؤذن لها ما بقي علىٰ الارض متنفس ، ويأتيه قوم من محبينا ليس اليه غيرهم اولئك مصابيح في ظلمات الجور ، وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غداً اعرفهم اذا وردوا علي بسيماهم وكل اهل دين يطلبون ائمتهم ، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا ، وهم قوام الارض : وبهم ينزل الغيث .

فقالت : فاطمة الزهراء عليها السلام : يا أبة إنا لله وبكت ، فقال لها :

يا بنتاه انّ افضل اهل الجنان هم الشهداء في الدنيا ، بذلوا انفسهم واموالهم بانّ لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً ، فما عندالله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة ، ومن كتب عليه القتل ، خرج الىٰ مضجعه ، ومن لم يقتل فسوف يموت ، يا فاطمة بنت محمد :

اما تحبين ان تأمري غداً بأمر فتطاعي في هذا الخلق عند الحساب ؟ اما ترضين ان يكون ابنك من حملة العرش ؟ اما ترضين ان يكون ابوك يأتونه يسألونه الشفاعة ؟ اما ترضين ان يكون بعلك قسيم النار ؛ يأمرُ النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ؟

اما ترضين ان تنظري الىٰ الملائكة علىٰ ارجاء السماء وينظرو اليك والىٰ ما تأمرين به ، وينظرو الىٰ بعلك اذا افلجت حجته علىٰ الخلائق ، وأمرت النار ان تطيعه ؟

اما ترضين ان تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شيء ؟ اما ترضين ان يكون من اتاه زائراً في ضمان الله ، ويكون من اتاه بمنزلة من حجّ الىٰ بيت الله الحرام واعتمر ، ولم يخل من الرحمة طرفة عين ، واذا مات مات شهيداً ، وان بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي ، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتىٰ يفارق الدنيا . قالت : يا ابة سلّمت ورضيت وتوكلت علىٰ الله ، فمسح علىٰ قلبها ومسح عينها ، وقال : إني وبعلك وأنتِ وابنيك في مكان تقرّ عيناك ويفرح

قلبك[١].

٤٨ ـ عن محمد الحميري، عن ابيه، عن احمد بن محمد بن يحيىٰ، عن محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن ابيه، عن جده عليه السلام انّ الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام دخل يوماً الىٰ الحسن عليه السلام فلما نظر اليه بكىٰ، فقال له: ما يبكيك يا ابا عبدالله؟ قال: ابكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: انّ الذي يؤتىٰ إليّ يدس إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا ابا عبدالله، يزدلف ثلاثون الف رجل يدّعون انهم من امة جدّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون علىٰ قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني امية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتىٰ الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار[٢].

العامة تعلم بمقتله عليه السلام في كربلاء

٤٩ ـ لقد صار واضحاً لدىٰ العامة بأن الامام الحسين سوف يقتل وان مقتله سيكون بأرض كربلاء، فقال ابن سعد:

اخبرنا علي بن محمد، عن عامر بن ابي محمد، عن الهيثم بن موسىٰ، قال: قال العريان بن الهيثم: كان ابي يتبدىٰ فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني اسد هناك، فقال له ابي: أراك ملازماً هذا المكان؟! قال: بلغني ان حسيناً يقتل هاهنا، فأنا اخرج لعلي اصادفه فأقتل معه، فلما قتل الحسين، قال ابي: انطلقوا انظروا هل الاسدي فيمن قتل؟

---

(١) العوالم ٨: ١٣٩.

(٢) المصدر السابق ٨: ٤٥٩.

فأتينا المعركة فطفنا فإذا الاسدي مقتول[١].

٥٠ ـ عن ابن سعد قال: حدثنا سليمان، حدثنا محمد بن محمد التمار البصري، حدثنا ابن كثير العبدي، حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن، عن علاء بن أبي عائشة، عن ابيه، عن رأس الجالوت، قال:

كنا نسمع انه يقتل بكربلاء ابن نبي فكنت اذا دخلتها، ركضت فرسي حتىٰ اجوز عنها، فلما قتل الحسين، جعلت أسير بعد ذلك علىٰ هنيتي[٢].

٥١ ـ روي عبدالله بن شريك العامري قال: كنت اسمع اصحاب علي عليه السلام اذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليهما السلام وذلك قبل قتله بزمان[٣].

---

(١) اخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٦٩ بأسناده عن ابي سعد: كان ابي يتبدىٰ اي يخرج الىٰ البادية، والرجل من بني اسد هو انس بن الحارث بن نبيه الصحابي.
قال البخاري في التاريخ الكبير ٢، ٣٠: أنس بن الحارث قتل مع الحسين بن علي سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
وقال ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل ٢: ٢٨٧: أنس بن الحارث له صحبة قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام وذكر عن انس بن الحارث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:
انّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يقتل بأرض يقال لها: كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره.
ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٩٩، والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١: ١٥٩: قتل أنس بن الحارث مع الحسين بن علي عليه السلام.
وذكره ابن الاثير في اسد الغابة ١: ١٤٦ وذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره، فقتل مع الحسين رضي الله عنه.
وترجم لابيه ايضاً ١: ٤١٧، وقال: روىٰ أنس بن الحارث بن نبيه عن أبيه الحارث بن نبيه، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الصفة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والحسين في حجره. يقول: انّ ابني هذا يقتل في ارض يقال لها: العراق فمن ادركه منكم فلينصره، فقتل الحارث بن انس مع الحسين.
(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٧٧، والطبراني ٣: ١١١.
(٣) الارشاد: ١٣١.

٥٢ ـ سمع عون بن ابي جحيفة قال : إنا لجلوس عند دار ابي عبدالله الجدلي ، فأتانا مالك بن صحار الهمداني فقال : دلوني علىٰ منزل فلان[١] ، قال : قلنا ألا ترسل اليه فيجيء قال : وكنا في الكلام اذ جاء ، فقال له ابن صحار :

اتذكر يوم بعثك مخنف الىٰ امير المؤمنين وهو بشاطىء الفرات ، فقال :

ليحلن هاهنا ركب من آل رسول الله ﷺ يمدّ بهذا المكان فتقتلونهم ، فويلٌ لكم منهم وويلٌ لهم منكم[٢] .

الحسين عليه السلام ينعىٰ نفسه

نتيجة للاخبار الواردة عن رسول الله ﷺ واهل بيته الاطهار بأن الحسين عليه السلام سيقتل بأرضٍ في العراق او شاطىء الفرات ، اكد الامام الحسين عليه السلام بأنه سيقتل برحلته هذه الىٰ العراق ، لذلك نعىٰ نفسه لكل من اراد ان يثنيه عن رحلته الىٰ العراق ، فقد صرح امام الملأ بقوله : (كأن أوصالي تقطعها غسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء) . وسنذكر هنا طائفة من الاخبار الواردة بهذا الخصوص .

٥٣ ـ قال ابن سعد : اخبرنا علي بن محمد ، عن الحسن بن دينار ، عن معاوية بن قرة قال : قال الحسين : والله ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت بنو اسرائيل في السبت[٣] .

٥٤ ـ قال ابن سعد : اخبرنا علي بن محمد ، عن جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : قال الحسين بن علي : والله لا يدعوني حتىٰ يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ! فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتىٰ يكونوا اذل من فرم الامه . فقدم

---

(١) هو سعيد بن وهب بعثه مخنف بن سليم الىٰ علي عليه السلام قال : فأتيته بكربلا فوجدته يشير بيده ويقول : هاهنا هاهنا .. الحديث .

(٢) رواه نصر بن مزاحم في وقعة صفين : ١٤١ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٦٠ .

العراق فقتل بنينوىٰ سنة احدىٰ وستين[١].

٥٥ ـ قال ابن سعد: دخل عبدالله بن عباس علىٰ الحسين فكلّمه طويلاً، وقال: انشدك الله ان تهلك بحال مضيعة، لا تأتي العراق، وان كنت لا بدّ فاعلاً فأقم حتىٰ ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم علىٰ ما يصدرون، ثم ترىٰ رأيك (وذلك في عشرة ذي الحجة سنة ٦٠).

فأبىٰ الحسين الا ان يمضي الىٰ العراق، فقال له ابن عباس: والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إني لاخاف ان تكون الذي يقاد به عثمان، فأنا لله وانا اليه راجعون.

فقال الحسين: ابا العباس انك شيخ قد كبرت، فقال ابن عباس: لولا ان يزري بي او بك لنشبت يدي في رأسك، لو أعلم انا اذا تناحينا اقمت لفعلت، ولكنّ لا اخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لان اقتل بمكان كذا وكذا احبّ إليّ ان تستحلّ بي ـ يعني مكة ـ قال: فبكىٰ ابنُ عباس، وقال: اقررت عين أبن الزبير فذلك سلىٰ بنفسي عنه، ثم خرج عبدالله بن عباس من عنده وهو مغضب وابن الزبير علىٰ الباب، فلما رآه قال: يا بن الزبير قد اتىٰ ما احببت، قرّت عينك، هذا ابو عبدالله يخرج ويتركك الحجاز، تم تمثل:

يـــالك مـــن قـــبّرةٍ بـــمعمرٍ خلا لكِ الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئتِ ان تنقري[٢]

---

(١) عن ترجمة الامام الحسين: حتىٰ تكونوا اذلّ من فرم الامة، هو بالتحريك ما تعالج به المرأة فرجها ليضيق، وقيل هو خرقة الحيض.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات من ترجمة الامام الحسين: ٦٠.
البيت لطرفة بن العبد، راجع قصته في مجمع الامثال ١: ٢٣٩، وربما نسب البيت الىٰ كلب بن ربيعة، راجع لسان العرب ٣: ٣٨٥.

واخرجه الحافظ يعقوب بن سفيان النسوي قال: حدّثنا ابو بكر، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا ابراهيم بن ميسرة، قال: سمعت طاووساً يقول: سمعت ابن عباس يقول:

استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت: لولا ان يزري ذلك بي او بك لنشبت يدي في رأسك، فكان الذي ردّ علي ان قال: لأن اقتل بمكان كذا وكذا احبّ اليّ من ان تنجدني ـ يعني مكة ـ قال ابن عباس: فذلك الذي سلىٰ نفسي عنه[١].

٥٦ ـ وعندما وصل الامام الحسين وأصحابه الىٰ ارض كربلاء قال: ما يقال لهذه الارض؟ فقالوا: كربلاء، ويقال لها: نينوىٰ قرية بها، فبكىٰ وقال: كربٌ وبلاء، اخبرتني امّ سلمة قالت: كان جبرئيل. الحديث[٢].

٥٧ ـ قال ابن سعد: اخبرنا موسىٰ بن اسماعيل قال: حدّثنا جعفر بن سليمان، عن زيد الرشك، قال: حدثني من شاهد الحسين، قال: رأيت أُبنية مضروبة بفلات من الارض فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه للحسين، قال: فأتيته فاذا شيخ يقرأ القرآن قال: والدموع تسيل علىٰ خديه ولحيته، قال: قلت: بابي وامي يابن رسول الله ما انزلك هذه البلاد والفلاة ليس بها احد؟ فقال هذه كتب اهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلا قاتلي، فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها، فيسلّط الله عليهم من يذلّهم حتىٰ يكونوا اذلّ من فرم الامة ـ يعني مقتنعها[٣].

٥٨ ـ ذكر ابن سعد في الطبقات قال: كتب عبدالله بن جعفر كتاباً يحذره اهل

---

(١) المعرفة والتاريخ ١: ٥٤١.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٥٠.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات من ترجمة الامام الحسين: ٦١.

الكوفة ويناشده الله ان يشخص اليهم ، فكتب اليه الحسين : اني رأيت رؤيا ، ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرني بأمر وانا ماضٍ له ، ولست بمخبر به احداً حتىٰ ألاقي عملي[١] .

٥٩ ـ عن يحيىٰ بن اسماعيل ، عن الشعبي : انّ سالماً[٢] قال : قيل لأبي عبدالله بن عمر : ان الحسين توجه الىٰ العراق ، فلحقه علىٰ ثلاث مراحل من المدينة ، وكان غائباً عند خروجه ، فقال : اين تريد ؟ قال : اريد العراق ، واخرج اليه كتب القوم ، هذه بيعتهم وكتبهم ، فناشده الله ان يرجع ، فأبىٰ ، فقال : احدثك بحديث ما حدثت به احداً قبلك : انّ جبريل اتىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، وانكم بضعة منه ، فوالله لا يليها احد من اهل بيته ابداً ، وما صرفه الله عنكما إلا ما هو خير لكم ، فانت تعرف غدر اهل العراق وما كان يلقي ابوك منهم ، فأبىٰ فاعتنقه ، وقال : استودعك الله من قتيل[٣] .

٦٠ ـ وروىٰ سالم بن ابي حفصة قال : قال عمر بن سعد للحسين بن علي عليهما السلام :

يا ابا عبدالله ان قبلنا ناساً سفهاء ، يزعمون أني اقتلك ، فقال له الحسين عليه السلام : «انهم ليسوا بسفهاء ، ولكنهم حلماء ، أما انه يقرُّ عيني الا تأكل برّ العراق بعدي الا قليلاً» .

وروى عبدالله بن شريك العامري قال : كنت اسمع اصحاب علي عليه السلام اذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون هذا قاتل الحسين بن علي ، وذلك قبل ان

---

(١) المصدر السابق : ٥٩ .

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر ، ويكنىٰ ابا عمر ، وكان من خيار فقهائهم ، وكان ابوه يلام في حبه ، مات في المدينة سنة مائة .

(٣) العقد الفريد ٤ : ٣٨٤ .

يقتل بزمان[١].

٦١ ـ وذكر ابو علي السّلمي البيهقي في تاريخه: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للحسين بن علي عليه السلام: إن لك في الجنة درجة لا تنالها إلا بالشهادة. قال السّلمي: فكان يعلم وقت اجتماع العسكر عليه انه مقتول، فصبر ولم يجزع حتىٰ نال الشهادة. عليه السلام[٢].

٦٢ ـ روىٰ عن ابن عباس: لمّا أراد ان يثني الحسين عليه السلام عن الخروج الىٰ العراق وابىٰ الحسين ذلك خرج منه وهو يقول: واحسيناه، انعى حسيناً لمن سمع[٣].

خاتمة البحث

بعد ان قمنا بعون الله بجمع الروايات المعتبرة والمتواترة، الواردة اغلبها من طريق العامة، بأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن ولده وثمرة فؤاده الحسين بن علي عليه السلام، يقتل بأرض في العراق تسمىٰ كربلاء، وأن المنحرفين من أمته سوف يجتمعون تحت راية الضلال والانحراف في هذه الارض، ويساهمون في قتل عترته الطاهرة.

وكان اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحادثة مقتل ولده الحسين عليه السلام من ضمن اخباره بحوادث كثيرة، وقعت منها في حياته، واخرىٰ بعد مماته، وقد تطرق المرجع الكبير المرحوم محمد الحسين آل كاشف الغطاء لهذا الموضوع بقوله: «والمناسبة

---

(١) انظر: الارشاد: ٢٥١. العوالم ١٧: ١٤٩ ح ٩. البحار ٤٤: ٢٦٣ ح ١٩.

(٢) انظر: ذخائر العقبىٰ: ١٤٨، جمع الجوامع ٦: ٢٢٣، الجامع الصغير ١: ١٣، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، الصواعق المحرقة: ١١٥، الصراط السوي: ٩٣، فيض الغدير ١: ٢٠٤.

(٣) انساب الاشراف ٣: ٢٧٤.

نقول: ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما أخبر بقتل ولده الحسين عليه السلام في كربلاء قبل وقوعه، ودفع لزوجته امّ سلمة من تربتها وآراها الجملة من اصحابه، كذلك أخبر بحوادث كثيرة ووقائع قبل وقوعها، فوقع بعضها في حياته، وبعضها بعد رحلته من الدنيا.

(فمن الاول) اخباره بفتح مكة ودخولهم المسجد الحرام آمنين مطمئنين، كما في القرآن الكريم، واخباره بغلبة الروم علىٰ الفرس في بضع سنين، كما في القرآن ايضاً، وأخباره بأن كسرىٰ قد مات أو قتل، وأخباره بالكتاب الذي مع حاطب بن بلتعه وكثير من امثالها.

(ومن الثاني) اخباره بأن اصحابه يفتحون ممالك كسرىٰ وقيصر، وان اصحابه يختلفون في الخلافة من بعده، واخباره بمقتل عثمان، وشهادة امير المؤمنين بسيف ابن ملجم، وبسم ولده الحسن، وغلبة بني امية علىٰ الامة، وبشهادة قيس بن ثابت الشماس، وبفتح الحيرة البيضاء، وقضية المرأة التي وهبها لبعض اصحابه، ولمّا فتح الحيرة خالد بن الوليد طلبها منه، واستشهد بشاهدين من الصحابة فدفعها له وهي الشيماء اخت عبد المسيح بن بقيلة كبير النصارىٰ وقسهم الاعظم، الىٰ كثير من امثال هذه الوقائع التي لو جمعت لكانت كتاباً مستقلاً»[1].

لكن هذه الامة التي أراد لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تكن خير الامم، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر قد طعنت رسول الله في خاصرته، وخذلته في أحب الخلق اليه وهم اهل بيته.

لقد تجمع اعوان الضلال والانحراف علىٰ قتل ذريته الطاهرة شر قتلة، ومزقتهم شر ممزق، وكان امير المؤمنين عليه السلام يقول ايام صفين: «والله ما سمعت ان

---

(١) الارض والتربة: ٦٣.

امة آمنت بنبيها قاتلت اهل بيته غيركم»[١]. ورسول الله يؤكد علىٰ لزوم الامة بمودة اهل بيته، ورعايتهم اكمالاً للدين، واتماماً للنعمة[٢].

وروىٰ عن الحسن انه قال: إنا من اهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالىٰ: ﴿قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربىٰ ومن يقترف حسنة نزد له بها حسناً﴾ فالحسنة مودتنا اهل البيت[٣].

لكن هذه الامة التي لم تلتزم بوصايا الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بمودة أهل بيته، ولم تكتفِ بهذا بل ذهبت أبعد من ذلك، من قتلهم وتشريدهم، والتاريخ شاهد علىٰ ما ارتكبوه من اجرام واضطهاد بحقهم، واصبحت اعمالهم الشائنة هذه محل سخرية واستهجان حتىٰ من غير المسلمين، كما في رواية ابن أبي لهيعة عن ابن الاسود، قال: لقيتُ رأس الجالوت، فقال: إن بيني وبين داود سبعين اباً، وان اليهود اذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا اب واحد قتلتم ابنه[٤].

فإذا كان حال آل الرسول هذه، فكيف الحال وبقية احكام الدين التي جاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته الميامين من أجل تطبيقها لانتشال الامة من براثن الجاهلية الىٰ مواقع السمو والرفعة. وما كان علىٰ الحسين عليه السلام وهو حفيد رسول

---

(١) مناقب الخوارزمي: ١٦٥.

(٢) عن محمد بن خالد، قال: قال ابراهيم النخعي: لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحيت ان انظر الىٰ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. انظر العقد الفريد ٤: ٣٨٢.

(٣) الارشاد: ٢٥٤.

(٤) العقد الفريد ٤: ٣٨٢.

الجالوت: الجالية من اليهود، اي الذي جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس.

ورأس الجالوت: رئيسهم، وكان من ولد داود عليه السلام. انظر مفاتيح العلوم الخوارزمي: ٣٤.

الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يفعل وهو يرىٰ احكام الدين قد تعطلت، والانحراف والعودة الىٰ الجاهلية التي اخذت تدب في اوصال امة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال عليه السلام في احدىٰ خطبه: «ان هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، فأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء»[١].

وما كان علىٰ الامام الحسين عليه السلام وهو سيد قريش ان يفعل، وقد رقىٰ منبر جده شخصية متهتكة مثل يزيد، الذي يجاهر بأفعاله المنكرة علىٰ مسمع ومرأى من الامة، علاوة علىٰ رسل اهل العراق التي كانت تصل الىٰ الامام الحسين تحثه علىٰ الخروج اليهم، والالتفاف حول قيادته الرشيدة، لانتشال الامة من هاوية السقوط والعودة بها الاسلام المحمدي الاصيل، ومن جملة ما كتب له اهل الكوفة خمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والاربعة، وكتبوا معهما:

«اما بعد فحيّ هلا، فإن الناس منتظرون لا إمام لهم غيرك، فالعجل، ثم العجل، ثم العجل، والسلام»[٢].

وكتب اليه اشراف الكوفة ايضاً منهم شبث بن ربعي، وحجار بن ابجر، وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم: «اما بعد، فقد اخضر الجناب، وايعنت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم علينا، فأنما تقدم علىٰ جندٍ لك مجندة، والسلام»[٣].

بعد هذا، هل يُعذر الحسين بعدم خروجه الىٰ العراق، والامة هناك، وعدته في انتظاره ليبدأ بهم عملية التغيير الفعلي بعدما أصيب دين جده صلى الله عليه وآله وسلم، والعودة للنهج الصحيح الذي شذ عنه بنو امية منذ الوهلة الاولىٰ لاستحواذهم علىٰ زمام

---

(١) انساب الاشراف ٣: ٣٨١.

(٢ ـ ٣) المصدر السابق ٣: ٣٧٠.

السلطة وقياة الامة .

لذلك لم يجد الامام الحسين عليه السلام بداً من الموافقة علىٰ طلب اهل العراق بالخروج اليهم ، علىٰ الرغم من المخاطر الجسيمة التي كانت تحفُ به ، وهو علىٰ يقين بأن هؤلاء القوم لا يفون له ، لكنه عليه السلام أراد ان يلقي الحجة علىٰ قوم عابوا علىٰ أخيه الحسن من قبل بعد ان صالح معاوية عندما وجد فيهم التخاذل والتقاعس .

قرر الامام الحسين عليه السلام الخروج الىٰ العراق علىٰ الرغم من تحذيرات بعض الناس له ، ومنعه من الخروج ، لكنه عليه السلام أصرَّ علىٰ الخروج ، لانه كان يرىٰ في افق لا ترىٰ الناس مثله ، فعندما منعته ام سلمة من الخروج ، قال لها : «اني والله مقتول وان لم أخرج للعراق» .

ثم سار الركب متوجهاً الىٰ العراق ، الىٰ الارض ذات التربة الحمراء التي أبكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الىٰ ارض كربلاء التي كانت علىٰ موعدٍ مع الملحمة التاريخية التي اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الامين جبرئيل عليه السلام .

لقد شهدت كربلاء دم آل الرسول يسيل علىٰ بطائحها وهم مجندلون علىٰ رمضائها ، لقد شهدت كربلاء أراذل عبيدالله بن زياد وهم يجولون علىٰ صدر الحسين ، وآخرين يتسابقون لاحراق خيم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. ومن بين صخب القوم وضجيجهم يخرج صوت يشق عباب صحراء كربلاء : «يا محمداه ، صلىٰ عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء ، مرمل بالدماء ، مقطع الاعضاء ، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الرياح»[1] .

نعم لقد كان صوت العقيلة زينب عليها السلام يصك السمع ، ويخترق الحجب ، ولا زالت صحراء كربلاء تردد صداه علىٰ مر الزمن والتاريخ «واثكلاه ، ليت الموت

---

(١) انساب الاشراف ٤ : ٨١ .

أعدمني الحياة، ماتت فاطمة امي وعلي ابي، والحسن اخي، يا خليفة الماضي وثمالة الباقي»[١].

وهكذا انتهت ملحمة كربلاء، وصار الانتصار المزعوم خزياً وعاراً، وعاد القتلة تلاحقهم اللّعنات اينما حلّوا، وقد خسروا خسراناً مبيناً[٢].

* * *

(١) انساب الاشراف ٣: ٣٩٣.

(٢) ذكر الطبري قال: دخل زحر بن قيس علىٰ يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا اليهم فسألناهم ان ينزلوا علىٰ حكم الامير عبيدالله أو القتال، فأختاروا القتال، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتىٰ أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون الىٰ غير وزر ويلوذون بالأكام والحفر، كما لاذ الحمام من صقر، فوالله ما كان الا جزر جزور، أو نومة قائل، حتىٰ أتينا علىٰ آخرهم فهاتيك أجسادهم مجرّدة وثيابهم مرّملة، وخدودهم معفرّة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان والرّخم.

الطبري ٥: ٤٥٦.

وذكر ابن الاثير: قال الناس لسنان بن أنس النّخعي: قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قتلت اعظم العرب خطراً، أراد أن يزيل ملك هؤلاء، فأتِ أمراءك فأطلب ثوابك منهم فأنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله كان قليلاً.

فأقبل علىٰ فرسه، حتىٰ وقف علىٰ باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته:

أوقِرْ ركابي فضّة او ذهباً ... إنّي قتلت السيد المُحجّبا

قتلتُ خير الناس أمّا وأباً ... وخيرهم إذ يُنسبونَ نسَبا

الفصل الثالث

فضل كربلاء والحائر الحسيني

فضل كربلاء

لقد اطلت كربلاء علىٰ اوسع نافذة من منافذ التاريخ، بعد قيام الحسين عليه السلام بمسيرته التاريخية اليها، وهي الثورة علىٰ الظلم ودك صروح الطغيان، حتىٰ استشهد مع اهل بيته واصحابه، ومن ذلك الحين حلّت كربلاء محل الاجلال والتقديس لعامة المسلمين الذين أهتزت مشاعرهم لهول الجريّمة الشنعاء، التي ارتكبها الطغاة في تنكيل عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرة، حتىٰ اصبحت كربلاء المسرح الذي تمثلت فيه صورة الرفض والتحدي للواقع الفاسد الذي مثلته بنو امية خير تمثيل.

ولا ريب فأن كربلاء التي تشرفت من دون بقاع العالم، وضمّت بين جنباتها سبط الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فما هو الا تكريم من الله سبحانه وتعالىٰ لهذه البقعة الطاهرة، التي أصبحت محط انظار المسلمين، ومهوىٰ افئدتهم، والتواقين منهم للثورة ضد التعسف والظلم.

ومن هنا جاءت روايات اهل البيت عليهم السلام في تشريف هذه البقعة المباركة التي اصبحت مثوىً للحسين صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته واصحابه، وقد ورد عن الصادق عليه السلام انه قال: «إن الله أتخذ بفضل قبره كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل ان يتخذ مكة

حرماً»[١]. ووصفها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما في رواية الامام الصادق عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هي البقعة التي كانت فيها قبة الاسلام، التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان»[٢].

وفي بعض الروايات ان الله سبحانه وتعالىٰ فضلها علىٰ بقاع الارض، حتىٰ تجاوزت بفضلها أرض مكة كما ورد في رواية ابي عبدالله انه قال:

«ان أرض كعبة قالت: من مثلي، وقد بنىٰ الله بيته علىٰ ظهري ويأتيني من كل فجٍّ عميق، وجُعِلتُ حرم الله وأمنه؟ فأوحىٰ الله اليها كُفي وقرّي، فوعزتي وجلالي مافضل ما فضلت به فيما اعطيت به ارض كربلاء إلا بمنزلة الابرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته ارضُ كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقرّي واستقرّي وكوني دنياً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لارضِ كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»[٣]. وفي رواية صفوان الجمّال قال:

سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: ان الله تبارك وتعالىٰ فضل الارضين والمياه علىٰ بعض، فمنها ما تفاخرت، ومنها ما بغت، فما من ماءٍ ولا أرضٍ إلا عوقبت لتركها التواضع لله، حتىٰ سلط الله المشركين علىٰ الكعبة فأرسل الىٰ زمزم ماءً مالحاً حتىٰ أفسد طعمهُ، وأنّ أرض كربلاء وماء الفرات[٤] أول أرض وأول ماءٍ قدّس الله تبارك

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٩.

(٢) المستدرك ١٠: ٣٢٤، بحار الانوار ١٠١: ١٠٩.

(٣) كامل الزيارات: ٢٧٩، الوسائل ١٤: ٥١٥، بحار الانوار ١٩: ١٠٦.

(٤) وروي عن الصادق عليه السلام في فضل ماء الفرات، قال فيه: «روي ان ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق شرب من ماء الفرات ثم استزاد واستزاد، فحمد الله وقال: نهر ما اعظم بركته! ولو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا علىٰ حافته القباب. ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة الا برىء».

وتعالىٰ، فبارك الله عليها فقال لها: تكلمي بما فضلّك الله تعالىٰ فقد تفاخرت الارضون والمياه بعضها علىٰ بعضٍ، قالت: أنا أرضُ المقدّسة المباركة، الشفاء في تربتي وماءي، ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل ذلك، ولا فخر علىٰ من دوني، بل شكراً لله، فأكرمها وزاد في تواضعها وشكرها الله بالحسين عليه السلام واصحابه، ثم قال ابو عبدالله عليه السلام: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله تعالىٰ»[١].

وفي رواية عن ابن الجارود قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «اتخذ الله ارض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل ان يخلق الله أرضُ الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين الف عام، وانه اذا زلزلَ الله تبارك وتعالىٰ وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وافضل مسكن في الجنّة، لا يسكنها الا النبيون والمرسلون، او قال ـ اولوا العزم من الرسل ـ وانها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهرُ الكوكب الدّري بين الكواكب لاهل الارض يغشي نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: انا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمّنت سيد الشهداء وسيد شباب اهل الجنة»[٢].

ومثله روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: «خلق الله تبارك وتعالىٰ ارض كربلاء قبل ان يخلق الكعبة بأربعة وعشرين الف عام، وقدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل ان يخلق الله الخلق مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك حتىٰ جعلها الله افضل ارض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه اولياءه في الجنة»[٣].

لقد جاءت الروايات متواترة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام بفضل أرض كربلاء التي

---

(١) انظر: كامل الزيارت: ٢٨٤، الوسائل ١٤: ٥١٦، المستدرك ١٠: ٣٢٤، بحار الانوار ١٠١: ١٠٩.

(٢) انظر: التهذيب ٦: ٧٢، الوسائل ١٤: ٥١٦، البحار ١٠١: ١٠٧.

(٣) المستدرك ١٠: ٣٢٣، وبحار الانوار ١٠١: ١٠٨.

استحقت هذه القدسية وهي تحت المسلمين علىٰ الاكثار من زيارة الحسين عليه السلام في كربلاء والتبرك بتربته الطاهرة حتىٰ ذكر عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: «من بات ليلة عرفة في كربلاء واقام بها حتىٰ يعيد وينصرف وقاه الله شر سنته»[١].

نعم هذه كربلاء التي قال عنها امير المؤمنين عليه السلام: «طوبىٰ لك من تربة عليك تهرق دماء الاحبة»[٢]، ثم قال عليه السلام ايضاً: «قبض فيها مائتا نبي ومائتا وصيّ ومائتا سبط كلهم شهداء بأتباعهم»[٣].

فضل الحائر الحسيني

بعد ان تطرقنا الىٰ فضل كربلاء بشكل عام، وبيّنا مالها من الفضل والتشريف علىٰ بقاع الدنيا، فلا بد ان يكون للموضع الذي حوىٰ الجسد الطاهر للحسين السبط عليه السلام من حرمة وتشريف علىٰ أرض كربلاء بشكلٍ عام.

اذا كانت كربلاء قد كرمت علىٰ بقاع العالم، فالحائر الذي ضمّ جدث الحسين قد فاق بالشرف والقدسية علىٰ كربلاء، التي شرفها الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ بقاع الارض قاطبة.

لقد جاءت هذه المنزلة التي خصّها الله تعالىٰ لموضع قبر الحسين عليه السلام (الحائر) علىٰ لسان الامام الصادق عليه السلام كما جاء في رواية ابن قولويه، عن اسحاق بن عمّار، قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول:

«موضع الحسين عليه السلام منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنّة، وفي رواية قال: موضع قبر الحسين عليه السلام ترعة من ترع الجنة»[٤].

(١ ـ ٢) كامل الزيارات: ٢٨١.

(٣) الوسائل ١٤: ٥١٦.

(٤) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، ثواب الاعمال: ١٢٠، المستدرك ١٠: ٣٢٤.

وعنه عليه السلام قال: «إنّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أُجير، ثم قال وقبره منذ يوم دخل روضة من رياض الجنة، ومنها يعرج فيه بأعمال زواره عليه السلام الىٰ السماء، وليس ملك ولا نبي في السموات إلا ويسألون الله ان يأذن لهم لزيارة الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج»[١].

نستلخص من الروايات المذكورة فضل موضع قبر الحسين عليه السلام الذي أُطلق علىٰ هذا الموضع بالحائر، وقد حدد الامام جعفر الصادق عليه السلام موضع الحائر وحث شيعته علىٰ زيارته منذ انقراض دولة بني امية، وزوال الخوف الذي كان يراود الشيعة في زمن دولتهم، وقبل ان ينحرف بنو العباس عن نهج الثورة التي بواسطتها اسقط النظام الاموي عام ١٣٢ هـ وفي اثناء تلك الفترة أزداد التشيع بشكل ملحوظ، وِ خذت الشيعة تتطلع الىٰ زيارة قبر الحسين عليه السلام بعدما أدىٰ أئمة اهل البيت عليهم السلام دوراً فعالاً في توجيههم نحو القيم والمثل العليا التي يتحلون بها، ومنها الادمان علىٰ زيارة قبر الحسين عليه السلام، وكان للامام الصادق عليه السلام دور بارز في هذا المجال، وقد قام بتحديد ابعاد الحائر الحسيني كما جاء في رواية ابن قولويه، عنه عليه السلام قال: «قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً روضة من رياض الجنة»[٢].

إذن حدّد الامام أبعاد الحائر المقدس في أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني من الهجرة، وبناءً علىٰ ذلك فان تحديد الحائر يرجع الىٰ عهد اول بناء وضع حول المشهد المقدس كما جاء في تحديد محمد بن احمد بن إدريس الحلي للحائر، فقال: «المراد من الحائر مادار سور المشهد والمسجد عليه، لان ذلك هو الحائر حقيقة، لان الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه

---

(١) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، التهذيب ٦: ٧١.

(٢) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٦، الوسائل ١٤: ٥١٢، ثواب الاعمال: ١١٩، الكافي ٤: ٥٨٨.

الماء»[١].

أما الحرم فهو أوسع من الحائر بكثير كما جاء في رواية عن الصادق عليه السلام قال: «حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من جانب القبر»[٢].

وفي رواية أخرىٰ قال عليه السلام: «حُرمة قبر الحسين فرسخ في فرسخ في أربعة جوانب القبر»[٣]. من هنا جاء التمييز بين الحائر والحرم، وربما جاءت مساحة الحرم التي حددها الامام الصادق عليه السلام بخمس فراسخ من جوانب القبر أو في فرسخ من جهاته الاربعة، ضمن الاراضي التي ابتاعها الحسين عليه السلام اثناء نزوله بكربلاء بقيمة ستين ألف درهم من أصحابها سكان الغاضرية ونينوىٰ، وكانت مساحتها أربعة أميال في أربعة أميال وتصدّق عليهم، وشرط ان يرشدوا الىٰ قبره وأن يضيفوا من زواره ثلاثة أيام، وقد اكد الامام الصادق عليه السلام هذه الرواية حيث قال: «حرم الحسين عليه السلام الذي اشترىٰ أربعة أميال في أربعة أميال فهو حلال لولده ومواليه، حرام علىٰ غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة»[٤].

أمّا الحائر فقد وردت فيه روايات مرفوعة الىٰ الامام الصادق عليه السلام، بان له حرمة وفضلاً عند الله سبحانه وتعالىٰ، ففي رواية اسماعيل بن جابر، مرفوعة الىٰ الامام الصادق عليه السلام قال: «تتم الصلاة في أربعة مواضع: في المسجد الحرام، وفي مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وفي مسجد الكوفة، وفي حائر الحسين عليه السلام»[٥].

وروىٰ ابو زياد القندي، قال: قال ابو الحسن عليه السلام: «احب لك ما احب لنفسي

---

(١) الحدائق الناظرة ٢: ٣٤٥.

(٢) التهذيب ٦: ٧١، بحار الانوار ١٠١: ١١١.

(٣) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، الوسائل ١٤: ٥١٠، المستدرك ١٠: ٣٢٠.

(٤) تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٤٤.

(٥، ٤) مصباح المتهجد: ٧٣١، بحار الانوار ٨٩: ٧٧.

واكره لك ما اكره لنفسي، تتم الصلاة في الحرمين، وبالكوفة، وعند حرم الحسين»[١].

وروي ابو حذيفة بن منصور قال: حدّثني من سمع ابا عبدالله عليه السلام يقول:

«تتم الصلاة في المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين»، وفي خبر آخر وفي حرم الله وحرم رسوله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين[٢].

لقد حاز الحائر الحسيني هذه الفضيلة العظيمة بأتمام الصلاة فيه كما تتم الصلاة في الحرمين، ومسجد الكوفة، لكن الامام الصادق عليه السلام في روايته السالفة تجاوز الحائر حتىٰ شمل الحرم جميعه بأتمام الصلاة فيه، وهذا دليل علىٰ أن الحرم الحسيني هو مستقر لعامة المسلمين، كما أصبح الحرمين مستقراً لهم، ومن هذه الحالة تتم الصلاة فيهما.

وكان ائمة اهل البيت عليهم السلام يَعلَمُون ما للحائر الحسيني من فضل عظيم وهو بقعة مطهرة، فكانوا عليهم السلام عند ضنك الحياة يلجأون الىٰ الحائر الحسيني بالدعاء والتوسل الىٰ الله تعالىٰ، فلعمري اذا كان موضع قبر الحسين روضة من رياض الجنة، وتتم الصلاة فيه فأنه حري علىٰ الله وهو يحبُ ان يُدعىٰ فيه والدعاءُ فيه مقبول، ويضاعف فيه الاجر والثواب.

ففي رواية ابن قولويه، عن ابي هاشم الجعفري قال: «بعث إلي ابو الحسن عليه السلام في مرضه، وإلىٰ محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، وأخبرني انه مازال يقول: ابعثوا الىٰ الحائر [ابعثوا الىٰ الحائر]، فقلت لمحمد: ألا قلت: أنا اذهب الىٰ الحائر؟!

---

(٢) مصباح المتهجد: ٧١٣، بحار الانوار ١٠١: ١١١.

ثم دخلت عليه فقلت: جعلت فداك انا ذاهب الىٰ الحائر؟ فقال: انظروا في ذلك، ثم قال: ان محمداً ليس له سر من زيد بن علي، وانا اكره ان يسمع ذلك قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ماكان يصنع بالحائر وهو الحائر!

فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي: اجلس (اردت القيام)، فلما رأيته أنس بي وذكرت قول علي بن بلال، فقال لي: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر، وحرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمن اعظم من حرمة البيت، وأمره الله ان يقف بعرفة، وانما هي مواطن يذكر فيها، فانا احب ان يدعىٰ لي حيث يحب الله ان يدعىٰ فيها، والحائر من تلك المواضع»[1].

وفي رواية اخرىٰ عن ابي هاشم الجعفري قال: «دخلت انا ومحمد بن حمزة عليه (اي الحسن العسكري) نعوده وهو عليل، فقال: لنا وجّهوا قوماً الىٰ الحائر من مالي، فلمّا خرجنا من عنده، قال لي محمد بن حمزة: أنسير بوجهنا الىٰ الحائر وهو بمنزلة من في الحائر. قال: فعدت اليه فأخبرته، فقال لي: ليس هو هكذا (ان لله مواضع يحب ان يعبد فيها، وحائر الحسين من تلك المواضع)»[2].

وعنه ايضاً قال: دخلت علىٰ ابي الحسن علي بن محمد عليهما السلام وهو محموم عليل فقال لي: يا ابا هاشم ابعث رجلاً من موالينا يدعو الله لي، فخرجت من عنده فأستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي، وسألته ان يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمعُ والطاعة، ولكني اقول: أنه افضل من الحائر، اذ كان بمنزلة من في الحائر، ودعاؤه لنفسه افضل من دعاءنا له بالحائر.. فأعلمته عليه السلام بما قال، فقال

---

(١) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٦، الوسائل ١٤: ٣٤٦، الكافي ٤: ٥٦٧، المستدرك ١٠: ٣٤٦، بحار الانوار ١٠١: ١١٢.

(٢) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٧، المستدرك ١٠: ٣٤٦، بحار الانوار ١٠١: ١١٣.

لي: قل له: كان رسول الله ﷺ افضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وان لله بقاعاً يحبُ ان يدعىٰ فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها.

نستلخص من هذه الرواية وان تعددت اساليب الرواة، ان الحائر من البقاع المطهرة، وان الله تعالىٰ يحب ان يذكر فيه، ويقبل الدُعاء من هذا الموضع الشريف[١].

فضل تربة قبر الحسين عليه السلام

(التُّربة) لغة بمعنىٰ مطلق التّراب، فالتَّرب والتّربة، والتّراب، لها معنىٰ واحد معروف. لكنها صارت حقيقة عرفية في بعض اقسام التراب وهو (التربة الحسينية)، وهو التَّراب المأخوذ من القبر، او الموضوع علىٰ الصندوق، أو الموضوع في الحائر، وهو ما يصح اطلاق العرف علىٰ الطين المأخوذ من القبر لو وجد. بل اطلقت التربة علىٰ كون المقصود فيها طين القبر، ومنه قول الصادق عليه السلام: «وقد بلغني ان بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخفُّ فيها»[٢].

لقد حثّ الائمة الاطهار شيعتهم بالتبرك بتربة الحسين عليه السلام، حتىٰ صاروا يحلمونها معهم للتبرك او للسجود عليها عند كل صلاة، وقد انتشرت هذا العادة بين المسلمين منذ بداية الدعوة اي في السنة الثالثة للهجرة، عندما وقعت الحرب بين المسلمين والمشركين في موقعة أحد، وقد انهّد فيها اعظم ركن للاسلام، واقوىٰ حامية من حماته، وهو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ وأخوه من

(١) كامل الزيارات: ٢٨٧، بحار الانوار ١٠١: ١١٣.

(٢) الارض والتربة الحسينية: ٢٨.

الرضاعة ، فعظمت مصيبته علىٰ النبي وعلىٰ عموم المسلمين ، لا سيما وقد مثلت هنداً ام معاوية تلك الشنيعة التي قطعت اعظاءه واستخرجت كبده فلاكتها ثم لفظتها ، وامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نساء المسلمين بالنياحة عليه في كل مأتم ، واتسع الامر في تكريمه الىٰ ان صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به ويسجدون عليه لله تعالىٰ ، ويعملون المسبحات منه . وتنص بعض المصادر ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرت علىٰ ذلك ، ولعلها أول من ابتدأ بهذا العمل في حياة ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعل بعض الملسمين أقتدىٰ بها ، وكان لقب حمزة يومئذ سيد الشهداء ، وسماه النبي أسد الله وأسد رسوله[١] .

ويؤيد ما ذكره الشيخ المجلسي : عن محمد بن ابراهيم الثقفي ، عن أبيه ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات ، وكانت تديرها بيدها تكبر وتسبح حتىٰ قتل حمزة بن عبد المطلب ، فأستعملت تربته وعملت منها المسابح فأستعملها الناس[٢] .

فكانت عادة الناس تقديس تربة الشهداء ، وتربة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتربة بعض الصحابة ايضاً ، والاستشفاء بها عادة مألوفة عند المسلمين الاولين ، فعندما استشهد حمزة سيد الشهداء صاروا يأخذون من تربته للأستشفاء ومعالجة الصداع . وكذلك كانوا يتبركون ويتداون بتراب حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[٣] .

فعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاروا يأخذون من تربته الشريفة كما يستفاد ذلك

---

(١) الارض والتربة الحسينية : ٦٠ .

(٢) بحار الانوار : ١٤٦ .

(٣) كربلاء وفضل الحائر : ١١٩ .

مما نقله السيد نور الدين الشافعي بما نصه: «كانوا يأخذون من تراب القبر (يعني قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم) فأمرت عائشة بجدار فضرب عليه، وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكود فسدت»[١].

وقد تعدت هذه العادة حدود تربة الشهداء والنبيين الىٰ تربة بعض من الصحابة، فكانوا يتبركون ويتداون بتربة صهيب الرومي وغيره.

ويظهر أن أول من صلىٰ من المسلمين، بل من أئمة المسلمين علىٰ تربة الامام الحسين عليه السلام، هو زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، بعد ان فرغ من دفن أبيه واهل بيته وانصاره، أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي بضعته السيوف، فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة، ومسبحة، وهي السبحة التي كان يديرها بيده حين ادخلوه علىٰ يزيد، فسأله: ما هذه التي تديرها بيدك؟ فروىٰ له عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبراً محصله: «ان من يحمل السبحة صباحاً ويقرأ الدعاء المخصوص، لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وان لم يسبح».

ولما رجع الامام عليه السلام وأهل بيته الىٰ المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها ويعالج بعض مرضىٰ عائلته بها، فشاع هذا عند العلويين واتباعهم ومن يقتدي بهم، فأول من صلىٰ علىٰ هذه التربة واستعملها هو زين العابدين عليه السلام، ثم تلاه ولده الباقر عليه السلام، فبالغ في حث اصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها، ثم زاد علىٰ ذلك ولده جعفر الصادق عليه السلام، فأنه نوّه بها لشيعته، وكانت الشيعة قد ازدادت في عهده وصارت من كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار[٢].

وقد ذكر الشيخ الطوسي: انه كان لابي عبدالله الصادق عليه السلام خريطة من ديباج

---

(١) كربلاء وفضل الحائر: ١١٩.

(٢) الارض والتربة الحسينية: ٦١.

صفراء فيها تربة ابي عبدالله الحسين عليه السلام ، فكان اذا حضرته الصلاة صبهُ علىٰ سجادته وسجد عليه ، ثم قال : ان السجود علىٰ تربة ابي عبدالله عليه السلام يخرق الحجب السبع : ولعل المراد بالحجب السبع هي الحاءات السبع من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق وهي : (الحقد ، والحسد ، والحرص ، والحدّة ، والحماقة ، والحيلة ، والحقارة) .

فالسجود علىٰ التربة من عظيم التواضع والتوسل بأصفياء الحق ، يمزقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل وهي : (الحكمة ، والحزم ، والحلم ، والحنان ، والحصافة ، والحياء ، والحب)[١] .

ولم تزل الائمة تحرك العواطف ، وتحفز الهمم ، وتوفر الدواعي الىٰ السجود عليها والالتزام بها ، وبيان تضاعف الاجرو الثواب في التبرك بها والمواظبة عليها ، حتىٰ التزمت بها الشيعة الىٰ اليوم ، هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام ، ولم يمض علىٰ زمن الصادق عليه السلام قرن واحد حتىٰ صارت الشيعة تضعها الواحاً في جيوبها كما هو المتعارف عليه اليوم .

حرمة الطين إلا طين قبر الحسين عليه السلام

لقد تعددت الاخبار الواردة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام في حُرمة الطين بشكل عام إلا تربة الحسين بن علي عليه السلام ، كما ذكر الصدوق بسنده عن الكاظم عليه السلام :

«لا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به ، فأن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين عليه السلام ، فأن الله عزّوجلّ جعلها شفاء لشيعتنا ولأوليائنا»[٢] .

---

(١) مصباح المتهجد : ٧٢٢ .

(٢) عيون اخبار الرضا ١ : ١٠٤ .

وعنه في العلل بسنده عن يحيىٰ الواسطي، عن رجل، عن ابي عبدالله عليه السلام: «الطين حرام اكله، كلحم الخنزير»[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله: «من اكل الطين فهو ملعون»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «ان الله خلق آدم من طين، وحرم أكل الطين علىٰ ذريته»[٣].

وفي المحاسن بسند عن الامام الرضا عليه السلام قال: «اكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا طين قبر الحسين عليه السلام فأن فيه الشفاء من كل داء وأمناً من كل خوف»[٤].

وبسند ايضاً عن الرضا عليه السلام قال: «كل طين كالميتة وما أهل لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام فأنه شفاء من كل داء»[٥].

وذكر الشيخ الطوسي، عن حنان بن سدير، عن الصادق عليه السلام قال: «من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام، غير مستشفي به فكأنما اكل من لحومنا»[٦].

نستلخص مما تقدم كما ورد عن الائمة الاطهار بحرمة الطين عامة، إلا طين قبر الحسين عليه السلام لغرض الاستشفاء فقط، اما غير ذلك فلا يجوز وتوجب الحرمة. لكن حرمة الطين في بعض الروايات تقتضي الكراهية، كما ورد في (الخصال) بالاسناد عن الامام الصادق عليه السلام، عن آبائه، وفي وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي ثلاث من الوسواس: اكل الطين، وتقليم الاظافر بالاسنان، واكل اللحية»[٧].

(١، ٣) علل الشرايع: ١٧٩.

(٣) الكافي ٢: ١٥٩.

(٤) المحاسن: ٥٦٥.

(٥) أمالي الطوسي ١: ٣٢٦.

(٦) مصباح المتهجد: ٥١٠.

(٧) الخصال ١: ٦٢.

تربة الحسين عليه السلام شفاء من كل داء

أجمع أئمة اهل البيت عليهم السلام ، علىٰ ان تربة الامام الحسين عليه السلام هي شفاء من كل داء . وقد انتشرت فكرة الاستشفاء بتربة الامام الحسين عليه السلام في عهد الامام الصادق عليه السلام ، بعدما اصبح للشيعة كيان خاص ، وصارت طائفة كبيرة من طوائف المسلمين ، فأخذ الامام الصادق عليه السلام يحث اصحابه وشيعته علىٰ لزوم التداوي بتربة الحسين عليه السلام ، فقد وصف عليه السلام طين قبر الحسين بانه شفاء من كل داء ، وهو الدواء الاكبر[١] ، وفي رواية اخرىٰ : اماناً من كل خوف ، وروي الحسن بن ابي العلاء قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام ، يقول : «حنكوا أولادكم بتربة الحسين فأنها أمان»[٢] .

وفي رواية ابن قولويه قال : حدثني محمد بن عبدالله ، عن ابيه ، عن عبدالله البرقي ، عن بعض أصحابنا ، قال : «دفعت اليّ امرأة غزلاً وقالت : ادفعه الىٰ حجبة مكة ليخاط به كسوة للكعبة ، قال : كرهت الىٰ الحجبة وانا اعرفهم ، فلما ان صرنا الىٰ المدينة دخلت علىٰ ابي جعفر عليه السلام وقلت له : جعلت فداك ان امرأة اعطتني غزلاً فقالت : ادفعه الىٰ حجبة مكة ليخاط به كسوة للكعبة ، فقال : أشتر به عسلاً وزعفراناً ، وخُذْ من طين قبر الحسين عليه السلام وأعجنه بماء السماء ، واجعل فيه من العسل والزّعفران ، وفرّقه للشيعة ليداوو مرضاهم»[٣] .

وذكر ابن قولويه رواية بسندٍ الىٰ محمد بن زياد ، عن عمّته قالت : «سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام شفاء من كل داء ، واماناً من كل خوف»[٤] .

وكان الامام الصادق عليه السلام بحكم موقعه القيادي للشيعة ، كان له موضع خاص

(١ ، ٢) مصباح المتهجد : ٧٣٢ ، بحار الانوار ١٠١ : ١٢٤ .

(٣) كامل الزيارات : ٢٨٨ ، الوسائل ١٤ : ٥٢٢ ، المستدرك ١٠ : ٣٢٩ ، الكافي ٤ : ٥٨٨ .

(٤) كامل الزيارات : ٢٩٢ ، بحار الانوار ١٠١ : ١٢٥ ، فقه الرضا : ٤٦ .

ومقام فريد في نفوس اصحابه الذين عاصروه، فهو كان لهم قائداً وموجهاً ورواداً علىٰ استفساراتهم وما أشكل من أمورهم، فقد روي عن ابن ابي يعفور قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: (يأخذ الانسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذ غيره فلا ينتفع به! فقال: لا، والله الذي لا اله الا هو، ما يأخذه أحد وهو يرىٰ ان الله ينفعه به إلا نفعه الله به»[1].

وعنه عليه السلام قال: «من أصابته علّة فبدء بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا ان تكون علّة السام»[2].

ولنستمع الىٰ شهادة احد الذين عُولجوا بطين قبر الحسين عليه السلام[3] وبرأوا بأذن الله تعالىٰ، فقد ذكر ابن قولويه رواية بسندٍ الىٰ محمد بن مسلم، قال: «خرجت الىٰ المدينة وانا وَجعٌ، فقيل له [اي الامام الباقر عليه السلام] محمد بن مسلم وجعٌ، فأرسل إليّ ابو جعفر عليه السلام بشِرباً مع غلاماً مغطّىٰ بمنديل، فناولنيه الغُلام وقال لي: اشربه، فأنه قد امرني ان لا أبرح حتىٰ تشربه، فتناولته فإذا رائحة المسك منه، واذا بشراب طيب الطّعم بارد، فلما شربته قال لي الغُلام: يقول لك مولاك: اذا شربته فتعال.

ففكرت فيما قال لي وما اقدر علىٰ النّهوض قبل ذلك علىٰ رجلي، فلمّا استقرّ الشَّراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابهُ فأستأذنتُ عليه فصوّت بي: صحّ الجسم أُدخل. فدخلت عليه وأنا باكٍ، فسلمت عليه وقبلت يده

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨٨، بحار الانوار ١٠١: ١٢٢، الوسائل ١٤: ٥٢٢، المستدرك ١٠: ٣٢٩، الكافي ٤: ٥٨٨.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٢٦، بحار الانوار ١٠١: ١٢٤.

علّة السام: يعني الموت.

(٣) عن علي بن أسباط قال: لمّا بلغ اهل البلدان ما كان من أبي عبدالله عليه السلام قدمت لزيارته الف امرأة ممن كانت لم تلد، فولدن كلهنّ. نوادر علي بن اسباط: ١٢٣، بحار الانوار ١٠١: ٧٥.

ورأسه . فقال لي : ما يُبكيك يا محمد ؟! قلت : جعلت فداك أبكي علىٰ اغترابي وبعُد الشُقَّة وقِلة القُدرة ، علىٰ المقام عندك أنظر اليك .

فقال لي : امّا قِلة القدرة فكذلك جعل الله اولياءنا واهل مودّتنا وجعل البلاء اليهم سريعاً ، واما ماذكرت من الغُربة ، فإن المؤمن في هذه الدُّنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتىٰ يخرج من هذه الدّار الىٰ رحمة الله ، وأمّا ما ذكرت من بُعد الشُقَّة فلك بأبي عبدالله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنا بالفرات ، وامّا ما ذكرت من حُبِّك قُربنا والنظر الينا ، وإنك لا تقدر علىٰ ذلك ، فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه .

ثم قال لي : هل تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت : نعم ، علىٰ الخوف ووَجل ، فقال لي : ما كان في هذا أشدُّ بالثّواب فيه علىٰ قَدر الخوف ، ومَن خاف في اتيانه أمِن الله روعته يوم يقوم النّاس لربِّ العالمين ، وانْصرف بالمغفرة ، وسَلّمتْ عليه الملائكة ، ورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يصنع ، ودعا له ، وانقلب بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يَمسْه سوء واتّبع رضوان الله ؛ ثم قال لي : كيف وجدت الشراب ؟ فقلت : أشهد أنكم اهل بيت الرَّحمة وأنك وصيّ الاوصياء ، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدرُ علىٰ أن أستقلَّ علىٰ قدمي ، ولقد كنت آيساً من نفسي ، فناولني الشراب فشربته فما وجدتُ مثل ريحه ولا أطيب من ذوقهِ ولا طعمِهِ ولا أبرد منه ، فلما شربته قال لي الغلام : إنه أمرني ان أقول لك : اذا شربته فأقبل إليّ ، وقد علمتُ مِن عِقال ، فالحمدلله الذي جعلكم رَحمة لشيعتكم [ورَحمة عليَّ] ! فقال : يا محمد إنّ الشراب الذي شربته فيه مِن طين قبر الحسين عليه السلام ؛ وهو أفضل ما استشفي به ، فلا تعدل به ، فإنا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرىٰ فيه كلَّ خير ، فقلت له : جُعِلتُ فداك إنا لنأخذ منه ونستشفي به ، فقال : يأخذه الرّجل يخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمرُّ بأحدٍ من الجنّ به عاهَةٌ ، ولا دابّة ولا شيء فيه آفة إلا شمّه ، فتذهب بركته فيصير بركته لغيره ، وهذا الذي نتعالج به ليس هكذا ، ولولا ما ذكرت ما يمسح به شيٌ

ولاشُرب منه شيءٌ إلا أفاق من ساعته، وما هو إلا كحجر الاسود أتاه صاحب العاهات والكفر والجاهلية، وكان لا يتمسح به أحدٌ إلا أفاق، وكان كأبيض ياقوتة فأسودَّ حتىٰ صار ما رأيت. فقلت: جُعِلتُ فداك كيف أصنع به؟ فقال: تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك مستخف به فتطرحه في خُرجك وفي أشياء دَنية فيذهب ما فيه ممّا تريده له، فقلت: صدقت جعلت فداك، قال: ليس يأخذه أحدٌ إلا وهو جاهل بأخذه لا يكاد يسلم بالناس، فقلت: جُعِلتُ فداك وكيف لي أن أخذه كما تأخذه؟ فقال لي: أعطيك منه شيئاً، فقلت: نعم، قال: اذا أخذته فكيف تصنع؟ فقلت: أذهب به معي، فقال لي: في أي شيئاً تجعله؟ فقلت: في ثيابي، قال: قد رجعت الىٰ ما كنت تصنع، اشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله، فإنه لا يسلم لك، فسقاني منه مرَّتين، فما أعلم اني وجدت شيئاً مما كنتُ أجدُ حتىٰ انصرفت»[١].

ثم بين الامام الصادق عليه السلام كمية الطين المستخدم لغرض التداوي والعلاج، فذكر الكمية فقال: مثل رأس الانملة، كما جاء في رواية ابو بكر الحضرمي عن الصادق عليه السلام قال: (لو ان مريضاً من المؤمنين يعرف حق ابي عبدالله عليه السلام وحرمته، أخذ له من طين قبر الحسين عليه السلام مثل رأس الانملة كان له دواء وشفاء)[٢].

ومرة أخرىٰ كما جاء في بعض الروايات يقول عليه السلام في كمية الطين بقدر الحمصة كما في رواية الحسن بن علي بن فضال عنه عليه السلام قال: (إنّ الله تعالىٰ خلق آدم من الطين، فحُرم الطين علىٰ ولده، قال: قلت: فما تقول في طين قبر الحسين عليه السلام؟ قال: حرم علىٰ الناس اكل لحومهم، ويحل لهم اكلُ لحومنا، ولكن اليسير منه مثل الحمصة)[٣].

---

(١) انظر: كامل الزيارات: ٢٨٩، بحار الانوار ٦٠: ١٥٧ ـ ١٠١: ١٢١، الوسائل ١٤: ٥٢٦.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٣٢، بحار الانوار ١٠١: ١١٢.

(٣) انظر: مصباح المتهجد: ٧٣٢، بحار الانوار ١٠١: ١٣٤، الامالي ١: ٣٢٦.

ثم ذكر الامام الصادق عليه السلام لشيعته بأن هناك آداب في استعمال طين قبر الحسين عليه السلام كما جاء في رواية ابن قولويه، قال عليه السلام: «الطين أكله حرام، كلحم الخنزير، ومن أكله ثم مات لم اصلِّ عليه، إلا طين قبر الحسين عليه السلام، فأن فيه شفاء من كل داءٍ، ومن اكله بشهوةٍ لم يكن فيه شفاء»[١].

ثم عَلّمَ الامام الصادق عليه السلام اصحابه، الادعية التي تقرأ عند تناول طين قبر الحسين عليه السلام لغرض عرض الاستشفاء به، كذلك بيّن عليه السلام الاماكن التي يؤخذ منها الطين، ففي رواية يؤخذ الطين من قبره عليه السلام علىٰ مقدار رأس ميل كما ذكر ابن قولويه، عن ابي بكر الحضرمي، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق ابي عبدالله عليه السلام وحرمته وولايته اخذ له من طين قبره علىٰ رأس ميل كان له دواء وشفاءً»[٢].

وفي رواية اخرىٰ يذكر الامام الصادق بأن طين التداوي يجب ان يؤخذ من عند رأس الشريف.

ففي رواية يونس بن ربيع، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «ان عند رأس الحسين بن علي عليهما السلام لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السَّام، قال: فأتينا القبر بعد ما سمعنا هذا الحديث، فأحتفرنا عند رأس القبر، فلما حفرنا قدر ذراع انحدرت علينا من رأس القبر مثل السِّهلة حمراء قدر درهم، فحملناه الىٰ الكوفة فمزجناه فأقبلنا نعطي يتداون به»[٣].

ويظهر من هذه الرواية بأن الطين الذي عند رأس الامام الحسين عليه السلام يتصف باللون الاحمر وله رائحة زكية، وكان الائمة الاطهار اذا عرضت لهم تربة الامام

---

(١) انظر كامل الزيارات: ٢٩٩، علل الشرائع: ٥٣٢، البحار ١٠١: ١٢٩.

(٢) انظر: كامل الزيارات: ٢٩٢، الوسائل ١٤: ٥٣٠، بحار الانوار ١٠١: ١٢٢.

(٣) انظر: كامل الزيارات: ٢٩٣، المستدرك ١٠: ٣٣١، الكافي ٤: ٥٨٨، بحار الانوار ١٠١: ١٢٣.

الحسين عليه السلام يعرفونها من لونها ورائحتها، ففي رواية بسندٍ عن ابي بكار قال: «أخذتُ من التربة التي عند رأس قبر الحسين بن علي عليه السلام، فأنها طينة حمراء، فدخلت علىٰ الرضا عليه السلام فعرضتها عليه فأخذها في كفه، ثم شمّها ثم بكىٰ حتىٰ جرت دموعه، ثم قال: هذه تربة جدّي»[١].

اما مسألة الدعاء مع استعمال طين قبر الحسين عليه السلام، فقد اكد الامام الصادق عليه السلام علىٰ قراءة الادعية المأثورة والتوسل بالله تعالىٰ بأن يجعل هذا الطين شفاءً من كل داء، وبدون الدعاء فأن صاحب الحاجة لا ينتفع به، روي ان رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال: اني سمعتك تقول: إنّ تربة الحسين عليه السلام من الادوية المفردة، وانها لا تمر بداء إلا هضمته، فقال: قد كان، قلت ذلك: فما بالك؟ فقال: اني تناولتها فما انتفعت بها. فقال: اما إنّ لها دعاء فمن تناولها ولم يدعُ به واستعملها لم يكد ينتفع بها، قال: فقال له: ما يقول اذا تناولها؟ قال: تقبلها قبل كل شيء وتضعها علىٰ عينك، ولا تناول اكثر من حمصة، فإن من تناول اكثر فكأنما اكل من لحومنا ودماءنا، فقل: «اللّهم إني أسألك بحق الملك الذي قبضها، وبحق الملك الذي خزنها، واسألك بحق الوصي الذي حلَّ فيها، ان تصلي علىٰ محمد وآل محمد، وان تجعله شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، وحفظاً من كل سوء».

فإذا قلت ذلك فأشددها في شيء، واقرأ عليها انا انزلناه في ليلة القدر، فإن الدعا الذي تقدم لأخذها هو الاستيذان عليها وأقرأ إنا انزلناه ختمها[٢].

وجاء رجل الىٰ الامام الصادق عليه السلام وقال له: اني رجلٌ كثير العلل والامراض، وما تركت دواء الا تدوايت به، فقال لي: فأين أنت عن تربة الحسين عليه السلام فإن فيها

---

(١) المستدرك ١١: ٣٣٤، بحار الانوار ١٠١: ١٣١.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٣٤، بحار الانوار ١٠١: ١٣٥.

الشفاء من كلِّ داء ، والامن كل كلِّ خوف وقل اذا أخذته :

«اللهمّ انّي اسألك بحقِّ هذه الطينة ، وبحقِّ الملك الذي اخذها ، وبحقِّ بيته ، واجعل لي فيها شفاءً من كل داء وأماناً من كلِّ خوفٍ»[١] .

قال : ثمَّ قال : إنّ الملك الذي اخذها جبرئيل وأراها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هذه تربة ابنك هذا ، تقتله امتك من بعدك ، والنبي الذي قبضها فهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واما الوصي الذي حلَّ فهو الحسين بن علي سيّد الشهداء ، قلت : قد عرفت الشفاء من كلِّ داء ، فكيف الامان من كلِّ خوف ؟

قال : إذا خفت سلطاناً أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام ، وقل اذا أخذته : «اللهم إنّ هذه طينة قبر الحسين وَليِّك وابن وَليِّك ، اتخذتُها حِرزاً لِمَا اخاف ولِمَا لا اخاف» فأنه يرد عليك ما لا تخاف .

قال الرَّجل : فأخذتها ما قال فصحَّ بدني ، وكان ليّ اماناً من كلِّ ما خفتُ ومالم اخف كما قال ، فما رأيت بحمدالله بعدها مكروهاً[٢] .

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام رواية عن حمل الطين من قبر الحسين عليه السلام وما يلزم من قراءة بعض السور من القرآن الكريم ، وبعض الادعية حتىٰ تتم الفائدة وتعم البركة بفضل تربته الطاهرة ، ففي رواية ابو حمزة الثمالي ، قال : قال الصادق عليه السلام : اذا أردت حمل الطين من قبر الحسين عليه السلام فأقرأ : (فاتحة الكتاب) ، و (والمعوّذتين) ، و (قل هو الله احد) ، و (إنا انزلناه في ليلة القدر) ، و (يس) ، و (آية الكرسي) وتقول :

«اللّهم بحق محمدٍ عبدِكَ ورسولكَ وحبيبكَ ونبيك وأمينكَ ، وبحقِّ

---

(١) انظر : كامل الزيارات : ٢٩٦ ، الامالي ١ : ٣٢٥ ، التهذيب ٦ : ٧٤ ، بحار الانوار ١٠١ : ١١٨ .

(٢) انظر : كامل الزيارات : ٢٩٦ ، الامالي ١ : ٣٢٥ ، التهذيب ٦ : ٧٤ ، بحار الانوار ١٠١ : ١١٨ .

اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عَبدِكَ وأخي رسولك، وبحقِّ فاطمةَ بنتِ نبيِّك وزوجة وليّكَ، وبحقِّ الحسن والحسين، وبحقِّ الائمة الراشدين، وبحقِّ هذه التُّربةِ، وبحقِّ المَلَك المُوَكّل بها، وبحقِّ الذي ضُمّنتْ، وبحقِّ جميع ملائكتك وأنبيائك ورُسُلكَ، صَلِّ علىٰ مُحمّدٍ وآل محمدٍ، واجعل لي هذا الطين شِفاء مِنْ كُلِّ داءٍ، وأن يستشفي به من كل داءٍ وسُقمٍ ومرضٍ، وأماناً مِنْ كُلِّ خوفٍ، اللّهم بحقِّ محمّدٍ واهل بيته، أجعلهُ علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاء من كلِّ داءٍ وسُقمٍ وآفةٍ وعاهةٍ وجميع الاوجاع كُلِّها، إنك علىٰ كل شيء قدير».

وتقول: «اللهم ربّ هذه التُّرب المباركة الميمُونةِ، والملك الذي هبط بها، والوصي الذي هو فيها، صلِّ علىٰ محمدٍ وآل محمدٍ وسلِّم، وانفعني بها، إنك علىٰ كل شيء قديرٌ»[1].

وكما بينا من الروايات السالفة عن الامام الصادق عليه السلام بأن الدّعاء عند أخذ طين قبر الحسين عليه السلام او عند حمله أو استعماله مع اليقين والاعتقاد فهو يعتبر من الادوية الشافية من كل داءٍ، وأماناً من كلِّ خوف، واما ما يفسد الطين ولم ينتفع به كما جاء في رواية ابوحمزة الثمالي، عن الامام الصادق عليه السلام ما يخالطها من أوعيتها، والاستخفاف وعدم اليقين بصاحب القبر، قال ابو حمزة الثمالي: كنت بمكة، وذكر في حديثه [الامام الصادق] قلت: جعلت فداك إني رأيت اصحابنا يأخذون من طين الحائر يستشفون به، هل في ذلك شيء مما يقولون من الشفاء؟ قال: قال: يُستشفي بما بينه وبين القبر علىٰ رأس أربعة اميال، وكذلك قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك طين القبر الحسين وعلي ومحمد، فخذ منها فأنها شفاء من كل سُقم، وجنة مما يُخاف، ولا يعد لها شيء من الاشياء التي يستشفي بها الا الدُّعاء،

---

(١) انظر: كامل الزيارات: ٢٩٨، الوسائل ١٤: ٥٣١، بحار الانوار ١٠١: ١٢٨.

وانما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها، فامّا من ايقن انها له شفاء إذا يعالج بها كفته بأذن الله من غيرها مما يتعالج بـه، ويـفسدها الشـياطين والجن من اهل الكفر من هم يتمسحون بـها، ومـا تـمرُ بشـيء الا شـمّها، واما الشياطين وكفار الجن فأنهم يحسدون بني آدم عليها، فيتمسحون بها فيذهب عامة طيبها، ولا يخرج الطين من الحائر إلا وقد استعد له ما لا يحصىٰ منهم وأنه لفي يد صاحبها، وهم يتمسحون بها، ولا يقدرون مع الملائكة ان يدخلوا الحائر، ولو كان من التربة شيء سلم ما عولج به احدٌ إلا بريء من ساعته، فإذا اخذتها فأكتمها، واكثر عليها من ذكر الله تعالىٰ، وقد بلغني ان بعض من يأخذ التربة شيئاً يستخف به، حتىٰ ان بعضهم ليطرحها في مخلاة الابل والبغل والحمار او في وعاءِ الطعام، وما يمسح به الايدي من الطعام، والخرج والجوالق، فكيف يستشفي به من هـذا حاله عنده؟! ولكن القلب الذي ليس فيه اليقين من المستخف بما فـيه صـلاحه ليفسد عليه عمله[١].

ووردت روايات اخرىٰ عن الامام الصادق عليه السلام بخصوص الاستشفاء بـطين قبر الحسين عليه السلام، وقراءة ادعية التوسل بالله عزّوجلّ خلال تناول بعضاً مـن طـين القبر، فقد ورد عنه عليه السلام قال: اذا تناول احدكم من طين قبر الحسين عليه السلام فليقل:

«اللّهم إني اسألك بحقّ الملكِ الذي تناوله، والرَّسول الذي بَوّأه، والوصـيِّ الذي ضمَّنَ فيهِ، ان تجعلهُ شفاءً من كُلِّ داءً (كذا وكذا) ويسمي ذلك الداء»[٢].

وروي عنه عليه السلام قال: أذا أخذته فقل: «اللّهُم بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البُقعة الطّيبة وبحقِّ الوصيِّ الذي تواريه، وبحقِّ جدِّه وابيه، وامِّه واخيه، والملائكة

---

(١) انظر: كامل الزيارات: ٢٩٥، المستدرك ١٠: ٣٣٢، بحار الانوار ٦٠: ١٥٦.

(٢) انظر: كامل الزيارات: ٢٩٤، المستدرك ١٠: ٣٤٠، بحار الانوار ١٠١: ١٢٧.

الذين يحفون به ، والملائكة العُكوفِ علىٰ قبرَ وليِّكَ ، ينتظُرون نصرهُ صلّىٰ الله عَلّيهم أجمعين ، وأجعل لي فيهِ شفاءً من كلِّ داءٍ ، وأماناً من كلِّ خوف ، وغنىً من كـلِّ فقرٍ ، وعزّاً من كلِّ ذُلٍّ ، وأوسعْ بهِ عليَّ في رزقي ، وأصحَّ جسمي»[١] .

وعنه ايضاً عليه السلام قال : فإذا أحتاج احدكم الأكل منه [طين قبر الحسين عليه السلام] يستشفي به فليقل :

«بسم الله وبالله ، اللّهم ربّ التُّربة المُباركة الطاهرة ، ورب النّور الذي انـزل فيه ، وربّ الجسد الذي سكن فيه ، وربُّ الملائكة الموكلين به ، أجعلهُ لي شفاءً من كلِّ داءٍ كذا وكذا» .

واجرع من الماء جُرعة خلفه وقل :

«اللّهم اجعلهُ رزقاً واسعاً وعلماً وشفاءً من كُلِّ داءٍ وسقم» .

فأن الله تعالىٰ يدفع عنك بها كُلِّ ما تجد من السقمِ والهمِّ والغمِّ ان شـاء الله تعالىٰ[٢] .

وفي رواية يونس بن ظبيان عن الامام الصادق عليه السلام ، قال : «طين قبر الحسين شفاء من كل داء فإذا أكلته فقل :

بسم اللهِ وباللهِ ، اللّهم اجعله رزقاً واسعاً ، وعلماً نافعاً ، وشفاءً من كل داءٍ ، إنك علىٰ كل شيء قدير ، ربّ التربة المباركة ، وربّ الوصيِّ الذي وارته صلّي علىٰ محمّدٍ وآل محمّدٍ ، واجعل هذا الطين شفاءٌ من كلِّ داءٍ ، وأماناً من كلِّ خوف»[٣] .

ومن ذلك صار طين قبر الحسين عليه السلام علاجعاً ناجعاً ، تتخذه الشيعة للـتبرك

---

(١) كامل الزيارات : ٢٩٦ .

(٢) مصباح المتهجد : ٧٣٣ ، بحار الانوار ١٠١ : ١٣٦ .

(٣) مصباح المتهجد : ٧٣٣ ، بحار الانوار ١٠١ : ١٣٤ .

والمعالجة ، يتداولونه فيما بينهم ، حتىٰ تعدىٰ ذلك الىٰ عامة المسلمين ، وشهد ببركة وفضل طين قبر الحسين عليه السلام بعض المعاندين والمخالفين ، ففي رواية الحسين بن محمد الازدي ، عن أبيه قال :

«صلّيت في جامع المدينة والىٰ جانبي رجلان علىٰ أحدهما ثياب السفر ، فقال احدهما لصاحبه : يا فلان اما علمت أنّ طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء ؟ وذلك أنه كان بي وجع الجوف ، فتعالجت بكلّ دواء فلم أجد فيه عافية ، وخفت علىٰ نفسي وآيست منها ، وكانت عندنا امرأة من اهل الكوفة عجوز كبيرة ، فدخلت اليّ وانا في اشدّ ما بي من العلة ، فقالت لي : يا سالم ما أرىٰ علّتك إلا كلّ يوم زائدة ؟! فقلت لها : نعم ، فقالت : فهل لك ان اعالجك فتبرأ بأذن الله عزّوجّل ؟ فقلت لها : ما أنا الىٰ شيء أحوج مني الىٰ هذا ، فسقتني ماء في قدح فسكنت عني العلّة وبرئت حتىٰ كأن لم يكن بي علّة قط .

فلما كان بعد شهر دخلت عليّ العجوز ، فقلت لها : بالله عليك يا سلمة (وكان اسمها سلمة) بماذا داويتني ؟ فقالت : بواحدة مما في هذه السبحة ، من سبحة كانت في يدها ، فقلت : وما هذه السبحة ؟

فقالت : إنّها من طين قبر الحسين عليه السلام ، فقلت لها : يا رافضية داويتني بطين قبر الحسين عليه السلام ؟ فخرجت من عندي مغضبة ورجعت والله علّتي كأشد ما كانت ، وانا أقاسي منها الجهد والبلاء ، وقد والله خشيت علىٰ نفسي ، ثم أذن المؤذن فقاما يصلّيان وغابا عني»[1] .

نستدل من الرواية المذكورة بأن الرجل كان من اهل السنة ، وخاطب العجوز بكلمة (يا رافضية) وهذا المصطلح كان يطلقه العامة علىٰ شيعة امير المؤمنين ، اما

---

(١) العوالم ١٧ : ٧١٦ ، أمالي الشيخ الطوسي ١ : ٣٢٧ .

الوجه الثاني في الرواية فيظهر ان الشيعة اقبلت علىٰ طين القبر تستعمله لغرض الاستشفاء والعلاج او للتبرك فحملوه علىٰ هيئة لوح صغير يضعونه في جيوبهم، وتعمل منه ايضاً المسبحات.

وفي رواية موسىٰ بن عبد العزيز كما ذكرها الشيخ الطوسي قال: لقيني يوحنّا بن سراقيون النصراني المتطبب في شارع ابي أحمد، فأستوقفني وقال لي:

بحقِّ نبيّك ودينك من هذا الذي يزورُ قبره قوم منكم بناحية قصر ابن هبيرة ؟! من هو من أصحاب نبيكم ؟ قلت: ليس هو من اصحابه هو ابن بنته، فما دعاك الىٰ المسألة عنه ؟ فقال له: عندي حديث طريف، فقلت: حدّثني به، فقال: وجه اليّ سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل، فصرتُ اليه، فقال لي: تعالىٰ معي، فمضىٰ وانا معه حتىٰ دخلنا علىٰ موسىٰ بن عيسىٰ الهاشمي، فوجدناه زائل العقل متكئاً علىٰ وسادة واذا بين يديه طست فيها حشو جوفه، وكان الرشيد استحضره من الكوفة.

فأقبل سابور علىٰ خادم كان من خاصة موسىٰ، فقال له: ويحك ما خبره! فقال له: أخبرك انه كان من ساعة جالساً وحوله ندماؤه، وهو من أصح الناس جسماً واطيبهم نفساً، اذ جرىٰ ذكر الحسين عليه السلام، قال يوحنّا: هذا الذي سألتك عنه ؟ فقال موسىٰ: ان الرافضية ليغلون فيه حتىٰ انهم فيما عرفت يجعلون تربته دواء يتداوون به، فقال له رجل من بني هاشم كان حاضراً: قد كان بيّ علّة عليلة فتعالجت بها كل علاج فما نفعني، حتىٰ وصف لي كاتبي ان آخذ من هذه التربة فأخذتها فنفعني الله بها وزال عنّي ما كنت اجده.

قال: فبقي عندك منها شيء ؟ قال: نعم، فوجه فجاءه منها بقطعة، فناولها موسىٰ بن عيسىٰ، فأخذها موسىٰ فأستدخلها دبره استهزاءً بمن تداوىٰ بها، واحتقاراً وتصغيراً لهذا الرجل هي تربته (يعني الحسين عليه السلام) فما هو الا ان استدخلها

دبره حتىٰ صاح : النار النار ، الطست الطست ، فجئنا بالطست فأخرج فيها ما ترىٰ .

فأنصرف النُدماء ، فصار المجلس مأتماً ، فأقبل عليّ سابور فقال : انظر هل لك فيه حيلة ؟ فدعوت بشمعة فنظرت فاذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرج منه في الطست ، فنظرت الىٰ امرٍ عظيم فقلت : ما لاحد في هذا اصنع الا ان يكون لعيسىٰ الذي كان يحيّي الموتىٰ ، فقال لي سابور : صدقت ، ولكن كن هاهنا في البيت الىٰ ان يتبين ما يكون من امره ، فبتّ عندهم وهو بتلك الحال ما رفع رأسه ، فمات في وقت السحر[١] .

وكان يوحنّا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو علىٰ دينه ، ثم اسلم بعد هذا وحسن اسلامه .

وروي ان علي بن محمد النوفلي قال لابي الحسن عليه السلام إني أفطرت يوم الفطر على طين القبر وتمر فقال له : جمعت بين بركة وسنة[٢] .

خلاصة البحث

بعد ان أسهبنا في بيان فضل تربة قبر الحسين عليه السلام بما أوردناه من الروايات المعتبرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام حتىٰ غدت الشيعة منذ نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني يعولون في علاجهم علىٰ طين القبر الذي حقق معاجزاً في عالم الطب والعلاج من الامراض المستعصية ، حتىٰ ذاعت شهرته في الافاق .

وقد وصف المرحوم المرجع الكبير ، محمد حسين آل كاشف الغطاء بقوله : وان اسمىٰ تلك البقاع وأنقاها تربة ، وأطيبها طينة ، وأزكاها نفحة هي تربة كربلاء ،

---

(١) أمالي الطوسي ١ : ٣٢٧ .

(٢) من لايحضره الفقيه ٢ : ١٧٤ .

تلك التربة الحمراء الزكية، كانت قبل الاسلام قد اتخذت نواويس ومعابد ومدافن للامم الغابرة، كما يشعر به كلام الحسين عليه السلام في احدىٰ خطبه المشهورة حيث يقول: «وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوت بين النواويس وكربلاء»[١].

ثم يستمر في التعليل بأن كيف تسامت هذه التربة بأنضمام شرفها الجوهري الىٰ طيبها العنصري فأصبحت بذلك اشرف بقاع الارض بالضرورة والفطرة بقوله:

أليس من صميم الحق والحق الصميم، ان تكون أطيب بقعة في الارض مرقداً وضريحاً لاكرم شخصية في الدهر؟ نعم، لم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فرد في الانسانية، وأجمع ذات لاحسن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية، واسمىٰ روح ملكوتية في اصقاع الملكوت وجوامع الجبروت، فولدت نوراً واحداً شطرته نصفين: سيد الانبياء محمداً، وسيد الاوصياء علياً، ثم جمعتها ثانياً فكان الحسين مجمع النورين وخلاصة الجوهرين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين». ثم عقمت ان تلد لهم الانداد أبد الآباد.

واذا كان من حق الارض السجود عليها، وعدم السجود علىٰ غيرها، أفليس من الافضل والاحرىٰ ان يكون السجود علىٰ أفضل وأطهر من الارض؟ وهي التربة الحسينية، وماذاك إلا لانها اكرم مادة، وأطهر عنصراً، واصفىٰ جوهراً من سائر البقاع، فكيف وقد انضم شرفها الجوهري الىٰ طيبها العنصري، ولمّا تسامت الروح والمادة، وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي اشرف بقاع الارض بالضرورة.

* * *

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٢٧.

الفصل الرابع

تاريخ زيارة قبر الحسين عليه السلام وفضلها

أول من زار القبر الشريف:

بعد وقعة الطف واستشهاد الامام الحسين عليه السلام ، اصبح الاحساس بالخيبة والندم مُسيطراً علىٰ المجتمع الكوفي أنذاك بتركه نصرة الامام الحسين عليه السلام ، وقد كانوا هم الذين تسببوا في الفاجعة التي ألمّت بعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من دعوتهم الامام عليه السلام بالقدوم عليهم ، ثم تركه عرضة للرماح والسهام .

فكان ندم اهل الكوفة يتجلىٰ في كثير من المواقف سواء بعد انتهاء وقعة الطف ، او بعدها بحين ، فهرعوا الىٰ قبره يلتمسون التوبة ، ويجددون العهد بالانتقام من القتلة .

وأول من زار مصارع الشهداء ووقف عليهم وبكىٰ ، هو عبيدالله بن الحر الجعفي الذي ندم علىٰ تركه نصرة الامام الحسين ، وندمه هذا يتجلىٰ من خلال قصيدته التي رثىٰ بها الامام الحسين[1] :

يـــالكِ حسـرةٍ مـا دمتُ حـياً ... يـردَّدُ بـين حـلقي والتـراقـي

حسيناً حين يطلب بذل نصري ... عـــلىٰ اهـل العـداوة والنـفاقِ

مع ابن المصطفىٰ نـفسي فـداه ... فـــيالله مـــــن ألم الفـــراقِ

---

(١) خزانة الادب : ١٥٩ .

غـداة قـولُ لي بـالقصر قـولاً أتـــتركنا وتـــزمع بأنــطلاقِ
فلو فـلق التـلهف قـلبُ حـيٌّ لهــمّ اليــوم قــلبي بأنـفلاقِ
فقد فاز الأُولىٰ نصروا حسـيناً وخاب الآخرون أولوا النـفاقِ

ثم زاره الصحابي جابر بن عبدالله الانصاري في ٢٠ / صفر، والتقىٰ بالامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في هذا المكان[١].

كما زاره التوابين وهم في طريقهم الىٰ عين الوردة، للتصدي لقوات عبيدالله بن زياد، فلما وصلوا الىٰ قبر الحسين عليه السلام صاحوا صيحة واحدة، فما رأىٰ باكياً اكثر من ذلك اليوم، وجعلوا يدرون حول القبر مستغفرين نادمين:

«اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبيك، وقد أسأنا وأخطأنا، فأغفر لنا ما قد قضىٰ من ذنوبنا وتب علينا إنك انت التواب الرحيم، اللهم ان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[٢]. حتىٰ بلغ الحماس اشده، فأنـطلقت الالسـن تـمجد الحسـين وتلعن قاتليه، فهبّ رجل منهم يُدعىٰ وهب بن زمعة الجعفي فوقف علىٰ القبر باكياً ثم قال:

«والله لقد جعله الاعداء للسيل عرضاً، وللسباع طمعاً، فللّه يوم الحسين، لقد تمادروا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر وعفاف وبأس وشدة وامانة ونجدة، ابن أول المؤمنين وبنت نبي رب العالمين، قلّت حماته وكثرت عداته، فويلٌ للقائل، وملامةً للخاذل، ان الله تبارك وتعالىٰ لم يجعل للقاتل حجّة، ولا للخاذل معذرة، إلا ان ينصح الله في التوبة فيجاهد الفاسقين، فعسىٰ الله عند ذلك ان يقبل التوبة ويقيل العثرة» ثم أنشأ يقول:

---

(١) تراث كربلاء: ٣٣.
(٢) الفتوح ٣: ٢٣٧.

تـــبيتُ نســـاء أمـية نـوماً وبـالطفِّ قـتلىٰ لا يـنام حـميمها
ومـا ضـيّع الاسـلام إلا قـبيلة بأمـــرٍ فـــزكاها ودام نـعيمها
وعادت قتادة الدين في كف ظالم اذا مـال مـنها جـانب لا يـقيمها
فأقســمُ لا تـنفك نـفسي حـزينةً وعيني مسفوحاً لا يجف سجومها
حـياتي او تـلقىٰ أمـية وقـعةً ينالُ بها حـتىٰ المـمات قـروحها

ثم زاره المختار بن عبيد الثقفي عندما فارق عبدالله بن الزبير، ورجع من مكة، فلما وصل الىٰ القادسية عدل عنها الىٰ كربلاء، ثم اغتسل ولبس ثياب الزيارة، فلما دنا من القبر انكب عليه، معتنقاً له باكياً، ومجدداً له العهد للانتقام، وقتل من قتلهم وسفك دمائهم فقال:

«يا سيدي آليت بجدك المصطفىٰ وابيك المرتضىٰ، وامك الزهراء، وأخيك المجتبىٰ، ومن قتل من اهل بيتك وشيعتك في كربلاء، لا اكلت طيبُ الطعام، ولا شربت لذيذ الشراب، ولا نمت علىٰ وطيء الوهاد، وخلعت عن جسدي هذه الابراد، حتىٰ انتقم لك من قتلك، أو أقتل كما قتلت، فقبح الله العيش بعدك»[1].

وقيل ان مصعب بن الزبير لمّا توجه الىٰ عبد الملك بن مروان لقتاله، فلما بلغ الحِيَرة دخل فوقف علىٰ قبر ابي عبدالله عليه السلام، ثم قال: يا ابا عبدالله، أما والله لئن كنت غصبت نفسك ما غصبت دينك، ثم انصرف وهو يقول:

وإنّ الاولىٰ بالطفِّ من آل هـاشمٍ تأسـوا فسـنّوا للكـرام التأسـيا[2]

فضل زيارة الحسين عليه السلام

لقد نال الامام الحسين عليه السلام اعظم وسام خـصّهُ الله سـبحانه وتـعالىٰ لعـباده

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٨٦.
(٢) نوادر علي بن أسباط: ١٢٣.

المخلصين، وهو وسام الشهادة في سبيل رفع كلمة التوحيد ومحاربة الظلم والجور، ومن ذلك الحين تربع الحسين عليه السلام على عرش الشهادة ولم يدانيه احداً، وسجل اعظم ملحمة من ملاحم البطولة والفداء في التاريخ، وشهدت كربلاء هذه الملحمة التاريخية التي لم يخبرنا التاريخ عن وقع ملحمة اعظم منها، ولم يخبرنا التاريخ ايضاً عن بطولة كبطولة الحسين عليه السلام، لقد شاهد اهل بيته واصحابه يتهاوون صرعىٰ علىٰ رمضاء كربلاء وهو قويّ الجنان رابط الجأش، فحاز الامام الشهيد عليه السلام منزلة الشرف والتقديس، حتىٰ غدت كربلاء التي سال علىٰ رمضائها دم الحسين عليه السلام تضاهي بقاع العالم قدسية وشرفاً، واصبحت مهوىً لقلوب المسلمين، وغدا قبره الشريف عليه السلام وسام عزاً وشرفاً لكربلاء، وصار مسجده افضل مسجد اسس علىٰ التقوىٰ، ومشهده اشرف مشهد، فأن يكون بيت الحرام قبلة للانام ومعدن البركات، فكربلاء بحلول سبط المصطفىٰ في تربتها حازت شرفاً لا يعلوه شرف، وفخراً لا يعلوه فخر.

فشرف الكعبة بمولّد سيد الوصيين كان مقدار ساعة، وشرف كربلاء بضريح سبط خاتم النبيّين الىٰ قيام الساعة، إن يكون الطّواف بالكعبة به تمام الحج والعمرة، فالطّواف بضريحه يعدل ثوابه ثواب ذلك الف مرة، إن تكن الكعبة قبلة جباه المسلمين، فكربلاء وجهة قلوب المؤمنين، إن تكن الصلاة عزيمة وفريضة، فبغير ولايته وولاية آبائه وأبنائه لا تعادل عندالله جناح يعوضه، إن يكن البيت العتيق عتيق من الطوفان والغرق، فمقامه (صلوات الله عليه) لمّا اجرىٰ الماء عليه حار وما انطلق، إن تكن افئدة من الناس تهوي الىٰ البيت، فقلوب المؤمنين تحنّ علىٰ زيارته علىٰ الدوام[١].

---

(١) تسلية المجالس: ٥١٢.

ولله در الشاعر دعبل الخزاعي حيث يقول في زيارة قبر سيد الشهداء:

زُر خـــير قـــبرُ بـــالعراق يـــزارُ واعصِ الحَمَار فمن نـهاك حِـمَارُ
لِمَ لا أزورك يا حسين لك الفـدىٰ قـومي ومـن عـطفتْ عـليه نـزارُ
ولك المودّة في قلوب اولي النـهىٰ وعـــلىٰ عـــدّوك مـــقتةً ودثـــارُ

لقد اصبح قبر الحسين عليه السلام محط انظار المسلمين وكان لأهل البيت عليهم السلام دوراً بارزاً في توجيههم وحثهم علىٰ زيارة القبر الشريف، وما لزيارته من فضلٍ عظيم عند الله سبحانه وتعالىٰ، ومن قبلهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر بفضل زيارته عليه السلام وان زواره هم الصدّيقون من أمته، كما جاء عن ابـي جـعفر عليه السلام قـال: «كـان رسـول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لامير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي، يقول: يا ابه لِمَ تبكي؟ فيقول: يا بني اقبل موضع السيوف منّك وابكي، قال: يا ابه واقتل؟ قال: اي والله وأبوك وأخوك وأنت، قال: يا ابه فمصَارعنا شتىٰ؟ قال: نعم يا بني، قال: فمن يزورنا من امتك؟ قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصدّيقون من امتي»[1].

وفي رواية ابن قولويه بسندٍ عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «كان الحسين بن علي في حجر النبي صلى الله عليه وآله يلاعبه ويضاحكه، فقالت عـائشة: يـا رسـول الله مـا اشـد اعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا اعجب به، وهـو ثـمرة فؤادي وقرّة عيني، اما انّ امتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله حـجّة مـن حججي، قالت: يا رسول الله حجّة من حججك؟ قال: نعم وحجّتين من حججي، قالت: يا رسول الله حجّتين من حججك؟ قال: نعم، وأربعة، قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعفه حتىٰ بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها»[2].

---

(١) العوالم ١٧: ١٨٣.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٢٨٠.

ومن حديث له صلى الله عليه وآله مع أبنته الزهراء عليها السلام عندما أخبرها بمتقل فلذة كبدها الحسين عليه السلام وبكت قال لها من جملة ما قال: اما ترضين ان يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حجّ الىٰ بيت الله الحرام واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، واذا مات مات شهيداً، وان بقىٰ لم تزل الحفظة تدعو له ما بقىٰ، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتىٰ يفارق الدنيا[١].

فكان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يصف زوار الحسين بالصدّيقين من أمته، ومرة اخرىٰ يعتبر زيارة الحسين صلى الله عليه وآله تعادل تسعين حجّة وعمرة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله، واذا مات زائر الحسين مات شهيداً، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام: «يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب الف حجّة والف عمرة، ألا ومن زاره فكأنما زارني، ومن زارني فكأنما قد زار الله، وحقّ الزائر علىٰ الله ان لا يعذبه بالنار»[٢].

هذه منزلة الحسين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوىٰ، ثم جاء ولده الائمة من بعده بكشف الحجاب المرخىٰ علىٰ فضائل هذا القبرالشريف، فقال المرحوم الدكتور جواد الكليدار عن هذا المعنىٰ: «ولذلك جاءت الاحاديث عن الائمة وكلها ناطقة بهذا المعنىٰ، فجعلوا لزيارة بطل الاسلام الشهيد ابن الشهيد ابي الشهداء، وزيارة مرقده الخالد مناسك مثل ما لحجّ بيت الله الحرام، لان الزائر بحضرته امام شخصية اسلامية عظيمة لم تمت بمنطوق الآية الكريمة: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾ واي شهيد اعظم منزلة، واعلىٰ قدراً ومكانة عندالله من الحسين سيد الشهداء وابي

---

(١) تفسير فرات: ٥٥، العوالم ١٧: ١٤١.

(٢) كفاية الاثر: ١٧.

أئمة العرب الاطهار ومن أصحابه ؟ وهم شهداء ليس مثلهم شهداء الا شهداء بدر الذين ضحوا بأنفسهم لتثبت دعائم الدعوة الاسلامية[١].

حتىٰ اصبحت زيارة الحسين فرض علىٰ كل مسلم، فألتزم بها الشيعة بشكل دقيق، وهم ينصتون للامام الباقر عليه السلام يقول: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فأن اتيانه مفترض علىٰ كل مؤمن يقرُّ للحسين بالامامة من الله عزّوجلّ»[٢].

من هنا اصبحت زيارة الحسين فريضة علىٰ كل من يقرُّ للحسين عليه السلام بالامامة، وكان عارفاً له حقه وحرمته وولايته، اما الجاحدون لاهل البيت عليهم السلام فهم خارجون عن شرط الزيارة، ففي حديث هارون بن خارجه، قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام:

«انهم يرون إنه من زار الحسين كانت له حجة وعمّرة ؟ قال: ومَنْ زاره ـ والله ـ عارفاً بحقه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٣]. وعن مولانا موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام: «أدنىٰ ما يثاب به زائر ابي عبدالله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمته وولايته، ان يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٤].

وفي حديث الوشاء، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إن لكل إمام عهداً في عنق اوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً لمّا رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة»[٥].

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٣٨.

(٢) كامل الزيارات: ١٣٠.

(٣) المصدر السابق: ١٤٩.

(٤) تسلية المجالس ٢: ٥٢٣، ثواب الاعمال: ١١١.

(٥) كامل الزيارات: ١٣١.

وكان الامام الصادق عليه السلام يصرح بثواب زيارة الحسين عليه السلام بقوله :
كمن حجّ ثلاث حجج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١] .

الامام الصادق عليه السلام وزوّار القبر الشريف

أصبحت الشيعة في عهد الامام الصادق عليه السلام تأخذ منحاً جديداً سواءً من الناحية الفكرية أو العددية ، خصوصاً فى نهاية الدولة الاموية وبداية الدولة العباسية ، وقد استطاع الامام الصادق عليه السلام وهو القائد الروحي للشيعة أن يوجه أصحابه نحو المسار الصحيح الذي يتبناه أئمة الهدىٰ عليهم السلام في تطبيق الشريعة المحمدية الاصيلة ، بعيداً عن الزّيف والانحراف الذي أخذ يدبُ في أوصال الامة عند ولادة المذاهب التي انحرفت عن مسار أهل البيت عليهم السلام وكانت بتشجيعٍ من حكام السوء .

ففي هذا الجو المشحون بالمتناقضات كانت الشيعة تلتف حول قيادة الامام الصادق عليه السلام يأخذون عنه الحديث ، ويدونون الرواية ، ويستفسرون عما اشكل عليهم من أمورهم الدينية ، ومنها الاسئلة التي تدور حول فضل وثواب زيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام .

ففي رواية هشام بن سالم قال : أتيت الامام الصادق فقلت له : يا ابن رسول الله هل يزار والدك ؟ قال : نعم ويصلّى عنده ، قال : فما لمن تركه رغبة عنه ؟ قال : الحسرة يوم الحسرة ، قال : فما لمن أقام عنده ؟ قال : وكل يوم بألف شهر ، قال : فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده ؟ قال : درهم بألف درهم ، قال : فما لمن مات في سفره اليه ؟ قال : تشيعه الملائكة وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنة ،

---

(١) المصدر السابق : ١٥ .

وتصلّي عليه إذا كفّن فوق اكفانه ، وتفرش له الريحان تحته ، وتدفع الارض حتىٰ تصوّر من بين يديه مسيرة ثلاثة أميال ، ومن خلفه مثل ذلك ، وعند رأسه مثل ذلك ، وعند رجليه مثل ذلك ، ويفتح له باب من الجنّة الىٰ قبره ، ويدخل عليه روحها وريحانها حتىٰ تقوم الساعة !

قلتُ : فما لمن صلىٰ عنده ؟ قال : مَن صلّىٰ عنده ركعتين لم يسأل الله شيئاً إلا اعطاه إيّاه ، قلت : فما لِمَن اغتسل من ماءِ الفُرات ، ثم أتاه ؟ قال : إذا اغتسل من ماءِ الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أُمَّهُ ، قال : قلت : فما لمن يجهز إليه ولم يخرج لعلّة تصيبهُ ؟ قال : يعطيه الله بكلِّ درهم أنفقهُ مثل أُحد من الحسنات ، ويخلف عليه أضعاف ما انفقهُ ، ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل يدفع عنه ، ويحفظ في ماله .

قال : قلت : فما لِمَن قُتل عنده ، جار عليه سلطان فقتله ؟ قال : أوّل قطرة من دَمِه يُغفر له بها كلّ خطيئة ، وتغسل طينةُ التي خلق منها الملائكة حتىٰ تخلص كما خلصت الانبياء المخلصين ، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين اهل الكفر ، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملأ إيماناً فيلقي الله وهو مخلصٌ من كلّ ما تخالطه الابدان والقلوب ، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من اخوانه ، وتولي الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت ، ويؤتي بكفنه وحنوطه من الجنة ، ويوسّع قبره عليه ويوضع له مصابيح في قبره ويفتح له بابٌ من الجنة ، وتأتيه الملائكة بالطُّرف من الجنة ، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً الىٰ حظيرة القُدس ، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتىٰ تصيبه النّفخة التي لا تبقي شيئاً ؛ فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أوّل من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والاوصياء عليهم السلام ويُبشرونه ويقولون له : ألزمنا ، ويقيمونه علىٰ الحوض فيشرب منه ويسقي من أحب .

قلت : فما لمن حُبس في إتيانه ؟ قال : له بكل يوم يحبس ويغتم فَرحة الىٰ يوم القيامة ، فان ضُرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكلِّ ضربةٍ حوراء وبكلِّ وجع يدخل علىٰ بدنه الف الف حسنةٍ ، ويُمحا بها عنه ألفُ الف سيئةٍ ، ويرفع له الفُ الف درجةٍ ، ويكون من محدّثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ يفرغ من الحساب ، فيصافحه حملة العرش ويقال له : سل ما احببت ، ويؤتى ضاربه للحساب فلا يسأل عنه شيء ولا يحتسب بشيء ويؤخذ بضبعيه حتىٰ ينتهي به يحبوه ويتحفه بشربةٍ من الحميم ، وشربةٍ من الغسلين ، ويوضع علىٰ مقال في النّار ، فيقال له : ذُق ما قدّمت يداك فيما أتيت الىٰ هذا الذي ضربته ، وهو وفد الله ووفد رسوله ، ويأتي بالمضروب الىٰ باب جهنم فيقال له : انظر الىٰ ضاربك والىٰ ما قد لقي فهل شفيت صدرك ، وقد أقتص لك منه ؟ فيقول : الحمدلله الذي انتصر لي ولولد رسول الله منه»[١] .

لقد أعطىٰ الامام الصادق عليه السلام جواباً شافياً لكل ما يتعلق بزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام وأصبح دستوراً عملياً للشيعة يتوارثونه فيما بينهم اباً عن جد ، حتىٰ غدت زيارة سيد الشهداء عليه السلام فريضة واجبة علىٰ المؤمنين الموالين الذين لم تمنعهم تهديدات السلطان وتعليقاته بعدم زيارة القبر الشريف ، وعلىٰ الرغم من هذا كله فهم يزدادون لهفةً وشوقاً لزيارته والتمسك بحبل ولايته ، ويزدادون ايضاً اكثر ولاءً وقرباً للامام الصادق الذي يطرق اسماعهم مرة تلو الاخرىٰ بفضل زيارة القبر الشريف ، فهو يقول : «من اتىٰ قبر الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الآمنين يوم القيامة ، واعطىٰ كتابه بيمينه ، وكان تحت لواء الحسين عليه السلام حتىٰ يدخل الجنة فيسكنه في درجته ، ان الله عزيز حكيم»[٢] .

فهل يبقىٰ بعد مجال للشيعة ، ومحبي آل البيت عليهم السلام ان يتركوا زيارة قبر

(١ ، ٢) كامل الزيارات : ١٣٣ .

الحسين عليه السلام وهم يسمعون بكرامات وفضائل القبر الشريف ؟ ولنستمع ايضاً للامام الصادق عليه السلام وهو يحدثهم بكرامات وفضائل القبر الشريف ؟ حيث قال رداً على سؤال لمحمد بن مسلم حينما سأله : مالمن أتىٰ قبر الحسين عليه السلام ؟ قال : من أتاه تشوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين ، وكان تحت لواء الحسين بن علي عليه السلام حتىٰ يدخلهما الله جميعاً الجنة»[1] .

إذن كيف تصبر شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله على ترك زيارة سيد شهداء البيت العلوي ، ولزيارته ما لا يحصىٰ من الاجر والثواب ؟ وهل كانت معرقلات وموانع السلطان التي وضعها في وجه زائري الحسين تنفع في صدِّ زائريه ؟ الجواب كما هو معروف ان جميع ما فعلته السلطة الحاكمة ، سواء كانت أموية ، أو عباسية ، بمنع زوار الحسين عليه السلام وطمس قبره الشريف باءت بالفشل ، فالقبر اخذت تتضح معالمه يوماً بعد يوم ، وزواره في زيادة مطردة ، والسلطة تقف عاجزة ، ومبهورة امام السر العجيب ، حتىٰ اصبح حديثاً للعام والخاص ، يتذاكرون فضله وكراماته وثواب زيارته ، وبعد ما شاهدوا كرامات القبر الشريف ، ففي رواية الحسين بن بنت ابي حمزة الثمالي قال : «خرجت في آخر زمان بني مروان الىٰ زيارة الحسين بن علي عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتىٰ انتهيت الىٰ كربلاء ، فاختفيت في ناحية القرية ، حتىٰ اذا ذهب من الليل نصفه ، أقبلت نحو القبر فلمّا دنوت منه ، أقبل نحوي رجل فقال لي : انصرف مأجوراً فانك لا تصل إليه ، فرجعت فزعاً ، حتىٰ إذا طلع الفجر اقبلت نحوه حتىٰ إذا دنوت منه خرج إليّ الرجل فقال لي : يا هذا إنّك لن تصل إليه ، فقلت له : عافاك الله ولِمَ لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته ؟ فلا تَحِلْ بيني هاهنا ، قال : فقال لي : اصبر قليلاً فان موسىٰ بن عمران عليه السلام

---

(١) كامل الزيارات : ١٥٥ .

سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين عليه السلام ، فأذن له فهبط من السماء في سبعين الف ملك فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر ، ثم يعرجون .

قال : فقلت له : فمن انت عافاك الله ، قال : انا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والاستغفار لزوّاره ، فانصرفت وقد كاد ان يطير عقلي لما سمعت منه ، قال : فأقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت منه فسلمت عليه ، ودعوت الله علىٰ قتلته وصلّيت الصبح ، وأقبلت مسرعاً مخافة اهل الشام»[١] .

فإذا كان قبر الحسين عليه السلام تزوره الانبياء والملائكة تقرباً لله تعالىٰ ، فما بال اهل الدنيا وهم يتلمسون فضائل وكرامات هذا القبر الشريف لا يهرعون لزيارته افواجاً ووحداناً ، أليس أجدر بالتقرب الىٰ الله تعالىٰ ، واقرب بالزلفىٰ لديه ، زيارة الضريح الطاهر لابي الشهداء سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والصلاة والدّعاء تحت قبته التي وكل الله تبارك وتعالىٰ بها ملائكة يبكون الحسين عليه السلام الىٰ يوم القيامة ، كما جاء في رواية ابان بن تغلب قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : «أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعثٌ غبرٌ يبكون الىٰ يوم القيامة ، رئيسهم ملك يقال له : منصور ، ولا يزوره زائر إلا استقبلوه ، ولا يودعه مودع إلا شيعوه ، ولا يمرض إلا عادوه ، ولا يموت إلا صلوا عليه وعلىٰ جنازته ، واستغفروا له بعد موته»[٢] .

وفي رواية بكر بن محمد الازدي ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : «وكل الله تعالىٰ بقبر الحسين عليه السلام سبعين الف ملك شُعثاً يبكونه الىٰ يوم القيامة ، يصلون عنده ، الصلاة الواحدة من صلاة احدهم تعدل الف صلاة من صلاة الآدميين ، يكون ثواب

---

(١) انظر : العوالم ١٧ : ٧١٤ ، بحار الانوار ٤٥ : ٤٠٨ .

(٢) كامل الزيارات : ١٢٨ .

صلاته وأجر ذلك لمن زار قبره عليه السلام »[١].

فبعد هذا البيان الضافي يتضح لدىٰ الباحث النابه سر فضيلة زيارة قبر الحسين عليه السلام ومبلغ انتسابها الىٰ الله تعالىٰ، الذي أصبح صاحبها اكثر دنوّاً واقتراباً من العلي الاعلىٰ، أليس هذا القبر هو مثوىٰ حبيبه وابن حبيبه والداعي اليه، والدال عليه، والباذل دون سبيله اهله ونفسه ونفيسه، والواضع دم مهجته في كفه تجاه إعلاء كلمته، ونشر توحيده، وتحكيم معالمه، وتوطيد طريقه وسبيله ؟

لقد اصبح قبر الحسين عليه السلام صرحاً شامخاً يهتدي بهديه الصالحون، ويقرُّ له المعاندون والمخالفون بعدما عرفوا هذا الكنز المصّون عادوا اليه معتذرين تائبين، فروي عن سليمان الاعمش أنه قال: كنت نازلاً بالكوفة، وكان لي جار وكنت آتي إليه وأجلس عنده فأتيت ليلة جمعة إليه، فقلت له: يا هذا ما تقول في زيارة الحسين ؟ فقال لي: هي بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، قال سليمان: فقمت من عنده وانا ممتلىء عليه غيظاً فقلت في نفسي: إذا كان وقت السّحر اتيته وأحدّثه شيئاً من فضائل الحسين عليه السلام فإذا أصرّ علىٰ العناد قتلته، قال سليمان: فلمّا كان وقت السّحر اتيته وقرعت عليه الباب ودعوته باسمه، فإذا بزوجته تقول لي: إنه قصد الىٰ زيارة الحسين من أوّل الليل.

قال سليمان: فسرت في اثره الىٰ زيارة الحسين عليه السلام فلمّا دخلت الىٰ القبر فإذا بالشيخ ساجد لله عَزّوجَلّ وهو يدعو ويبكي في سجوده ويسأله التوبة والمغفرة، ثم رفع رأسه بعد زمان طويل فرآني قريباً منه، فقلت له: يا شيخ بالامس كنت تقول: زيارة الحسين عليه السلام بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، واليوم اتيت تزوره ؟ فقال: يا سليمان لا تلمني. فإني ما كنت اتيت لاهل

---

(١) المصدر السابق: ١٣٠.

البيت إمامة حتىٰ كانت ليلتي تلك، فرأيت رؤيا هالتني وروعتني، فقلت له: ما رأيت أيّها الشيخ؟ قال: رأيت رجلاً جليل القدر لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاحق، ولا اقدر أصفه من عظم جلاله وجماله، وبهائه وكماله، وهو مع أقوام يحفون به حفيفاً ويزفونه زفيفاً، وبين يديه فارس، وعلىٰ رأسه تاج وللتاج أربعة أركان، وفي كل ركن جوهرة تضيء من مسيرة ثلاثة أيام، فقلت لبعض خدّامه: من هذا؟ فقال: هذا محمد المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم قلت: ومن هذا الآخر؟ فقال: علي المرتضىٰ وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم مددت نظري فإذا انا بناقة من نور عليها هودج من نور وفيه امرأتان، والناقة تطير بين السماء والارض، فقلت: لمن هذه الناقة؟ فقال: لخديجة الكبرىٰ وفاطمة الزهراء عليهما السلام، فقلت: ومن هذا الغلام؟ فقال: هذا الحسن بن علي عليه السلام، فقلت: والىٰ اين يريدون بأجمعهم؟ فقال: لزيارة المقتول ظلماً شهيد كربلاء الحسين بن علي المرتضىٰ، ثم إني قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزهراء فيه، فإذا انا برقاع مكتوبة تتساقط من السماء، فسألت ما هذه الرقاع؟ فقال: هذه رقاع فيها أمان من النار لزوار الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة، فطلبت منه رقعة فقال لي: إنك تقول زيارتهُ بدعة؟ فانك لا تنالها حتىٰ تزور الحسين عليه السلام وتعتقد فضله وشرفه، فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً، وقصدت عن وقتي وساعتي الىٰ زيارة سيدي الحسين عليه السلام، وانا تائب الىٰ الله تعالىٰ، فوالله يا سليمان لا أفارق قبر الحسين عليه السلام حتىٰ تفارق روحي جسدي»[1].

هذه هي شهادة أحد المعاندين والذي كان يرىٰ زيارة قبرة الحسين بدعة وضلالة، حتىٰ قذف الله سبحانه وتعالىٰ بقلبه حب الحسين عليه السلام واكرمه بزيارة قبره. وقد جاء عن الامام الصادق عليه السلام إنه قال: «من أراد الله به السوء قذف في قلبه بغض

---

(١) انظر: العوالم ١٧: ٧١٦، بحار الانوار ٤٥: ٤٠١.

الحسين وبغض زيارته»[١] . ونحن نقول : اللهم ثبت قلوبنا بحب الحسين ، واجعلنا ممن يتولىٰ الحسين ، وارزقنا زيارة الحسين إنك حميد مجيد .

ولم يقتصر علىٰ المخالفين والمبغضين لاهل بيت النبوة الذين نوّر الله قلوبهم بحب الحسين وبموالاة الحسين ، حتىٰ تعدىٰ ذلك الىٰ الجن المعاندين والمبغضين لهم ايضاً ، عندما شاهدوا كرامات هذا البيت الطاهر ، فأقرّوا لهم بالفضل والكرامة .

فلنستمع الىٰ شهادة دعبل بن علي الخزاعي :

في رواية أبي محمد الكوفي ، عن دعبل بن علي الخزاعي قال : لما انصرفت عن ابي الحسن الرضا عليه السلام بقصيدتي التائية ، نزلت بالري ، واني في ليلة من الليالي وانا اصوغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره فإذا طارق يطرق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أخ لك فبدرت الىٰ الباب ففتحته فدخل شخص اقشعر منه بدني ، وذهلت منه نفسي ، فجلس ناحية وقال لي : لا ترع أنا أخوك من الجن ، ولدت في الليلة التي ولدت فيها ونشأت معك ، وإني جئت أحدّثك بما يسرّك ويقوّي نفسك وبصيرتك ، قال : فرجعت نفسي وسكن قلبي فقال : يا دعبل ، إني كنت من أشدّ خلق الله بغضاً وعداوة لعلي بن ابي طالب عليه السلام ، فخرجت في نفر من الجن المردة العتاة ، فمررنا بنفر يريدون زيارة الحسين عليه السلام قد جنّهم الليل فهممنا بهم وإذا ملائكة تزجرنا من السماء . وملائكة في الارض تزجر عنهم هوامّها ، فكأني كنت نائماً او غافلاً فتيقظت ، وعلمت أن ذلك لعناية بهم من الله تعالىٰ لمكان من قصدوا له ، وتشرّفوا بزيارته .

فأحدثت توبة وجدّدت نيّة وزرت مع القوم ، ووقفت بوقوفهم ودعوت بدعائهم ، وحججت بحجّهم تلك السنة ، وزرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومررت برجل

---

(١) كامل الزيارات : ١٥٣ .

حوله جماعة ، فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله الصادق عليه السلام ، قال : فدنوت منه وسلّمت عليه فقال لي : مرحباً بك يا اهل العراق ، أتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالىٰ لاوليائنا ؟ إنّ الله قد قبل توبتك ، وغفر خطيئتك .

فقلت : الحمدلله الذي منّ عليّ بكم ، ونوّر قلبي بنور هدايتكم ، وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم ، فحدّثني يا بن رسول الله بحديث أنصرف به الىٰ اهلي وقومي ، فقال : نعم ، حدّثني ابي محمّد بن علي ، عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن ابي طالب عليهم السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي الجنّة محرّمة علىٰ الانبياء حتىٰ أدخلها أنا ، وعلىٰ الاوصياء حتىٰ تدخلها أنت ، وعلىٰ الامم حتىٰ تدخلها أمتي ، وعلىٰ أمتي حتىٰ يقرّوا بولايتك ، ويدينوا بإمامتك ، يا علي والذي بعثني بالحق لا يدخل الجنة إلا من أخذ منك بنسب أو سبب ، ثمّ قال : خذها يا دعبل فلن تسمع بمثلها من مثلي ابداً ، ثم ابتلعته الارض فلم أره[1] .

* * *

(١) انظر : العوالم ١٧ : ٧١٢ ، بحار الانوار ٤٥ : ٤٠٢ .



الأدوار التي مرت علىٰ القبر الشريف

البداية الأولىٰ

بعد وقعة الطف عام ٦١ هـ، واضطراب الوضع السياسي في العراق، سواء عند ظهور التوابين الذين نادوا بالانتقام من الرموز الرئيسية التي ساهمت بقتل الامام الحسين عليه السلام، وكذلك ظهور المختار المفاجيء، الذي استطاع ان يعلن حكومته الموالية لاهل البيت في الكوفة، والانتقام من القتلة، وبعدها تم القضاء علىٰ حملة عبيدالله بن زياد وقتله في معركة الخازر بقيادة ابراهيم بن مالك الاشتر، اصبحت الشيعة تنعم بنوع كبير من الحرية والطمأنينة، فسارعت بزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام والشهداء من أهل بيته وأصحابه، فظهر القبر الشريف واصبح محط انظار الشيعة خاصة من الكوفة والمدائن والبصرة، وطبيعي ان هؤلاء الزوار الذين يقطعون المسافات البعيدة لزيارة القبر الشريف يحتاجون الىٰ ظلٍ يستظلون به، وخصوصاً اذا كان الزائر يبقىٰ اليوم أو اليومين أو اكثر عند القبر، فمنذ ذلك الحين بنىٰ علىٰ القبر الشريف سقيفة، فزعم البعض ان بني اسد الذين دفنوا الحسين عليه السلام هم أول من بنى هذه السقيفة علىٰ القبر، حيث اكد ابن طاووس بقوله: أنهم اقاموا رسماً لقبر سيد الشهداء[1]. مما يدل علىٰ ان مجيء التوابين الىٰ القبر الشريف في سنة ٦٣

(١) الاقبال: ٣٦.

او ٦٤ كان ظاهراً معروفاً ولا يكون ذلك إلا ببنيانه[١].

ويرىٰ بعض المؤرخين ان المختار بن ابي عبيدة الثقفي هو الذي قام بتشييد البناء علىٰ القبر واتخذ له قرية من حوله[٢].

ومهما يكن من الامر فأن البناء قد ظهر في الفترة التي حدث فيها انفراج نسبي للشيعة، اي منذ فترة موت يزيد المفاجيء، وهروب عبيدالله بن زياد من العراق، وحتىٰ تولي المختار قيادة السلطة في الكوفة، ثم فترة ما بعد المختار، أي في عهد ولاية مصعب بن الزبير علىٰ العراق، نُعمت الشيعة بنوع من الحرية، أتاح لها زيارة القبر الشريف لسيد الشهداء عليه السلام، وبقي هذا البناء طيلة الحكم الاموي والىٰ قيام الدولة العباسية، كما يظهر من رواية صفوان الجمال، عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: «اذا أردت قبر الحسين في كربلاء، فقف خارج القبة وارم بطرفك نحو القبر، ثم ادخل الروضة وقم بحذائها من حيث يلي الرأس، ثم اخرج من الباب الذي عند رجلي علي بن الحسين عليه السلام، ثم توجه الىٰ الشهداء، ثم امش حتىٰ تأتي مشهد ابي الفضل العباس فقف علىٰ باب السقيفة وسلم».

نستدل من هذه الرواية بأنه كانت علىٰ القبر الشريف قبة، وعلىٰ قبر ابي الفضل العباس سقيفة وباب، للولوج الىٰ داخل السقيفة. ولصفوان الجمال ايضاً حديثاً عن الامام الصادق عليه السلام: «اذا أردت زيارة الحسين بن علي، فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة، وارم بطرفك نحو القبر (وقل) ثم ادخل اليمنىٰ وأخّر اليسرىٰ، ومن ثم ادخل الحائر وقم بحذائه»[٣].

وفي رواية الحسن بن ثور بن ابي فاختة، عن الامام الصادق عليه السلام من حديث

---

(١) اعيان الشيعة ٣: ٦٢٨.

(٢) تاريخ كربلاء والحائر الحسيني: ١٦٠.

(٣) اعيان الشيعة ٣: ٦٢٧.

طويل حتىٰ قال: «اذا اتيت أبا عبدالله فأغتسل علىٰ شاطىء الفرات ثم البس ثيابك الطاهرة، ثم امشِ حافياً، فإنك في حرم من حُرُم الله وحُرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتّمجيد والتّعظيم لله كثيراً والصّلاة علىٰ محمّد واهل بيته، حتىٰ تصير الىٰ باب الحائر، ثم تقول:

«السَّلامُ عَلَيكَ يا حجّة الله وابن حُجّتِهِ، السَّلامُ عَلَيكُم يا ملائكة الله وزُوّار قبر ابن نبي الله، ثم اخْطُ عَشر خطىً ثمَّ قف فكبر ثلاثين تكبيرة»[١].

يستفاد من هذه الروايات، علىٰ وجود بناء علىٰ الحائر الحسيني في زمن الامام الصادق عليه السلام المولود سنة ٨٠ هـ والمتوفى سنة ١٤٠ هـ، وقد توصل العلامة الشعراني علىٰ ان الحائر في تلك الفترة اعظم من الحائر الحالي فقال:

«المستفاد من هذا الحديث انّ الحائر كان اعظم من الحرم الحالي ـ اعني: تحت القبّة والرواق الواقع علىٰ اطرافه ـ، وذلك لأنَّ الفاصلة بين الباب وما يقف فيه الزائر حول القبر الشريف كان اكثر من عشر خطوات، والضّلع الجنوبي من جدار الحائر، وإلا لوجب بأنك تدور أو تطوف او تحوّل حتىٰ تأتيه من قبل وجهه، لكن اكتفىٰ بقوله امش حتىٰ تأتيه»[٢].

وفي رواية ابي حمزة الثمالي عن الامام الصادق عليه السلام قال: اذا أردت زيارة قبر العباس بن علي عليه السلام ـ وهو علىٰ شط الفرات بحذاء الحائر ـ فقف علىٰ باب السقيفة.

يتضح من الروايات المذكورة: علىٰ وجود مسجد للحسين عليه السلام وسقيفة، تظلها شجرة السدرة حتىٰ الايام الاخيرة للعهد الاموي. وذكر محمد بن ابي طالب عند ذكره لمشهد الحسين عليه السلام: «انه اتخذ علىٰ الرمس الاقدس لعهد الدولة المروانية مسجداً».

(١، ٢) كامل الزيارات: ٢١٧.

الحائر الحسيني في عهد المنصور

عندما تولىٰ العباسيون السلطة، وتمكنوا من القضاء التام علىٰ خصومهم الامويين، أرادوا التقرب الىٰ العلويين، وخصوصاً في عهد السفاح الذي فسح المجال لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فلم يزل البناء والمسجد والقبر المطهر بعيداً عن انتهاكات العباسيين في بداية دولتهم، لكن في زمن الخليفة المنصور صاروا يجاهرون بمعاداتهم للعلويين والتضييق عليهم، فنكل المنصور بآل الحسن، فمنهم من قُتلَ ومنهم من هرب علىٰ وجه، متذرعاً بالثورة عليه التي قام بها محمد بن عبدالله بن الحسن بالمدينة، واخيه ابراهيم الذي ثار من بعده في البصرة.

كما أراد التخلص من بيعة كانت في عنقه لمحمد بن عبدالله بن الحسن الملقب (بالنفس الزكية). ولما انتهت هاتين الثورتين بالفشل تفرغ للتنكيل بآل علي عليه السلام فزج عدداً كبيراً منهم في السجن، ثم تجاوز باعتداءاته علىٰ العلويين، حتىٰ طالت القبر الشريف للامام الحسين عليه السلام، وقبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ففي رواية صفوان الجمال، قال: «اخبرني مولىٰ لنا، عن مولىٰ لبني عباس، قال: قال لي ابو جعفر المنصور: خُذ معك معولاً وزنبيلاً وامض معي، قال: أخذت ما قال وذهبت معه ليلاً، حتىٰ ورد الغري فإذا بقبر، فقال: احفر، فحفرت حتىٰ بلغت اللحد»[1].

لقد دفع المنصور حقده الدفين الذي يكنه لآل علي عليه السلام، لانه يراهم احق منه بخلافة المسلمين، وان المجلس الذي اجلس فيه ما كان يأتيه إلا عن طريق شيعة أهل البيت في خراسان والكوفة، ودعوتهم في بداية امرهم للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان المنصور نفسه يرىٰ احقيتهم في الخلافة، فسبق كما قلنا انه بايع

---

(١) انظر: ارشاد القلوب ٢: ٤٣٦، بحار الانوار ١٠٠: ٢٣٨ / ٧.

محمد بن عبدالله بن الحسن (ذو النفس الزكية)، في اجتماع ضم بني هاشم لاختيار المرشح للخلافة، عندما بدأ حكم بني أمية في الانحلال في السنين الأخيرة من عهدهم.

وكذلك بايع السفاح والمنصور عبدالله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام عندما ثار في عهد خلافة ابراهيم بن الوليد الاموي، وقد استطاع بن معاوية هذا ان يبسط نفوذه علىٰ أصبهان، وقومس، وحلوان، والري، ففي رواية أبي الفرج الاصفهاني انه قال: «انه سيطر علىٰ مياه البصرة ومياه الكوفة وهمدان وقم والري وفارس واقام هو بأصبهان»[١]، «فقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسىٰ بن علي»[٢].

وعندما انتهت حركة ابن معاوية بالفشل، كان عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ضمن الاسرىٰ الذين اسرتهم القوات الموالية لبني امية، ثم شُفع فيه واطلق سراحه[٣].

ولما آلت الامور الىٰ بني العباس أرادوا ان يتحرروا من بيعة العلويين، فأرهبوهم بالخوف والترهيب، حتىٰ زجّوا بهم في السجون، واستعملوا معهم شتىٰ وسائل القهر والتعذيب، وكان ابتداء هذا الانحراف الذي صار علناً في زمن أبي جعفر المنصور، وان كان في دولتهم مستوراً وخفيف الوطأة في بداية الامر.

الحائر الحسيني في عهد الرشيد

تمتعت الشيعة ببعض الهدوء النسبي في زمن الخليفة المهدي، فكانت

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٥٦.

(٢) المصدر السابق: ١٥٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٥: ٣٧٢.

سياسته تتسم باللين وحسن المعاملة، وكان يعطف علىٰ العلويين ويبرّهم، وعلىٰ الرغم من قصر مدة حكمه، كانت الشيعة تختلف علىٰ زيارة الحائر الحسيني بحرية تامة، وكان هذا الحال حتىٰ بعد وفاته واستلام الرشيد لمقاليد الخلافة سنة ١٧٠ هـ، لكن سرعان ما تغيرت سياسة الرشيد، فأعاد سياسة جده المنصور بالتضييق واستعمال البطش، والقسوة ضد العلويين، فزج الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام في السجن، ثم تآمر علىٰ قتله وهو في السجن عام ١٨٣ هـ، ثم نقض العهد الذي اعطاه ليحيىٰ بن عبدالله بن الحسن (اخو محمد ذو النفس الزكية) حينما ظهر بالديلم وقويت شوكته نتيجة سياسة الاضطهاد التي اتبعها الرشيد مع العلويين، وفي المدة الاخيرة من حكمه اي في سنة ١٨٧ هـ، بدأت تظهر نواياه الخبيثة تجاه القبر الشريف، فقد عمد علىٰ كرب القبر المطهّر، وقطع السّدرة التي كانت بجانب القبر، ففي رواية يحيىٰ بن المغيرة الرازي كما يرويها الشيخ الطوسي في أماليه، قال: «كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من اهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تقطع السّدرة التي فيه فقطعت، قال: فرفع جرير يديه، وقال: الله اكبر قد جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: لعن الله قاطع السّدرة ثلاثاً، فلم نقف علىٰ معناه حتىٰ الآن، لان القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتىٰ لا يقف الناس علىٰ قبره عليه السلام»[١].

لقد حاول الرشيد العباسي ان يطمس آثار القبر، ويمحو رسمه، فكربه وقطع السّدرة التي يستظل بها زائري القبر الشريف، ثم هدم الابنية التي كانت تحيط به[٢]، عندما رأىٰ افتتان الناس بالقبر المقدس، وتهافتهم علىٰ زيارته، وهذا بالطبع

---

(١) انظر: أمالي الطوسي، بحار الانوار ٤٥: ٣٩٨، العوالم ١٧: ٧١٩.

(٢) تراث كربلاء: ٣٢.

كان يغيظ الرشيد ولا يروق له، ثم اخذ يتعقب العلويين تحت كل حجر ومدر، وكان يعترف بأعماله الشائنة هذه، فكان يقف علىٰ قبر امير المؤمنين علي عليه السلام فيقول:

«أنا والله أعرف فضلك وسابقتك، وبك والله جلست مجلسي الذي انا فيه، وانت انت، ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون عليّ»[١].

وفي رواية عبدالله بن حازم بن خُزيمة، قال: خرجنا مع الرشيد من الكوفة نتصيد، فصرنا الىٰ ناحية الغريين والثوية وذكر نحو المتن، ثم قال: ان أمير المؤمنين خرج الىٰ الرقة وانا معه، فقال ذات ليلة ونحن بالرقة بعد سنة: يا ياسر تذكر ليلة الغريين؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: أتدري قبر من ذاك؟ قلت: لا، قال: قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فقلت: يا امير المؤمنين تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده! فقال: ويلك، انهم يؤذونني ويحوجوني الىٰ ما افعل بهم»[٢].

لقد كان العباسيون يعترفون بفضل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وسابقته في الاسلام، وان عرش الخلافة الذي تبؤوا مقعده لا يمكن ان يصير اليهم إلا من طريق علي وآل علي عليه السلام حيث استغلوا عواطف الشيعة تجاه البيت العلوي، فبثوا دعاتهم بين اوساطهم، بحجة اعادة الامر الىٰ اصحابه الشرعيين، والدعوة الىٰ الرضا من آل محمد، ثم استحوذوا علىٰ مقاليد الحكم، وبعد ذلك عاثوا في الارض فساداً، وكان للعلويين في عهدهم نصيب كبير من الاضطهاد والجور، حتىٰ قبورهم لم تسلم من العبث والتخريب. ففي بداية الامر أراد الرشيد التنكيل بالخدم والسدنة

---

(١) انظر: ارشاد القلوب: ٤٣٦، كفاية الطالب: ٤٧١: مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٥١.

(٢) بحار الانوار ٤٢: ٣٣١.

القائمين بخدمة الحائر المقدس ، فأمر باحضار سادنه ابن ابي داود لينال العقاب لقاء قيامه بخدمة قبر الحسين عليه السلام ، ولما احضر ابن داود سأله الرشيد وهو يستشيط غيظاً : ما الذي صيّرك في الحير ؟

فأجابه : ان الحسن بن راشد هو الذي وضعني في ذلك الموضع ، فهز الرشيد رأسه من الغيظ وقال : ما اخلط ان يكون هذا من تخليط الحسن احضروه !

ولمّا أُحضر الحسن قال له : ما حملك علىٰ ان صيّرت هذا الرجل في الحير ؟

فقال الحسن : رحم الله من صيّره في الحير ، امرتني ام موسىٰ ان أصيره فيه ، وان اجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً .

فسكت الرشيد ولم يحر جواباً ، ثم قال : ردوه الىٰ الحير ، وأجروا عليه ما اجرته ام موسىٰ[١] .

لكن الرشيد آل علىٰ نفسه علىٰ أن يضع حداً لهذا القبر فأخذ بهدمه وتخريبه ، ففي رواية محمد بن ابي طالب ، حيث قال :

«وكان قد بني علىٰ قبر الحسين عليه السلام مسجد ، ولم يزل كذلك بعد بني امية ، وفي زمن بني العباس الىٰ زمن هارون الرشيد ، فانه خربه وقطع السّدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر»[٢] .

فإذا كان بنو امية تساهلوا بعض الشيء عن التعرض للقبر الشريف ، فبني العباس ندموا علىٰ عدم مشاركتهم في تصفية الحسين جسدياً ، فتتبعوه وهو رميماً ،

---

(١) الطبري ١٠ : ١١٨ .

(٢) اعيان الشيعة ٣ : ٦٢٨ .

ويوجد الىٰ الآن باب من ابواب الصحن الشريف يسمىٰ باب السدرة ، ولعل السدرة كانت عنده او بجنبه.

فللّه در الشاعر حيث يقول[١]:

أسفوا علىٰ أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتتبعوه رَمِيما

ولم يقتصر هدم قبر الحسين عليه السلام علىٰ الرشيد فقط، بل تعدىٰ الىٰ الولاة من آل بني العباس، فهذا موسىٰ بن عيسىٰ الهاشمي والي الكوفة للرشيد يأمر بهدم وتخريب القبر المطهر، ففي رواية يحيىٰ بن عبد الحميد الحمّاني، قال: خرجت أيام ولاية موسىٰ بن عيسىٰ الهاشمي في الكوفة من منزلي فلقيني ابو بكر بن عياش، فقال لي: امض بنا يا يحيىٰ الىٰ هذا، فلم ادر من يعني، وكنت أجلُّ أبا بكر عن مراجعته، وكان راكباً حماراً، فجعل يسير عليه، وأنا أمشي مع ركابه.

فلما صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم، التفت إليَّ، وقال لي: يا بن الحمّاني جررتك معي وجشمتك معي أن تمشي خلفي لأسمعك ما اقول لهذا الطاغية، قال: فقلت: من هو يا ابا بكر؟ قال: هذا الفاجر الكافر موسىٰ بن عيسىٰ، فسكتُّ عنه ومضىٰ وانا اتبعه حتىٰ إذا صرّنا الىٰ باب موسىٰ بن عيسىٰ، وبصر به الحاجب وتبينه، وكان الناس ينزلون عند الرحبة، فلم ينزل ابو بكر هناك، وكان عليه يومئذ قميص وإزار، وهو محلول الأزار.

قال: فدخل علىٰ حماره وناداني: تعال يا بن الحمّاني، فمنعني الحاجب فزجره ابو بكر وقال له: أتمنعه يا فاعل وهو معي؟ فتركني فما زال يسير علىٰ حماره حتىٰ دخل الايوان، فبصر بنا موسىٰ وهو قاعد في صدر الايوان علىٰ سريره بجنبي السرير رجال متسلحون.

فلما رآه موسىٰ رحب به وقرّبه وأقعده علىٰ سريره، ومُنعت انا حين وصلت الىٰ الايوان ان أتجاوزه، فلما استقرّ ابو بكر علىٰ السرير التفت الي حيث انا واقف

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٨.

فناداني وقال : ويحك ، فصرت إليه ونعلي في رجلي وعليّ قميص وإزار ، فأجلسني بين يديه ، فالتفت إليه موسىٰ فقال : هذا رجل كلّمنا فيه ؟

قال : لا ، ولكن جئت به شاهداً عليك ، قال : في ماذا ؟ قال : إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر .

قال : أيُّ قبر ؟ قال : قبر الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان موسىٰ قد وجه اليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها ، فانتفخ موسىٰ حتىٰ كاد أن ينقدَّ ، ثم قال : ما انت وذاك[1] ... الىٰ آخر الرواية» .

يتضح من رواية الحمّاني بأن القبر الشريف كان عرضة للعبث والتخريب علىٰ أيدي العباسيين خلفاء كانوا ام ولاة .

عمارة المأمون

بعد هدم الرشيد للقبر عام ١٩٣ هـ ، حيث هلك بعده بقليل ، ثم تولىٰ الامين عرش الخلافة بعد ابيه ، حدث انفراج نسبي للشيعة ، كما استفاد الشيعة من انشغال الأمين بلهوه ومجونه ، ومن ثم بعد ذلك النزاع المسلح بينه وبين المأمون ، فهرعوا لزيارة القبر بلا خوفٍ ولا وجل .

ويظهر ان الحائر الحسيني لم ينال من الاعمار في عهد الامين إلا شيئاً طفيفاً ، ويظهر ان الاهالي قاموا بذلك عند تخريب الرشيد للقبر المطهر .

وبعد انتصار المأمون وتسلمه لمقاليد الخلافة ، كان قد آثر التقرب للعلويين ، وكان قبل هذا قد دعا الامام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام وجعله ولياً لعهده ، واستبدل

---

(١) أمالي الطوسي : ٣٣٣ ، بحار الانوار ٤٥ : ٣٩٨ .

لباس السواد بالخضرة.

ففي عهده تمتعت الشيعة بنصيب كبير من حرية الرأي، وفي زمنه ازدادت المناظرات العقائدية والفلسفية، فأصبح لرجال الشيعة الحرية في ابداء ارائهم ومناظرة مخالفيهم، وقد اعترف المأمون بسبقهم الفكري والعقائدي. اما ما يخص الحائر الحسيني فقد أعاد المأمون موضع القبر المطهّر، وبنىٰ عليه بناءً شامخاً بقي حتىٰ سنة ٢٣٢ هـ[١].

الحائر الحسيني في عهد المتوكل

بقيت عمارة المأمون طيلة عهد المعتصم والواثق، والشيعة لا تزال في تلك الفترة تتمتع بنصيب وافر من الحرية في زيارة القبر الشريف، حتىٰ تبوء المتوكل عرش الخلافة في سنة ٢٣٢ هـ، وفي عهده بدأ في تضييق الخناق علىٰ الشيعة، وقد حذا حذو جده الرشيد في متابعة العلويين والتنكيل بهم، فقد وصفه ابن الاثير فقال عنه: «وكان شديد البغض لعلي بن ابي طالب عليه السلام، ولاهل بيته، وكان يقصد من يبلغه انه يتولىٰ علياً واهله، يأخذ المال والدم»[٢].

ولم يكتف بذلك حتىٰ امتدت أياديه الآثمة لتطال الضريح المقدس للحسين عليه السلام، ففي الفترة من ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ كان القبر الشريف عرضة للهدم والتخريب عدة مرات، مع إقامة المسالح علىٰ الطرق المؤدية الىٰ كربلاء للترصد، ومراقبة من يأتي لزيارته، وامر بانزال العقوبات الشديدة علىٰ من يخالف امره.

وقد وصف ابو الفرج الاصفهاني هذه الفترة بقوله: «وكان المتوكل شديد

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٦٢.

(٢) الكامل في التاريخ ١٧: ٥٦.

الوطأة علىٰ آل ابي طالب، غليظاً علىٰ جماعتهم، مهتماً بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق إن فتح بن خاقان وزيره كان سيء الرأي فيهم يحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ بهم مالم يبلغه احد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك كرب قبر الحسين عليه السلام وعفىٰ آثاره ووضع علىٰ سائر طرق الزوّار مسالح لا يجدون أحداً زاره إلا أتوا به فقتله او أنهكه عقوبة»[١].

وكان ابتداء المتوكل في هدم القبر وتخريبه في سنة ٢٣٣ هـ، علىٰ أثر ذهاب جارية من جواريه لزيارة قبر الحسين عليه السلام، والحادثة كما رواها ابو الفرج الاصفهاني حيث ذكر: «ان بعض القينات كانت تبعث بجواريها الىٰ المتوكل قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما بعث الىٰ تلك المغنية فعرف انها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام، وبلغها خبره فأسرعت في الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: اين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي الىٰ الحج فأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان. فقال: اين حججتم في شعبان؟ فقالت: الىٰ قبر الحسين عليه السلام، واستطار غضباً وأتىٰ بمولاتها. فحبست واستصفىٰ املاكها، وبعث برجل من اصحابه ـ يقال له الديزج كان يهودياً فأسلم ـ الىٰ قبر الحسين عليه السلام، وأمره بكرابه وحفره، واضراب كل ما حوله. فمضىٰ لذلك وضرب ما حوله، وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ الىٰ قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه وأجرىٰ الماء حوله، ووكل به مسالح علىٰ سائر الطرق بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجه به إليه فقتله أو أنهكه عقوبة»[٢].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠٣.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٠٣.

يستفاد من رواية الاصفهاني بأن زيارة قبر الحسين عليه السلام اتخذت طابعاً ملحوظاً خلال تلك الفترة، ولم تقتصر على الشيعة بل امتدت الى بقية طوائف المسلمين، وان محبة الحسين قد تغلغلت في قلوبهم، حتى امتدت الى بعض حاشية الخليفة وخاصة جواريه.

كما يظهر ان الشيعة قد اتخذوا دوراً ومنازلاً حول القبر الشريف، وهذا ما دعا المتوكل الى تهديم وتخريب الدور التي حوله، كما انه امر باعادة المسالح للمراقبة ومنع زوار القبر، والتي ألغيت بعد موت الرشيد.

بعد حادثة هدم القبر، هل امتنع الناس من زيارة القبر؟ بالتأكيد لا، فعلى الرغم من وجود المسالح على سائر الطرق المؤدية الى كربلاء وبين كل مسلحتين ميل، لم يثن الشيعة من زيارة القبر، ويظهر ان الاهالي اعادوا تعمير القبر ولو بشكل بسيط حتى جاءت سنة ٢٣٦ هـ، ليعيد المتوكل الكرة مرة اخرى بهدمه وهدم ما حوله من الدور والمنازل، وان يُبذر ويُسقى موضع القبر، وان يمنع الناس من اتيانه، «فنادى (عامل صاحب الشرطة) بالناس في تلك الناحية، من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المُطبق! فهرب الناس، وتركوا زيارته، وحرث وزرع»[١].

وفي رواية المسعودي فقد ذكر الحادثة بقوله: «وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن علي (رضي الله تعالى عنهما) وهدمه ومحو أرضه، وإزالة أثره، وان يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر، فكل خشى العقوبة واحجم فتناول الديزج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين، فحينئذ اقدم الفعلة فيه»[٢].

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٥.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٠١.

وقال في روايته الديزج ويظهر انه ابراهيم الديزج.

ولنستمع الىٰ شهادة ابراهيم الديزج نفسه حيث يقول: بعثني المتوكل الىٰ كربلاء لنبش قبر الحسين عليه السلام، وكتب معي الىٰ جعفر بن محمد بن عمّار القاضي: أعلمك اني قد بعثت ابراهيم الديزج الىٰ كربلاء لنبش قبر الحسين عليه السلام، فإذا قرأت كتابي هذا فقف علىٰ الامر حتىٰ فعل او لم يفعل.

قال الديزج: فعرفني جعفر بن محمّد ما كتب اليه، ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمّد بن عمّار، ثم اتيته فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: قد فعلت ما أمرت به فلم أرَ شيئاً ولم أجد شيئاً، فقال لي: أفلا عمقته؟ قلت: قد فعلت فما رأيت. فكتب الىٰ السلطان ان ابراهيم الديزج قد نبش القبر فلم يجد شيئاً، وأمرته فمخره بالماء وكرب القبر.

قال ابو علي العماري: فحدّثني ابراهيم الديزج وسألته عن صورة الامر، فقال لي:

«اتيت في خاصة من غلماني فقط، واني نبشت فوجدت بارية وعليها بدن الحسين عليه السلام، ووجدت منه رائحة المسك، فتركت البارية علىٰ حالها وبدن الحسين عليه السلام علىٰ البارية، وامرت بطرح التراب عليه، واطلقت عليه الماء، وامرت البقر لتمزجه وتحرثه، فلم تطأه البقر وكانت اذا جاءت الىٰ الموضع رجعت عنه، فَحَلّفتُ غلماني بالله وبالايمان المغلّظة لئن ذكر احد هذه لاقتلنه»[1].

لكن هل يمكن ان نطمأن الىٰ رواية ابراهيم الديزج وحديثه لابي علىٰ العماري، بأنه وجد بدن الحسين علىٰ حاله، ثم اعاد عليه التراب وهدد غلمانه بكتمان الامر، وابراهيم من الموالين للمتوكل، ولم يكلفه المتوكل بهذه المهمة حتىٰ عرف منه بغضه لآل علي بن ابي طالب عليه السلام، ولو وجده فعلاً كما يدعي لتقرب به الىٰ

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٨، تسلية المجالس ٢: ٤٧٩.

السلطان، حتىٰ تعلو منزلته عنده. لكن يظهر من تبريراته هذه انه كان بعد هذه العملية موضعاً للاستهزاء وسخرية الناس.

وبقي المتوكل يتميز غيظاً وحقداً علىٰ آل المصطفىٰ ﷺ، وهو يتحين الفرص المناسبة لإفراغ حقده الدفين عليهم، وفي عام ٢٣٧ هـ، عند ما بلغه ان اهل العراق يجتمعون لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير الىٰ قبره خلق كثير، فأمر أحد قواده وجهزهُ بقوات من جيشه لتخريب القبر وتهديم المنازل التي حوله، لكن هذه المرة باءت محاولته بالفشل، حيث وقف الناس ضده، وتعاهدوا علىٰ مقاومة المعتدين علىٰ القبر الشريف، وعندما رأىٰ ان الامور لا تسير في صالحه امر قواته بالانسحاب الىٰ الكوفة.

وقد روىٰ الشيخ الطوسي في اماليه بسنده عن القاسم بن أحمد بن معمر الاسدي الكوفي ـ وكان له علم بالسير وايام الناس ـ قال: «بلغ المتوكل ان اهل السواد يجتمعون بأرض نينوىٰ لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير الىٰ قبره منهم جماعة كثيرة، وخلق عظيم، فأنفذ قائداً من قواده، وضمّ إليه كنفاً من الجند كثيراً ليشعث من قبره عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع عنده.

فخرج القائد الىٰ الطف، وعمل ما امر به، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار اهل السواد، واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما امسك منا لزيارته، والاجتماع عنده، ورأوا من الدلائل ما حملهم علىٰ ما صنعوا، فكتب بالامر الىٰ الحضرة، فورد كتاب المتوكل الىٰ القائد بالكفّ عنهم، والسير الىٰ الكوفة مظهراً ان مسيره اليها في مصالح اهلها والانكفاء الىٰ المصر»[1].

يظهر من هذه الرواية أنّ هدم القبر لم يكن بالقدر الكبير، لما رأوا من

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٤٧.

المعارضة الشديدة التي ابداها اهل السواد ضدهم، كما نستخلص منها ايضاً بأن القبر قد اعيد بناؤه بعد هدمه في سنة ٢٣٧، ويظهر ايضاً ان الناس الغيارىٰ من شيعة آل البيت هم الذين اعادوا بناء القبر في تلك الفترة القصيرة.

لقد اصاب المتوكل الذهول، وهو يرىٰ المشهد المقدس يزداد شموخاً سنة بعد أخرىٰ، كما ان عوامل الارهاب والخوف التي ابتدعها ضد زوار الحسين عليه السلام لم تجدِ نفعاً، حتىٰ صار مثلاً لاستهجان وسخرية المسلمين «وكتب اهل بغداد شتمه علىٰ الحيطان والمساجد»[١].

كما هجته الشعراء بقصائدٍ لاذعة، (كما لتشنيعات زيد المجنون علىٰ المتوكل، واعماله المفضوحة اثرها الفعال في نفس طاغية بني العباس، فارتدع مدة من الزمن من التعرض للقبر المطهر)[٢].

بقي القبر الشريف محفوظاً من انتهاكات المتوكّل مدة عشر سنين، حتىٰ فاض حقده الدفين علىٰ العلويين مرة اخرىٰ، يغرونه ندماء السوء بالفتك بآل علي عليه السلام، فيذكر ابن الاثير «انّما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ، فيهم: علي بن الجهم الشاعر الشامي، من بني شامه بن لؤي، وعُمر بن فرخ الرَّخجي، وابو الشَّمط من ولد مروان بن حفصة، ومن موالي بني امية، وعبدالله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن اترجه.

وكان يخوّفونه من العلويين، ويشيرون عليه بابعادهم، والاعراض عنهم، والاساءة اليهم، ثم حسّنوا له الوقيعة في اسلافهم الذين يعتقد الناس عُلوّ منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتىٰ ظهر منه ما كان، فغطت هذه السيئة جميع

---

(١) اخبار الدول للقرماني في حوادث سنة ٢٣٧.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢١٠.

سيئاته»[١].

ففي سنة ٢٤٧ هـ قرر الفتك بالعلويين الذين يتواجدون حول الضريح المقدس للحسين عليه السلام ووضع حداً لنهاية هذا القبر الذي افتتن الناس به، فكان يتحرىٰ الذرائع لتنفيذ فعلته الشائنة، فأستغل زيارة شعبان حيث يكون زخم كثيف لزوار الحسين عليه السلام في هذا الشهر، فيروي الشيخ الطوسي في أماليه: «فبلغ المتوكل مصير الناس من اهل السواد والكوفة الىٰ كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم لذلك، وصار لهم سوق عظيم، فأنفذ قائداً في جمع عظيم من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذّمة ممن زار قبره عليه السلام، ونبش القبر وحرثه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل علىٰ تتبع آل ابي طالب والشيعة، فقتل لعنه الله، ولم يتم ما قدر»[٢].

وعن شهادة عبدالله بن دانية الطوري، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي في أماليه، قال:

«حججت سنة سبع واربعين ومائتين، فلما صدرت عن الحجّ صرتُ الىٰ العراق، فزرت امير المؤمنين عليه السلام علىٰ حال خيفة من السلطان وتقيّة، ثم توجهت الىٰ زيارة الحسين عليه السلام، فإذا هو قد حرثت أرضه ومخر فيها الماء، وأرسلت الثيران والعوامل في الارض، فبعيني كنت أرىٰ الثيران تأتي في الارض فتنساق لهم فيها حتىٰ اذا حاذت مكان القبر يميناً وشمالاً، فتضرب بالعصا الضرب الشديد، فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه من الوجوه ولا سبب، فما امكنني الزيارة، فتوجهت الىٰ بغداد وأنا اقول:

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٦.

(٢) امالي الشيخ الطوسي: ٣٢٨.

تـاللهِ إن كـانت أمـيّة قـد اتت قـتل ابـن بـنت نـبيّها مـظلوما
فـقد أتـاك بـنو أبـيه بـمثلها هـذا لعـمرك قـبره مـهدوما
أسفوا علىٰ أن لا يكونوا شـايعوا فـي قـتله فـتتبعوه رمـيما

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة، فقلت: ما الخبر؟

قالوا: وقع الطير بقتل جعفر المتوكل، فعجبت من ذلك وقلت: الهي ليلة بليلة»[١].

ويؤيد شهادة عبدالله بن دانية الطوري، رواية محمد بن جعفر بن محمد بن الرج الرخجي، قال: حدّثني أبي، عن عمّه عمر بن فرج، قال: أنفذني المتوكل في تخريب قبر الحسين عليه السلام فصرت الىٰ الناحية فأمررنا بالبقر بمن فيها علىٰ القبور، فمرّت عليها كلها، فلمّا بلغت قبر الحسين عليه السلام لم تمرّ عليه.

قال عمّي عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي، فما زلت أضربها حتىٰ انكسرت العصا بيدي، والله ما جازت علىٰ قبره، وكان هذا الرجل شديد الانحراف عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وقد جاء وصف حالة القبر الشريف ووصف حالة زائريه في تلك الايام السوداء من حكم المتوكل في رواية لابي الفرج الاصفهاني عن محمد بن الحسين الاشناني حيث قال:

«بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الايام خوفاً، ثم عملت علىٰ المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطّارين علىٰ ذلك، فخرجنا زائرين نكمن بالنّهار ونسير بالليل، حتىٰ اتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل، فسرنا بين

---

(١) امالي الشيخ الطوسي: ٣٢٨.
(٢) تسلية المجالس ٢: ٤٧٥.

مسلحتين وقد ناموا، حتىٰ اتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نتسمه ونتحرىٰ جبهته حتىٰ أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجرىٰ الماء عليه فأنخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه واكببنا عليه، فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: اي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها بشيء من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيّين والشيعة حتىٰ صرنا الىٰ القبر، وأخرجنا تلك العلامات واعدناه الىٰ ما كان عليه»[١].

وفي رواية اخرىٰ بسندٍ عن هشام بن محمد، قال: لمّا أجري الماء علىٰ قبر الحسين عليه السلام نضب بعد اربعين يوماً، وأمتحىٰ اثر القبر فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمّه، حتىٰ وقع علىٰ قبر الحسين فبكىٰ وقال: بأبي وامي ما كان أطيبك واطيب تربتك ميتاً، ثم بكىٰ وانشأ يقول[٢]:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبر دَلَّ علىٰ القَبرِ

هكذا كانت ايام المتوكل حالكة السّواد بالنسبة للعلويين والشيعة بشكل عام، فكان يمنع من زيارته فيمتنع الناس مدة، او تقل زيارتهم، ويزورون خفية ثم تكثر زيارتهم فيمدد المنع الىٰ ان قتله الله، وقد قال احد الشعراء[٣]:

أيحرثُ بالطف قبر الحسين ويعمر قبر بني الزانية
لعلّ الزمان بهم يعودُ ويأتي بدولتهم ثانية

لقد انتهىٰ المتوكّل وسقط في قعر الذُّلِّ والمهانة، وقتل شر قتله، وسجل

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠٤.

(٢) تاريخ دمشق: ٢٧٥، الحسين بن علي سيد شباب اهل الجنة: ١١٦.

(٣) اعيان الشيعة ٣: ٦٣٧.

تاريخه بأحرف سوداء ، هي وصمة خزي وعار في جبينه ، وقد لقىٰ حتفه علىٰ يد اقرب الناس إليه ، بعدما تمادىٰ في غيّه واستهتاره بالقيم الاسلامية ، حتىٰ وضع المنتصر ابنه حداً لهذا الطاغية الاهوج ، وقد ذكر ابن الاثير مصرع الطاغية المتوكل بقوله : «وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب عليه السلام ولاهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه انّه يتولىٰ علياً واهله يأخذ المال والدم ، وكان من جملة ندمائه عبادة المُخنث ، وكان يشدُ علىٰ بطنه ، تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه ، وهو أصلع ، ويرقص بين يدي المتوكل ، والمغنون يغنون : قد أقبل الاصلع البطين ، خليفة المسلمين ، يحاكىٰ بذلك علياً عليه السلام والمتوكّل يشرب ، ويضحك ، ففعل ذلك يوماً ، والمنتصر حاضراً ، فأومأ الىٰ عبادة يتهدده ، فسكت خوفاً منه ، فقال المتوكل : ماحالك ؟ فقام وأخبره ، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إنّ الذي يحكيه هذا الكاذب ، ويضحك منه الناس ، هو ابن عمّك ، وشيخ اهل بيتك ، وبه فخرك ، فكل انت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وامثاله منه ! فقال المتوكل للمغنين غنّوا جميعاً :

غار الفتىٰ لابن عمّه رأس الفتىٰ في حِرِ أمّهْ

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل[1] .

لقد سقط رأس الضلال ، وسقطت معه الرؤوس العفنة ، التي كانت أدوات طيّعة له في تنفيذ اوامره الخبيثة من هدم وتخريب قبر سيد الشهداء عليه السلام ومطاردة

---

(١) الكامل في التاريخ ٧ : ٥٥ .

قال ابن حشيش : قال ابو الفضل : إنّ المنتصر سمع أباه المتوكّل يسبُّ فاطمة عليها السلام فسأل رجلاً من الناس عن ذلك ، فقال له : قد وجب عليه القتل ، إلا انه من قتل أباه لم يطل عمره .

قال : ما ابالي إذا أطعت الله بقتله ألا يطول عمري ، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر .

انظر : أمالي الطوسي : ٣٢٧ .

العلويين ، ففي رواية الفضل بن محمد بن عبد الحميد قال : (دخلت علىٰ ابراهيم الديزج وكنت جاره اعوده في مرضه الذي مات فيه ، فوجدته بحال سوء ، فإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب ، فسألته عن حاله ، وكانت بيني وبينه خلطة وأنس توجب الثقة بي والانبساط اليّ ، فكاتمني حاله ، واشار الىٰ الطبيب ، فشعر الطبيب باشارته ، ولم يعرف من حاله ، ما يصف له من الدواء ما يستعمله ، فقام فخرج ، وخلا الموضع فسألته عن حاله ، فقال : أخبرك والله واستغفر الله إنّ المتوكّل امرني بالخروج الىٰ نينوىٰ الىٰ قبر الحسين عليه السلام ، فأمرنا ان نكربه ونطمس اثر القبر ، فوافيت الناحية مساءً ، ومعنا الفعلة والدركاريّون معهم المساحي والمراود ، فتقدمت الىٰ غلماني وأصحابي ان يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه ، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر ونمت فذهب بي النوم فإذا ضوضاء شديدة ، واصوات عالية ، وجعل الغلمان ينبهوني فقمت وانا ذعر ، فقلت للغلمان : ما شأنكم ؟ قالوا : أعجب شأن ، قلت : وماذاك ؟ قالوا : إنّ بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر وهم يرموننا مع ذلك بالنشاب ، فقمت معهم لأتبين الامر فوجدته كما وصفوا ، وكان ذلك في اول الليل من ليالي البيض ، فقلت : ارموهم فعادت سهامنا إلينا ، فما سقط سهم منهم إلا في صاحبه ، فاستوحشت لذلك وجزعت ، وأخذتني الحمّىٰ والقشعريرة ، ورحلت عن القبر لوقتي ووطنت نفسي علىٰ ان يقتلني المتوكل لما لم ابلغ في القبر ما تقدم اليّ به .

قال ابو برزة : فقلت له : قد كفيت ما تحذر من المتوكل ، قد قتل بارحة الاولىٰ واعان عليه في قتله المنتصر ، فقال لي : قد سمعت بذلك ، وقد نالني في جسمي مالا أرجو معه البقاء ، قال ابو برزة : كان هذا في أوّل النهار فما امسىٰ الديزج حتىٰ مات»[١] .

---

(١) انظر : امالي الطوسي ١ : ٣٣٥ ، بحار الانوار ٤٥ : ٣٩٥ ، العوالم ١٧ : ٧٢٥ .

وفي رواية عن ابي عبدالله الباقطاني، قال: ضمّني عبيدالله بن خاقان الىٰ هارون المصرّي، وكان قائداً من قواد السلطان اكتب له، وكان بدنه كلّه ابيض شديد البياض، حتىٰ يديه ورجليه كانا كذلك، وكان وجهه أسود شديد السواد، كأنه القير، وكان يتقيأ مع ذلك مِدة نتنة، قال: فلمّا انس بي سألته عن سواد وجهه فأبىٰ ان يخبرني، ثم انه مرض مرضه الذي مات فيه، فقعدت فسألته فرأيته كأنّه يحب ان يكتم عليّ، فضمنت له الكتمان.

فحدّثني، قال: وجهني المتوكل انا والديزج لنبش قبر الحسين عليه السلام واجراء الماء عليه فلمّا عزمت علىٰ الخروج والمسير الىٰ الناحية رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: لا تخرج مع الديزج ولا تفعل ما امرتم به في قبر الحسين، فلما اصبحنا جاءوا يستحثوني في المسير فسرت معهم حتىٰ وافينا كربلاء، وفعلنا ما امرنا به فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: ألم أمرُك ان لا تخرج معهم؟ ولا تفعل فعلهم؟ فلم تقبل حتىٰ فعلت ما فعلوا، ثمّ لطمني وتفل في وجهي فصار وجهي مسوداً كما ترىٰ وجسمي علىٰ حالته الاولىٰ»[1].

لقد انهار عرش المتوكل بين ليلة وضُحاها، وكل محاولاته في طمس آثار القبر باءت بالفشل، وبقي قبر الحسين عليه السلام شامخاً يتحدىٰ الزمن بما حملهُ من ويلات ومحن، وظلّ منذُ الوهلة الاولىٰ غرّة في جبين الدهر، وقد عبّر محمد بن ابي طالب صاحب تسلية المجالس عن هذا المعنىٰ بقوله: «كم راموا إخفاء منارها، وإطفاء انوارها، واعفاء آثارها، وإهلاك زوارها، وتخريب عامرها، وإدحاض مآثرها، وتتبعوا زعمائها، واخفوا معالمها، ودرسوا قبورها، وطمسوا مشهورها، وجعلوها لسوامعهم مرتعاً، ولحرثهم مزرعاً، ولم يتركوا لها علماً مشهوراً،

(١) انظر: امالي ١: ٣٣٥، بحار الانوار ٤٥: ٣٩٥، العوالم ١٧: ٧٢٥.

ولاجذراً معموراً.

واظهر الله ما اخفوا، وانار ما اطفوا، طار ذكر بيت نبيه في المغارب والمشارق، والقىٰ فضلهم علىٰ كل لسان ناطق، حتىٰ طبق الافاق ذكرهم، وعلىٰ السبع الطباق فخرهم، وسطرت في الدفاتر مناقبهم، وشرفت علىٰ كل شرف مراتبهم، همتهم تستخرج العذراء من خدرها، وزمام محبتهم تجذب القلوب من برّها وبحرها، يقاسي وَليّهم في هجرته الىٰ مشاهدهم من اعداء الله ما الموت ايسر بعضه، ويتحمل الاذىٰ في الله ممّن خفّ ميزان يوم حسابه وعرضه، ويستعذب العذيب في مسيره الىٰ زيارتهم، ويستطيب فراق الحميم والحبيب لمشاهدة انوار بهجتهم»[١].

عمارة المنتصر بالله سنة ٢٤٧ هـ

بعد هلاك المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ هـ، ومجيء ابنه المنتصر بالله علىٰ رأس الخلافة العباسية، الغىٰ سياسة البطش والتنكيل بالعلويين الذي كان المتوكل سيدها ورئيسها.

فعطف هذا علىٰ آل ابي طالب وأحسن اليهم، وفرق فيهم الاموال وأعاد القبور في أيامه[٢]، ففي مدة حكمه القصيرة تمتعت الشيعة بحرية تامة في زيارة قبور الائمة عليهم السلام في الغري وكربلاء، وشيّد من جديد أضرحة الائمة عليّ، والحسين عليهما السلام، كما اطلق أوقاف أهل البيت التي كان المتوكل قد صادرها.

ففي رواية المسعودي قال: «وتقدم بالكفّ عن آل ابي طالب وترك البحث

---

(١) تسلية المجالس ٢: ٤٨٨.

(٢) تاريخ كربلاء: ١٦٤.

عن أخبارهم ، وان لا يمنع أحد زيارة الحيرة وقبر الحسين عليه السلام ولا قبر غيره من آل ابي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذىٰ عنهم» .

وبنىٰ علىٰ المرقد الشريف ميلاً عالياً يرشد الناس إليه ، وشجع الناس علىٰ زيارته .

سقوط سقيفة الحائر سنة ٢٧٣ هـ

لم تمض عمارة الحائر الحسيني علىٰ يد المنتصر بالله اكثر من ٢٦ سنة ، حتىٰ سقط سنة ٢٦٣ هـ في عهد المعتمد بالله العباسي ، ولم يعرف اسباب سقوط السقيفة ، هل كان خللاً في البناء الذي مضىٰ علىٰ بنائه فترة اكثر من ربع قرن ، او كان للسلطات الحاكمة يد في انهيار سقيفة الحائر ؟

بعض الباحثين يرىٰ إن للسلطة العباسية يد في سبب سقوط السقيفة وانهيارها في ذي الحجة من سنة ٢٧٣ هـ ، ونعتقد ان الحادث كان طبيعياً ولم يكن عملاً تخريبياً من السلطة او غيرها ، حيث كانت الدولة في ذلك الوقت لا تملك القدرة الكافية التي يمكنها ان تهدّ بناءً كاملاً في لحظة واحدة . كما ان التاريخ لم يحدّثنا عن ضلوع السلطة الحاكمة في انهيار السقيفة ، كما حدثنا في المرات السابقة في التعرض للقبر وانتهاك حرمته الشريفة في عهد المنصور والرشيد والمتوكل .

أما عند تحليل الوضع السياسي للخلافة العباسية في تلك الفترة الحرجة من عمرها ، نجدها تتسم بالفوضىٰ وعدم الاستقرار ، حيث كانت ثورة الزنج التي أُشعل فتيلها في البصرة في سنة ٢٥٥ هـ ، والتي هددت مستقبل الخلافة العباسية ، وقد استطاع صاحب الزنج ان يبسط نفوذه علىٰ البصرة والاهواز وعبادان وميسان ورامهرمز والبطائح وواسط ، حتىٰ صار قريباً من مقر الخلافة العبّاسية ، وقد كلفت

الدولة العباسية اموالاً طائلة في الارواح والممتلكات، ولم يستطيعوا القضاء عليه إلا في سنة ٢٧٠ هـ بقيادة الموفق، هذا من جهة، اما من جهة الخلفاء انفسهم فقد كانوا ألعوبة بيد الاتراك، يعبثون ويفسدون في مقدرات الخلافة، واصبحوا اصحاب الامر والنهي، حتىٰ سادت الفوضىٰ، وعمّت الاضطرابات، وصار الخليفة لا يأمن حتىٰ علىٰ حياته، فمتىٰ أرادوا التخلص منه يقتلونه بسهولة ويسر، كما فعلوا بالمستعين والمعتز والمهتدي، وربما يعاقب الخليفة قبل قتله كما فعلوا بالمعتز، حيث عُوقب بوضعه في الشمس فوق الرمل يرفع رجله ويضعها من شدة حرارة الرمل، وهم يضربونه بالدبابيس. من هذه الحادثة يعرف الىٰ أية مرحلة من مراحل الذّل والانحطاط وصلت اليه الخلافة العباسية، فلم تتح الفرصة للخلفاء بالتعرض للقبر الشريف.

اما وقت سقوط سقيفة الحائر فكان في عهد المعتمد الذي بويع له بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ، والذي كان منهمكاً علىٰ اللهو واللذات، فاشتغل عن الرعية فكرهته الناس، وفي آخر ايامه مات اخيه الموفق ثم اختلفت عليه الرعية فقتلوه، وقيل سُمَّ، وقيل رمي في حلقه رصاص مُذاب، وقيل حفر له حفرة وجعل عليها ريش فمشىٰ فسقط في الحفرة، فمات سنة ٢٧٩ هـ[1].

فكان رجل الدولة الموفق وابنه المعتضد الذي تولىٰ عرش الخلافة بعد المعتمد، وكان المعتضد يتشيع كما نفهم من رواية ابن ابي الحديد، عن العلاء بن صاعد بن مخلد، حيث قال: «لمّا حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد الىٰ

---

(١) انظر: الانباء في تاريخ الخلفاء: ١٣٧، البدء والتاريخ ٦: ١٢٤، تاريخ الخلفاء: ٣٩٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٧، تاريخ مختصر الدول: ١٤٧، الجوهر الثمين: ١٥٩، المختصر في اخبار البشر ٢: ٥٩.

بغداد (٢٧٠ هـ)، دخل في جيش لم ير مثله، واشتق اسواق بغداد والرأس بين يديه، فلمّا صرنا بباب الطاق، صاح قوم من درب تلك الدروب: رحم الله معاوية وزاد! حتىٰ علت أصوات العامة بذلك، فتغير وجه المعتضد، وقال: الا تسمع يا ابا عيسىٰ ما اعجب هذا! وما الذي اقتضىٰ ذكر معاوية في هذا الوقت! والله لقد بلغ ابي الىٰ الموت، وما افلتُ انا إلا بعد مشارفته، ولقينا كل جهد وبلاء، حتىٰ نجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصنّا حُرمهم وأولادهم، فتركوا ان يترحموا علىٰ العباس وعبدالله وابنه ومن ولد الخلفاء، وتركوا الترحم علىٰ علي بن ابي طالب، وحمزة والحسن والحسين، والله لا برحت أو أوثر في تأديب هؤلاء أثراً لا يعادوه بعد هذا الفعل مثله، ثم امر بجمع النّفاطين ليحرق الناحية، فقلت له: ايها الامير، أطال الله بقاءك، ان هذا اليوم من أشرف أيام الاسلام، فلا تفسده بجهل عامة لاخلاق لهم، ولم أزل أداريه وأرفق به حتىٰ سار»[١].

يظهر من هذه الرواية ان حب اهل البيت عليهم السلام صار يجد له مكاناً في قلوب البعض من بني العباس، كما يؤيد ذلك ابن طاووس في روايته عن ابي الحسين علي بن الحسين بن الحجاج قال: كنا جلوساً في مجلس ابن عمي ابي عبدالله محمّد بن عمران بن الحجاج، وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ، وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنؤنه بالسلامة، لانه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين، فبيناهم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس اسماعيل بن عيسىٰ العباسي، فلمّا نظرت الجماعة إليه، أحجمت عمّا كانت فيه، وأطال اسماعيل الجلوس، فلما نظر اليهم قال: يا أصحابنا أعزكم الله لعلي قطعت عنكم

---

(١) ثورة الزنج في البصرة مخطوط.

حديثكم بمجيئي ! قال ابو الحسن علي بن يحيىٰ (وكان شيخ الجماعة ومقدماً فيهم) : لا والله يا ابا عبدالله (أعزّك الله) امسكنا بحال من الاحوال ، فقال لهم : يا اصحابنا اعلموا انّ الله (عزّوجلّ) سائلي عمّا أقول لكم وما أعتقده من المذهب ، حتىٰ حلف بعتق جواريه ومماليكه وحبس دوابه ، انه ما يعتقد إلا ولاية (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب عليه السلام ، والسّادة الائمة عليهم السلام ، وعدهم واحداً واحداً ، وساق الحديث ، فانبسط إليه اصحابنا »[١] .

يستدل من رواية ابن طاووس ان المجلس كان يضم رجالاً من الشيعة لتهنئة محمد بن عمران الحجاج بسلامته علىٰ أثر سقوط السقيفة سنة ٢٧٣ هـ، وكان في المجلس العباس بن أحمد العباسي الذي كان يتشيع ، وعند دخول اسماعيل بن عيسىٰ العباسي احجموا عن الكلام ، حتىٰ صرّح لهم بانتمائه الىٰ مذهب اهل البيت ، وموالاة علي بن ابي طالب عليه السلام .

عمارة محمد بن زيد الملقّب بالداعي الصغير

بعد سقوط عمارة المنتصر عام ٢٧٣ هـ، قام بتجديدها محمد بن زيد بن الحسن بن محمد بن اسماعيل جالب الحجارة بن الحسن دفين الحاجز بن زيد بن الجواد بن الحسن بن السبط بن علي بن ابي طالب ، الملقب بالداعي الصغير ، وقد ملك طبرستان بعد أخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير مدة عشرين سنة[٢] ، وقد قام بتشييد البناء للمشهدين الغروي والحائري ، وقد ذكر محمد بن ابي طالب بعد إعادة تعمير القبر في عهد المنتصر بالله فقال : «الىٰ ان خرج الداعيان الحسن ومحمد

---

(١) فرحة الغري : ١٦٠ .

(٢) اعيان الشيعة ١ : ٦٢٨ .

ابنا زيد بن الحسن ، فأمر محمد بعمارة المشهدين ، مشهد أمير المؤمنين ومشهد ابي عبدالله الحسين ، وأمر بالبناء عليهما» .

وقد شيد الداعي العلوي قبة علىٰ القبر لها بابان وبنىٰ وأحاطها بسور ، وكان ذلك سنة ٢٨٠ هـ. وقد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء وحسن الريازة ، ودق الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب ومنزله[١] .

وعند زيارته لقبر أمير المؤمنين عليه السلام واظهاره وعمارته ، ذكر ذلك ابن طاووس في رواية عن ابي الغنائم البرسي ، قال : جاء جعفر بن محمد ومحمد بن علي بن الحسين فزار هذا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي ولم يكن إذ ذاك القبر ، ولم يكن إلاّ الأرض ، حتىٰ جاء محمد بن زيد الداعي فأظهر القبر ، وقد امتدحه أبو المقاتل الضرير بالابيات المشهورة النونية التي آخرها[٢] :

حسنات ليس فيها سيّئات مدحة الداعي اكتابا يا كاتبان

وقد قتل بظاهر جرجان وقبره هناك عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليه السلام ، وكان فاضلاً متديناً .

عمارة القبر في العهد البويهي

توالت علىٰ الحائر الحسيني عمارات واصلاحات متعددة ، حتىٰ بلغ عضد الدولة بن بابويه[٣] الغاية في تعظيمها ، ومنذ ذلك الحين أخذ عمران الحائر يتقدم

---

(١) مجالس الطف : ٣٩.

(٢) فرحة الغري : ١٥١.

(٣) عضد الدولة : هو السلطان عضد فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي ، وكان معدوداً في الفقهاء والمحدثين والشعراء والسلاطين والفرسان والدهاة والنحاة ، وكان شيعياً معاصراً للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان وقد أخذ عنه العلم ، وكان يزوره في موكبه العظيم ولا يتقي غيره. رحمه الله

تدريجياً .

«ففي سنة ٣٧١ هـ شيد عضد الدولة البويهي قبة ذات أروقة وضريحاً من العاج ، وعمّر حولها بيوتاً ، وأحاط المدينة بسور»[١] .

وقد وصف محمد بن ابي طالب اعمال عضد الدولة الجليلة فقال : «وبلغ ذلك عضد الدولة بن بويه الغاية في تعظيمها وعمارتها والاوقاف عليها ، وكان يزورها في كل سنة ، ولما زار المشهد الحسيني عام ٣٧١ هـ، بالغ في تشييد الابنية حوله وأجزل العطاء لمن جاوره»[٢] .

وقد تقدمت كربلاء علىٰ عهده تقدماً ملموساً ، وأزدهرت أزدهاراً واسعاً ، وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فأتسعت تجارتها ، وأفضلت زراعتها ، وايـنعت علومها وآدابها ، فدبت في جسمها روح الحياة والنشاط[٣] .

وقد ذكر ابن الاثير اعمال عضد الدولة نحو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، ونحو المشهدين المقدسين في الحائر والغري ، فقال :

ولد بأصبهان يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة ٣٢٤هـ وتوفي في بغداد يوم الاثنين ٨ شوال سنة ٣٧٢هـ، وهو أول من لقب بشهنشاه ، وكانت ولايته علىٰ العراق خمس سنين ونصف وأوصىٰ ان يدفن في النجف الاشرف في الروضة المباركة ، فدفن وكتب علىٰ قبره : (هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة ، أحب مجاورة هذا الامام المعصوم ، لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وصلوات علىٰ محمّد وآله الطاهرين) . ولما توفي عضد الدولة وجلس ابنه صمصام علىٰ الارض عليه ثياب السواد جاءه الخليفة الطائع معزياً ، وناحت النساء عليه في الاسواق حاسرات عن وجوههنّ اياماً كثيرة . انظر : البداية والنهاية ١١ : ٣٠١.

(١) تراث كربلاء : ٣٦.

(٢) اعيان الشيعة ١ : ٦٢٨.

(٣) تراث كربلاء : ٣٧.

«ولا ننكر اعماله العظيمة ومآثره الاسلامية الجليلة، فقد بالغ في تشييد الابنية حول المشهد في الحائر، فجدد تعمير القبة، وشيد الاروقة من حوله، وبالغ في تزيينهما وتزيين الضريح بالساج والديباج، وعمر البيوت والاسواق من حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالاسوار العالية فجعلها كحصن منيع، ثم اهتم بالماء لسكان البلد والضياء للحائر المقدس، فساق المياه الجارية للطف من مسافات بعيدة، وخصص اوقافاً جارية للانارة والاضاءة».

لقد اهتم عضد الدولة بالمدينتين المقدستين اهتماماً ملحوظاً، فكان يكثر الزيارة لهما ويتفقد أحوال الناس ويأمر بتلبية مطاليبهما، وقد ذكر ابن طاووس احدىٰ زيارته لهما بقوله:

«كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الاولىٰ في سنة احدىٰ وسبعين وثلاثمائة، وورد مشهد الحائر مشهد مولانا الحسين (صلوات الله عليه) لبضع بقين من جمادى، فزاره (صلوات الله عليه)، وتصدق وأعطىٰ الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت علىٰ العلويين، فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهما، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم، ووهب للعوام والمجاورين عشرة آلاف درهم، وفرق علىٰ أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة الف رطل، ومن الثياب خمسمائة قطعة، واعطىٰ الناظر عليهم الف درهم، وخرج وتوجه الىٰ الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ، ودخلها وتوجه الىٰ المشهد الغروي يوم الاثنين (ثاني يوم وروده)، وزار الحرم الشريف، وطرح في الصندوق دراهم، فأصيب كل واحد منهم احدىٰ وعشرون درهماً، وكان عدد العلويين الف وسبعمائة اسم، وفرق علىٰ المجاورين وغيرهم خمسة آلاف درهم، وعلىٰ القراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلىٰ المرتبين والخازن والنواب علىٰ يدي ابي الحسن العلوي، وعلىٰ يد ابي القاسم بن

ابي عابد، وابي بكر بن سيار رحمه الله»[١].

يظهر من رواية ابن طاووس بأن المدينتين المقدستين صار لهما شأناً كبيراً في تلك الفترة التي زارهما السلطان عضد الدولة في الربع الاخير من القرن الرابع الهجري، حيث ازداد عدد سكان المدينتين من مجاورة العلويين والشيعة لهما، ثم توافدت عليهما الفقهاء والقراء بعدد كبير، ثم كان لادارة الحرمين تنظيماً دقيقاً من مرتبين وخازن ونواب، وعند زيارته قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام امتدحته الشعراء ابتهاجاً بزيارته الميمونة للمشهد الغروي، وقد قال ابو اسحاق العباسي في هذه المناسبة[٢]:

توجهت نحو المشهد العلم الفرد ... علىٰ اليمن والتوفيق والطائر السعدِ
تزور أمير المؤمنين فياله ... ويالك من مجد منيخ علىٰ مجدِ
فلم يَر فوق الارض مثلك زائراً ... ولا تحتها مثل المزور الىٰ اللحدِ
مددت الىٰ كوفان عارض نعمة ... يصوب بلابرق يرعدُ بلا رعدِ
وتابعت أهليها ندىٰ بمثوبة ... فرحت الىٰ فوز وراحوا الىٰ رفدِ

وفي عهده تعرض الحائر للنهب والسلب ففي سنة ٣٦٩ هـ نهب علىٰ يد رجل من بني أسد يدعىٰ (ضبة بن محمد الاسدي)، وكان يتزعم عصابة من اللصوص وقطاع الطرق، وقد اتخذ عين التمر مقراً له، وكان يشن هجماته علىٰ المدن وقوافل الحجاج، فأرسل عضد الدولة في هذه السنة سرية من الجند الىٰ عين التمر، فحاصرته فأضطر ان يترك امواله وأهله ويلوذ بالفرار، وقد ذكر أبن الاثير

---

(١) فرحة الغري ١٥٤ـ١٥٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها ١: ٢١٨.

هذه الحادثة بقوله:

«وفي هذه السنة (٣٦٩) أرسل عضد الدولة سرية الىٰ عين التمر، وبها ضبّة بن محمد الاسدي، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق، فلم يشعر إلا والعساكر معه، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً، وأُخذ ماله وأهله وملكت عين التمر، وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين (صلوات الله عليه) فعوقب بهذا»[١].

وفي ايامه ايضاً ظهر عمران بن شاهين الذي شق عصا الطاعة، والتجأ الىٰ البطائح وقد قال عنه ابن الاثير: «كان عمران بن شاهين في بدء حياته صياداً وقطاع الطرق، أغار الىٰ البطيح فأستولىٰ عليه، وذلك في أواسط القرن الرابع الهجري، فلمّا استتب له الامر بالبطيح أخذ يعبث فساداً في البقاع المجاورة له حتىٰ استولىٰ ذعره علىٰ اكثر الساكنين المجاورين له، فشكا امره الىٰ السلطان عضد الدولة، فسار علىٰ رأس جيش عرمرم للقضاء علىٰ حصون عمران بن شاهين ودك قلاعه، فلمّا وصل عضد الدولة الىٰ البطيح كان عمران بن شاهين متحصناً في قلعته، فلم يتمكن السلطان البويهي من عظيم حصونه، فأمر جنده بفتح الماء علىٰ قلاعه وغرق البطيح وشدَّ في الحصار عليه، فترك عمران بن شاهين البطيح وولىٰ هارباً من وجه السلطان البويهي».

وفي رواية ابن طاووس: عندما فرّ عمران بن شاهين من وجه السلطان البويهي لاذ بقبر الامام علي عليه السلام، فرأىٰ في المنام علي بن ابي طالب، فقال له: يا عمران سيقدم العبد فناخسرو لزيارة هذه البقعة فلذ به، فلما استيقظ نذر بناء أروقة في المشهد الغروي وأخرىٰ في المشهد الحائري لو تم له ذلك، ولمّا قدم عضد الدولة لزيارة قبر علي بن ابي طالب رأىٰ شخصاً بجدار الروضة، فسأله عن حاجته

---

(١) الكامل في التاريخ ٨: ٧١٠.

فخاطبه عمران بن شاهين باسمه الحقيقي، فاندهش السلطان من معرفة هذا الشخص من اسمه اي (فناخسرو) فقص عليه عمران منامه فعفا عنه السلطان، وأولاه أمارة البطيح ثانية، فقام من ساعته وبنىٰ رواقاً في حرم الامير بالمشهد الغروي، وآخر في الحائر الشريف، وبنىٰ بجنبه مسجداً، وهو أول من ربط حرم الحائر بالرواق المعروف باسمه رواق ابن شاهين[١]. وقد تم هذا البناء في سنة ٣٦٧ هـ.

عمارة بن سهلان الرامهرمزي

بقيت عمارة السلطان عضد الدولة البويهي الىٰ سنة ٤٠٧، حتىٰ انهارت القبة في احدىٰ ليالي ربيع الاول من سنة ٤٠٧ هـ علىٰ اثر حريق هائل حدث داخل الروضة المطهرة اثناء الليل، وقد التهمت النار أولا التأزير والستائر ثم تعدت الىٰ الاروقة فانهارت القبة.

وقد وصف الحادث ابن الاثير بقوله: «وفي ١٤ ربيع الاول، احترقت قبة الحسين والاروقة، وكان سببه انهم اشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطت في الليل علىٰ التأزير فاحترق وتعدت النار».

لكن هل كان هذا الحادث قضاءً وقدراً؟ أم هناك ايد خفية كانت من ورائه. عند دراسة هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية اي في خلافة القادر بالله التي كانت الاوضاع بعهده مضطربة ومحفوفة بالمخاطر، لا سيما الفتن بين الشيعة والسنة تحركها الضغائن والاحقاد الدفينة، وكانت السلطة عاجزة عن صدّ تيار الفتنة الذي كان للعنصر التركي الدور الفعال فيها.

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٦٢٨.

وكانت بغداد تشهد حوادث عنف متكررة بين الشيعة والسنة، حتىٰ كانت السُنة تعترض زوار العتبات المقدسة، وتفتك بهم، وقد ذكر ابن الاثير تلك الحوادث فقال: «واعترض اهل باب البصرة قوماً من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين عليهما السلام فقتلا منهم ثلاثة نفر، وامتنعت زيارة مشهد موسىٰ بن جعفر»[١].

اما الفتنة التي حدثت في واسط بين الشيعة والسُنة فقد وصف ابو الفرج ابن الجوزي هذه الحوادث بقوله: «اتصلت الفتنة بين الشيعة والسنة بواسط ونهبت محال الشيعة والزيدية بواسط وأُحرقت، وهرب وجوه الشيعة والعلويين فقصدوا علي بن مزيد واستنصروه»[٢].

وظلت حوادث الفتن متصلة فبعد حريق الحائر الحسيني بعشرة ايام، وفي العشرين من ربيع الاول احترق ايضاً حرم العسكريين بسامراء، واحترقت في نفس اليوم محلات الشيعة ببغداد في جانب الكرخ من محلة نهر طابق ومحلة دار قطن، وقسم من محلة باب البصرة، ثم امتدت الفتن لتشمل بيت الله الحرام، والمسجد النبوي، والبيت المقدس، إذ انه في نفس اليوم تشعث الركن اليماني من البيت الحرام، وسقط حائر من بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووقعت القبة الكبرىٰ علىٰ الصخرة بالبيت المقدس»[٣].

وكان عهد القادر بالله يتسم بالفوضىٰ وعدم استتباب الامن لتسلط الاتراك علىٰ مقدرات الدولة، ففي حوادث سنة ٤١٧ هـ يذكر ابو الفرج ابن الجوزي:

«وفي هذه السنة كثر تسلط الاتراك ببغداد، فأكثروا مصادرات الناس،

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٤٢٠.

(٢) المنتظم ٧: ٣٨٣.

(٣) المنتظم ٧: ٢٨٢.

وأخذوا الاموال، حتىٰ انهم قسّطوا علىٰ الكرخ خاصة مائة الف دينار، وعظم الخطب وزاد الشر، واحترقت المنازل والدروب والاسواق، ودخل في الطمع العيارون، فكانوا يدخلون علىٰ الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره، فعمل الناس الابواب علىٰ الدروب فلم تفد شيئاً، ووقعت الحرب بين الجند والعامة، فظفر الجند، ونهبوا الكرخ وغيره، فأخذوا منه مال جليل، وهلك اهل الشر والخير»[١].

وظلت اعمال العنف مستمرة والسلطة عاجزة عن إخماد تيار الفتن والاضطرابات، حتىٰ مات القادر بالله وخلفه القائم بأمر الله سنة ٤٢٢ هـ، ففي هذه السنة تجددت الفتنة ببغداد بين الشيعة والسنة كما يحدثنا ابن الاثير:

«مات القادر بالله وخلفه ابنه القائم بأمر الله، ففي هذه السنة (٤٢٢ هـ) تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة، ولما كان في الغد اجتمع أهل السُنة من الجانبين، ومعهم كثير من الاتراك، وقصدوا الكرخ، فأحرقوا وهدموا الاسواق، وقتل من اهل الكرخ جماعة»[٢].

فأصبحت الشيعة في هذه الفترة عرضة للفتك والاضطهاد علىٰ يد اهل السُنة، ومن ورائهم الاتراك يشدون من عضدهم الذين اصطدموا ايضاً مع الديلم الشيعة في البصرة عام ٤٠٩ هـ.

فكل هذه الحوادث وقعت في الفترة التي احترق فيها الحائر الحسيني، فربما كانت هناك اصابع إتهام تشير الىٰ مثيري الفتن والاضطرابات بين اهل السُنة والشيعة.

---

(١) المصدر السابق ٧: ٣٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٩: ٤١٨.

فلما كثرت اعمال الفتن وأختل الامن اسند منصب الوزارة الىٰ رجلٍ قدير من ذوي الخبرة والمقدرة السياسية الا وهو ابن سهلان الرامهرمزي، الذي حاول جاهداً في تهدئة الاحوال، وإعادة الامن، وارجاع الطمأنينة والسكينة الىٰ النفوس، وكان ابن سهلان وزير السلطان البويهي الذي قال عنه ابو الفرج ابن الجوزي: «ابو محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي، خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة، وهو الذي بنىٰ سور الحائر بمشهد الحسين»[١].

فأول ما قام به امر بتجديد بناء السور الخارجي للحائر، واقام العمارة من جديد علىٰ القبر المطهر بأحسن ما كان عليه. فقد شاهد ابن بطوطة هذه العمارة عند رحلته الىٰ كربلاء سنة ٧٢٧ هـ فقال:

«ثم سافرنا الىٰ مدينة كربلاء، مشهد الحسين بن علي عليهما السلام، وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل، ويسقيها الفرات، والروضة المقدسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وعلىٰ باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلا عن إذنهم، فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة، وعلىٰ الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة، وعلىٰ الابواب استار الحرير، واهل هذه المدينة طائفتان، أولاد رخيك وأولاد فائز، وبينهما قتال ابداً، وهم جميعاً إمامية يرجعون الىٰ اب واحد، ولاجل فتنتهم تخرت هذه المدينة»[٢].

وبعد انقراض دولة البويهين، جاء الدور السلجوقي في حكم العراق، وقد ابدوا السلاجقة اهتماماً ملحوظاً بالعتبات المقدسة، وكان علىٰ رأسهم السلطان ملكشاه السلجوقي الذي زار الحائر في سنة ٤٧٩ هـ مع وزيره نظام الملك، فأمر

---

(١) المنتظم ٧: ٣٨٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١: ٤٢٠.

بتعمير سور الحائر[١]. وقد ذكر ابو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٩ هـ فقال: «وفي سنة ٥٢٩ هـ مضىٰ الىٰ زيارة علي ومشهد الحسين عليه السلام خلق لا يحصون وظهر التشيع»[٢].

وفي سنة ٥٥٣ هـ زار الخليفة المقتفي قبر الحسين[٣]، وتوالت الخلفاء بعده علىٰ زياة العتبات المقدسة، فقد زاره الخليفة الناصر لدين الله، وكذلك الخليفة المستنصر الذي عمل ضريح الامام علي عليه السلام وبالغ فيه، وزاره كذلك الخليفة المستعصم.

عمارة الحائر علىٰ يد الناصر لدين الله سنة ٦٢٠ هـ

ظلّت عمارة الحائر التي شيدها الوزير ابن سهلان الرامهرمزي علىٰ حالها الىٰ هذا التاريخ اي سنة ٦٢٠ هـ، حيث لم يتعرض الحائر (٤٠٧ ـ ٦٢٠) الىٰ الهدم او التخريب، ما عدا ما كان من أمر المسترشد بالله في سنة ٥٢٦ هـ، فأنه كان في حاجة للاموال لغرض صرفها علىٰ الجند، فامتدت يده الخبيثة لسلب الحائر من امواله وموقوفاته لينفقه علىٰ عساكره، وقد ذكر هذه الحادثة ابن شهر آشوب حيث قال: «أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء، وقال: إنّ القبر لا يحتاج الىٰ الخزانة وأنفق علىٰ العسكر، فلمّا خرج قتل هو وابنه الراشد»[٤].

---

(١) المنتظم ٩: ٢٩.

(٢) المصدر السابق ١٠: ٥٣.

(٣) المصدر السابق ١٠: ١٨١.

(٤) المناقب ١: ٣٣٧، العوالم ١٧: ٧٣٢.

كان المسترشد يستعد بتجهيز جيوشه وعساكره لمحاربة مسعود أخو سلجوقشاه في أواخر سنة ٥٢٦هـ، وقد شنت بينهم معركة دامية خسر فيها المسترشد وقد وقع اسيراً بيد عدوه، وقد هجمت عليه جماعة من الباطنية عندما كان محجوزاً في خيمته ففتكوا به.

إلا انه لم يتعرض للقبر بسوء وظلّت عمارة الوزير ابن سهلان الىٰ ايام الخليفة الناصر لدين الله الذي دام حكمه ٤٧ سنة (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ)، وقد كان الناصر يتشيع ويميل الىٰ مذهب الامامية، وقد جعل مشهد الامام موسىٰ الكاظم عليه السلام امناً لمن لاذ به، فكان الناس يلتجأون اليه في حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم، فيقضي الناصر لهم حوائجهم، ويسعفهم فيما اهمهم، ويعفو عن جرائمهم[١].

وفي عهده أزدهرت كربلاء والعتبات المقدسة، وأمر وزيره مؤيد الدين محمد المقدادي العلقمي ان يقوم بأصلاح شؤون الحائر، فقام الوزير في سنة ٦٢٠هـ بتشييد القبر المطهر، فشيد ذلك المقام الرفيع، وكسا جدران الروضة بأخشاب الساج وزينه بالحرير الموشي والديباج[٢].

الحائر في العهد المغولي

بعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦ هـ علىٰ يد هولاكو، ودخوله بغداد، وما احدثه من دمار شامل وقتل ذريع، كتب عدد من شخصيات الشيعة الىٰ هولاكو يسألونه الامان، فوافق هولاكو علىٰ اعطائهم الامان، بعد ان أخذت جحافل المغول تغزو مدن الفرات الاوسط والجنوب، حتىٰ استسلمت اكثر مدن العراق من دون اية مقاومة تذكر بعد انهيار جيش الخليفة العباسي واحتلال بغداد.

وفي سبب سلامة الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين كما جاء عن الداودي قال:

«ان مجد الدين محمد بن طاووس خرج الىٰ هولاكو وصنف له كتاب (بشارة

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٨٣.

(٢) تاريخ كربلاء: ١٨٤.

المصطفىٰ)، وسلّم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب، ورد عليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية»[١].

لقد اهتم المغول بالمشهدين الشريفين، فقد استطاع السلطان أرغون بن اباقا خان بن هولاكو المعروف بحبه لآل البيت عليهم السلام في بذل السعي المحمود في حفره نهر جديد يخرج من الفرات ليسقي سهل كربلاء، وسمي هذا النهر (الغازاني الاعلىٰ) تميزاً لنهرين آخرين حفرهما غازان ايضاً[٢]، وفي حوادث سنة ٦٦٨ هـ يحدثنا ابن الفوطي بقوله: «وفي سنة ثمان وستون وستمائة توجه السلطان غازان الىٰ الحلة، وقصد زيارة المشاهد الشريفة، وأمر للعلويين والمقيمين بمال كثير، ثم امر بحفر نهر من أعلىٰ الحلة فحفر وسمي بالغازاني، وتولىٰ ذلك شمس الدين صواب الخادم سكورجي وغرس الدولة»[٣].

ثم جاء أولجياتو محمد خدابنده خلفاً لاخيه غازان الذي وافاه الاجل سنة ٧٠٣ هـ، وكان هو الآخر مهتماً بالعمران وبناء المدن واقتفىٰ أثر أخيه واهتمامه بالمشاهد وبالعلويين، وقد اعتنق أولجياتو المذهب الشيعي علىٰ يد العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر علىٰ أثر زيارته للنجف الاشرف[٤].

عمارة الحائر علىٰ يد أويس الجلائري سنة ٧٦٧ هـ

اما عمارة القبر الموجودة حالياً فقد تمت في عهد السلطان أويس الاليخاني الجلائري، ثم اتمّ بناءه بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد، وشيدا البهو

---

(١) عمدة الطالب: ١٧٨.

(٢) تراث كربلاء: ٤٢.

(٣) الحوادث الجامعة: ٤٩٧.

(٤) روضات الجنات ٢: ٢٧٩.

الامامي المعروف بإيوان الذهب، اما الرواق الغربي للروضة فقد شيده عمران بن شاهين كما مر بنا، ويعرف اليوم برواق السيد ابراهيم المجاب، ويطلق علىٰ الرواق الشرقي برواق انما باقر البهبهاني شيخ الطائفة في عصره، وعلىٰ قبره صندوق خشبي بديع الصنع، وفي الواجهة الامامية للروضة رواق حبيب بن مظاهر الاسدي.

اما الرواق الشمالي للروضة فيعرف برواق الشاه نسبة الىٰ وجود مقبرة بعض الملوك القاجاريين، ويقع خلف مسجد عمران بن شاهين[١].

بقي الحائر الحسيني مصوناً من الهدم والتخريب علىٰ الرغم من تعرض العراق بعد انقراض دولة بني العباس الىٰ الاحتلال الاجنبي، وتعاقب الدويلات علىٰ حكمه، وكان المحتلون علىٰ مختلف طبقاتهم يكنون الودّ والمحبة لهذا الصرح الشامخ، فيهرعون لعمارته واصلاحه بما يتناسب ومكانته السامية في نفوس المسلمين، فيعظمونه أجلَّ التعظيم، حتىٰ اتخذه بعضهم مقراً ابدياً لموتاهم حيث يطمعون في ذلك بالنجاة في يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

ومن ذلك الحين اصبح الحائر الحسيني غرّة في جبين الزمان، وصرّحاً شاهداً علىٰ جرائم الطغاة والظلمة علىٰ مرِّ العصور. ولم تمتد اليه يد العبث والتخريب، الا في حالات نهب او سرقة تحدث بين فترة واخرىٰ، فقد تعرض الحائر المقدس للنهب علىٰ يد المشعشعين في سنة ٨٥٨ هـ اي في النصف الاخير من القرن التاسع، وكان هؤلاء من الغلاة، وكان رئيسهم محمد بن فلاح الذي استطاع ان يبسط نفوذه علىٰ جميع الاهواز واحرق الحجر الدائر علىٰ قبة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وجعل القبة مطبخاً للطعام وكان يقول: انه رب والرب

---

(١) تراث كربلاء: ٤٣.

لا يموت.

ثم استولىٰ علىٰ الامور ابنه علي الذي ادعىٰ بأنه قد حلّت فيه روح امير المؤمنين عليه السلام وانّ علياً حيّ، فأغار بجيشه علىٰ العراق ونهب المشاهد المشرفة، واساء الادب الىٰ العتبات المقدسة، وقد عجز الاب عن اصلاحه وتأديبه، وكلما احتج الامراء والملوك علىٰ أعمال ولده كان يظهر لهم العجز في الرسائل التي تبودلت بينهم، ولم يكتف بهذا الحدّ علىٰ ما يروىٰ فقد ادعىٰ الالوهية[١]، وكان ذلك في سنة ٨٥٨ هـ، وقد عاش علي بن محمد بن فلاح علىٰ هذه السيرة الىٰ ان قتل بسهم اصابه في حصاره لقلعة بهبهان في سنة ٨٦١ هـ، فنال بذلك بعد ثلاث سنوات جزاء ما ارتكبه نحو الحائر المقدس[٢].

الحائر المقدس في العهد الصفوي

استطاع الشاه اسماعيل الصفوي بالقضاء علىٰ دولة الآق قوينلو التركمانية التي حكمت العراق، وكان سقوط بغداد علىٰ يد الشاه اسماعيل في سنة ٩١٤ هـ، فذهب في اليوم الثاني من دخوله بغداد الىٰ زيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف، ثم امر بتذهيب حواشي الضريح الحسيني، وأهدىٰ اثني عشر قنديلاً من الذهب، كما اهدىٰ الشاه نفسه شبكة فضية اي صندوقاً بديع الصنع للحائر المقدس، ويظهر ان الصندوق الذي امر به الشاه اسماعيل لم يتم إلا في عام ٩٣٢هـ[٣]. ويذكر عباس العزاوي عن حوادث ٩١٤ هـ فيقول: «وفي اليوم التالي (اي في ٢٦ جمادى الثانية) ذهب الشاه اسماعيل الىٰ زيارة كربلاء المشرفة وصنع

---

(١) تاريخ كربلاء: ٢٢٨ عن مجالس المؤمنين: ٤٠٤.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٢٩.

(٣) تراث كربلاء: ٤٤.

الصندوق المذهب للحضرة، ووقف فيه اثني عشر قنديلاً من الذهب، وفرش الرواق بأنواع المفروشات القيمة، واعتكف هناك ليلة ثم رجع في اليوم التالي متوجهاً الىٰ الحلة ومنها الىٰ النجف»[١].

وقد جاء ايضاً عن زيارته لكربلاء، وما قام به من خدمات جليلة للروضة المقدسة، والسكان المجاورين في تاريخ حبيب السير ذكر المرحوم الدكتور عبد الجواد الكليدار: «بعد ان تم فتح بغداد ودخلها الشاه اسماعيل منتصراً في ٢٥ جمادي الثاني سنة ٩١٤ هـ بين هتاف الاهلين، ففزع في اليوم الثاني علىٰ طواف العتبات المقدسة، فتوجه الىٰ كربلاء، وعند الوصول اليها ادىٰ مراسم الزيارة بكل دقة، وراعىٰ شروط التشرف بكل احترام، فقبل العتبة المقدسة بخشوع وورع تام، ومرغ خديه علىٰ تراب تلك العتبة السامية، مناجياً روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، ومستمداً النصر من الله تعالىٰ».

فأنعم علىٰ مجاوري الروضة المنوّرة بأنواع الهدايا، وكسا الصندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر انواع الحرير المزركش والموشي بالذهب والفضة، ونصب فوق القبر المطهر اثني عشر قنديلاً أفخر من الذهب الخالص تتلألأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع، واقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه.

وقد قضىٰ ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها الىٰ طلوع الشمس وهو معتكف في الحائر مكباً علىٰ قبر جده الحسين عليه السلام ثم يصف زيارة الشاه للنجف الاشرف، والكاظمية وسامراء فيقول: «وعند العودة الىٰ بغداد انصرف الشاه

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ٤٤.

مرة اخرىٰ الىٰ تعظيم العتبات المقدسة وتجليلها، فقرر ان يكون لكل واحدة منها (نقارة خانه) تقوم بأداء التحية الملكية لتلك المشاهد صباحاً ومساءً علىٰ نمط بلاط الملوك وقصورهم كما هو جار لحد الآن بمشهد الرضاعليه السلام، ثم امر بتجميع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من اطراف البلاد، فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الاسليمية والختائية لمراقد الائمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلاً من صناديقها القديمة»[١].

وفي سنة ٩٨٤ هـ مات الشاه طهماسب الصفوي مسموماً وخلفه ابنه اسماعيل مرزا الذي كان سجيناً في قلعة الموت، وفي هذه الايام صدرت الادارة الهمايونية بتعيين علي باشا والياً علىٰ بغداد، وبأمر من السلطان شيّد ضريح سيد شباب اهل الجنةعليه السلام وكذلك شيد المسجد والرواق والقبة، وعمّر أيضاً قباب شهداء كربلاء.

وقد امرت زوجة نادر شاه كريمة السلطان حسين الصفوي بتعمير المسجد المطهر عام ١١٥٣ هـ، وانفقت لذلك اموالاً طائلة[٢].

اما في العهد القاجاري تم تذهيب قبّة الحسينعليه السلام ثلاث مرّات، فقام السلطان انما محمد خان مؤسس الدولة القاجارية في ايران بتذهيب القبة سنة ١٢٠٧ هـ.

اما التذهيب الثاني فقد حصل في عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري، لان التذهيب كان أسود فكتب إليه اهالي كربلاء بذلك، فأمر الشاه بقلع الاحجار الذهبية

---

(١) تاريخ كربلاء: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) تراث كربلاء: ٤٤ ـ ٤٥.

القديمة واستبدالها بالذهب الجديد، كما انه اهدىٰ شبكة فضية بتاريخ ١٢١٤ هـ وهي الىٰ اليوم مازالت موجودة علىٰ القبر الشريف، وفي هذا الدور تبرعت زوجته بتذهيب المأذنتين[١].

اما التذهيب الثالث للقبة السامية ذكره المرحوم عبد الجواد الكليدار، حيث قال:

كما تجده مكتوباً علىٰ القسم الاسفل من القبة السامية فوق الشبابيك المطلة علىٰ داخل الروضة بسطرٍ من ذهب في ضمن الآيات القرآنية المكتوبة في الكتيبة من حول القبة، وكذلك توسيع الصحن من ناحية الغرب وتشييد الجامع الناصري العظيم فوق الرأس فكان كله علىٰ عهد ناصر الدين حفيد فتح علي شاه وذلك في أوائل الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك ان الشاه في سنة ١٢٧٦هـ وجه كبير علماء ايران المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني (رحمه الله) بأموال طائلة الىٰ كربلاء لإجراء ما يلزم للعتبات المقدسة من الاصلاح والتجديد والتعمير[٢].

الوهابيّون والحائر الحسيني

بعد ظهور بدعة محمد بن عبد الوهاب[٣]، وانتشار مذهب الوهابية في

---

(١) تراث كربلاء: ٤٥.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٦٤.

(٣) وهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المولود سنة ١١١١ هـ، نشأ في نجد وقرأ الفقه علىٰ مذهب احمد بن حنبل، وتلقى دروسه في كليات بغداد الدينية، فأتيح له ان يجلب الاخطار العظيمة علىٰ هذه البلاد التي اقام فيها، وانتقل من بغداد الىٰ المدينة ثم الىٰ عونية في نجد، ثم اضطر اخيراً الىٰ الفرار من هناك فالتجأ الىٰ الامير محمد بن سعود في الدرعية، فاستقام عنده واستولىٰ علىٰ لبه

طائفة (عنزة)، أعتنق هذا المذهب سعود بن عبد العزيز الذي بـه عـظمت شـوكة الوهابيين[١]. والامير سعود الذي ملك الحرمين المطهرين، وهدّم مقابر أئمة البقيع وتصرف في دين الله، كان علىٰ مذهب الحنبلي، وينكر القياس وأهله[٢].

وقد لاقت تعاليم محمد بن عبد الوهاب بين عرب نجد قبولاً حسناً، والتي جاءت موافقة لميول أُمة بدوية تعيش علىٰ الفطرة معتمدة علىٰ الغزو في معيشتها، وكذلك لاقت قبولاً حسناً من محمد بن سعود اميرهم.

وفي سنة ١١٧٩ هـ مات الامير فاستخلف عبد العزيز بن سعود، وما حلّت سنة ١١٨٩ هـ حتىٰ كان ابن سعود هذا ذا قوة عظيمة في الجزيرة، فأصبحت من ذلك الحين تعرف امبراطورية ابن سعود النجدية بالعقيدة الوهابية[٣].

اما ما يتعلق بالهجمة البربرية التي شنتها الفرقة الوهابية الضالة سنة ١٢١٦ هـ علىٰ مدينة كربلاء، يظهر ان هناك جذور حقد وكراهية زرعتها هذه الفرقة الضالة في نفوس أتباعها تجاه مذهب اهل البيت عليهم السلام بشكل خاص والتشيع بشكل عـام قبل ان يرتكبوا جريمتهم الشنعاء بحق الضريح المقدس للامام الحسين عليه السلام وبـحق اهالي كربلاء الآمنين، فيذكر صاحب غرائب الاثر عن وقوع حادثة لأتباع هـذه الفرقة المنحرفة في مدينة النجف سنة ١٢١٤ هـ، فيقول:

سنة بعد اخرىٰ فكانت من ذلك ان اتحدت قواهما الدينية والدنيوية، وبعد وفاة محمد بن سعود الذي خلفه سعود بن عبد العزيز سنة ١١٧٩ هـ التي كانت في ايامه الهجمات علىٰ النجف وكربلاء، ولم تزل رئاسة الوهابية في بيتهم الىٰ هذا اليوم، وقد الف الاعلام في ترجمة الوهـابيين وأفـعالهم الوحشـية البربرية مؤلفات عديدة ضيع اكثرها. انظر: ماضي النجف ١: ٣٢٤، تاريخ كربلاء: ٢٣٤.

(١) ماضي النجف ١: ٣٢٤.

(٢) روضات الجنات ٤: ١٩٨.

(٣) تاريخ كربلاء: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

كانت تأتي قوافل من نجد الىٰ العراق ومعها رجال من عرب الوهابية، فقدمت قافلة في سنة ١٢١٤ هـ فباعت القافلة ما عندها في بغداد وحملت ما أرادت وعزمت المسير الىٰ بلادها، وتوجه معها من العراق بقصد الحج جماعة، وساروا حتىٰ وصلوا المشهد فوجدوا هناك فرقة من الخزاعل فنظر فوارس الوهابية الىٰ امير الخزاعل يقبل عتبة باب حجرة الامام علي عليه السلام فحملوا عليه فقتلوه، ودام القتال ثلاث ساعات، وقتل وجرح من جماعة الوهابية مائة رجل ومثلهم من عرب الخزاعل، ونهبت اموال الحاج العراقي وجمال الوهابيين وخيلهم، وتوجه الىٰ نجد من سلم وعاد الىٰ بغداد الحاج العراقي.

هذه الحادثة هي التي غرست بذور الشحناء والعداوة عند الوهابيين، علاوة علىٰ ما عليه الوهابية من النصب والبغضاء لكل مسلم، ويرونه خارجاً عن الدين، نازحاً عن الاسلام.

وبعد هذه الحادثة كانت الغارات الوهابية تشن علىٰ كربلاء والحدود العراقية بوجه عام في نهاية القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر.

ففي سنة ١٢١٦ هـ تعرضت كربلاء والحرم الحسيني لهجمة بربرية قامت بها الجماعة الوهابية بقيادة سعود بن عبد العزيز، الذي استغل ذهاب معظم اهالي كربلاء الىٰ النجف الاشرف لزيارة ضريح امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في يوم الغدير.

وكان سعود بن عبد العزيز علىٰ رأس قوة كبيرة جمعها من نجد والعشائر والجنوب وتهامة وغيرها، وكانت تقدر باثني عشر الف، وقصدوا بها العراق، وتمكن جماعة من هذه القوة من الوصول الىٰ بلدة كربلاء في شهر ذي القعدة من هذه السنة، وحاصروها، وتسوّروا جدرانها ودخلوا عنوّة، وقتلوا أكثر اهلها في

الاسواق والبيوت[١]، فذبحوا ما يزيد علىٰ ثلاثة آلاف من السكان، ونهبوا البيوت والاسواق ونفائس الضريح المقدس، وقد أخذوا علىٰ الاخص صفائح الذهب بعد ان اقتلعوها من مكانها، ثم هدموا الضريح المطهر[٢].

وقد ذكرت هذه الحادثة في كثير من المراجع الغربية والشرقية، علىٰ ان اهم من أشار اليها وتطرق بالتفصيل لها دائرة المعارف الاسلامية، والمستر لونكريك في كتابه المعروف عن تاريخ العراق الحديث (أربعة قرون من تاريخ العراق).

وقد أسهب لونكريك في ذكر هذه النكبة ووصفها، نذكرها نقلاً عن موسوعة العتبات المقدسة فهو يقول:

«علىٰ ان الفاجعة الكبرىٰ كانت علىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ، تلك الفاجعة التي دلّت علىٰ منتهىٰ القسوة والهمجية والطمع الاشعبي، واستعملت باسم الدين.

فقد حدث في أوائل سنة ١٨٠١ ان تفشىٰ الطاعون في بغداد، فاضطر الباشا (سلمان باشا الكبير) وحاشيته للالتجاء الىٰ الخالص حيث ابتعد عن منطقة المرض. وما استتب حاله هناك حتىٰ فوجيء بنبأ من المنتفك علم أنّ القوات الوهابية تحركت للغزو الربيعي المعتاد، فأرسل الكهيّة الىٰ الهندية، إلا أنه ماكاد يغادر بغداد حتىٰ وافت أخبار هجوم الوهابيين علىٰ كربلاء ونهبهم إياها، وهي أقدس المدن الشيعية واغناها، إذ انتشر خبر اقتراب الوهابيين في عشية اليوم الثاني من نيسان عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بأداء الزيارة، فسارع من كان في المدينة لاغلاق الابواب، غير ان الوهابيين وقد قدروا بستمائة هجّان وأربع مائة فارس نزلوا وقسموا قوتهم الىٰ ثلاثة أقسام، ومن ظل أحد الخانات هاجموا اقرب

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية: ٧٣.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٧١.

باب من أبواب البلدة فتمكنوا من فتحه عنوة ودخلوا، فدهش السكان واصبحوا يفرون علىٰ غير هدىً أي كيف شاء خوفهم.

أما الوهابيون الخشن فقد شقوا طريقهم الىٰ الاضرحة المقدسة وأخذوا يخربونها، فاقتلعت القضب المعدنية والسياج ثم المرايا الجسيمة، ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات وملوك الفرس والامراء، وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف، وأخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والابواب المرصعة، وجميع ما وجد من هذا الضرب فسحبت الىٰ الخارج، وقتل زيادة علىٰ هذه الافاعيل قراب خمسين شخصاً من القرب من الضريح في الصحن.

اما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا كل دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم الكل من وحشيتهم ولا من أسرهم.

ولقد قدر بعضهم عدد القتلىٰ بألف نسمة، وقدر الآخرون خمسة اضعاف ذلك.

ولم يجد وصول الكهية الىٰ كربلاء نفعاً، فقد جمع جيشه فيها وفي الحلة والكفل ونقل خزائن النجف الاشرف الىٰ بغداد، ثم حصّن كربلاء نفسها بسور خاص، وعلىٰ هذا لم يقم بأي انتقام للفعلة الشنيعة الاخيرة التي قام بها العدو الذي لا يدرك، وقد كان ذلك الحادث الاليم للباشا الشيخ في عمره هذا صدمةً مميته، وانتشر الرعب والفزع في جميع انحاء تركيا وايران. وبذلك رجع وحوش نجد الكواسر الىٰ مواطنهم ثقالاً علىٰ ابلهم التي حُمّلت بنفائس لا تثمن»[1].

وأرتحل القوم بعدها الىٰ الماء المعروف باسم (الابيض) فجمع سعود الغنائم

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

وعزل خمسها وقسم الباقي بين جنوده للراجل سهم، وللفارس سهمان، ثم عاد الىٰ وطنه[١].

اما ماذكرته بعض المراجع العربية تؤيد هذا الوصف وتزيد عليه، ما جاء في تاريخ كربلاء المعلىٰ وذكره الاستاذ جعفر الخياط في بحثه في موسوعات العتبات المقدسة اذ تقول الرواية: «حتىٰ اذا جاءت سنة ١٢١٦ للهجرة جهز الامير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً يتألف من عشرين ألف مقاتل، وهجم بهم علىٰ مدينة كربلاء، فدخل المدينة بعد ان ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالاً شديداً، وكان سور المدينة مركباً من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين، وقد ارتكب فيها من الفضائح مالا يوصف، حتىٰ قيل إنه قُتل في ليلة واحدة عشرين الف نسمة.

وبعد ان تمّ الامير سعود مهمته، التف نحو خزائن القبر، وكانت مشحونة بالاموال الوفيرة وكل شيء نفيس، فأخذ كل ما وجد فيها، وقيل انه فتح كنزاً كان في جمة جُمعت من الزوّار، وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً محلاة جميعاً بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة، واوانٍ ذهبية وفضية وفيروز وألماس.

وقيل من جملة ما نهبه سعود اثاث الروضة وفرشها، منها أربعة آلاف شال كشمير والفا سيف فضة وكثير من البنادق والاسلحة، وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حالٍ يرثىٰ لها، وقد عاد اليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعض خرابها وعاد اليها العمران رويداً رويداً. وقد زارها في اوائل القرن التاسع أحد ملوك الهند فأشفق علىٰ حالتها، وبنىٰ فيها اسواقاً حسنة، وبيوتاً قوراء اسكنها بعض من نكبوا، وبنىٰ للبلدة سوراً حصيناً لصدّ هجمات الاعداء، واقام حولها

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية: ٧٣.

الابراج والمعاقل ، ونصب عليها آلات الدفاع من الطراز القديم»[١] .

ومن جملة ما قتله الوهابيون المولىٰ عبد الصمد الهمداني ، ذكر ذلك صاحب روضات الجنات حيث قال :

«وقد توفي بالشهادة علىٰ أيدي الوهابية الملعونة ، بعد ما أخرج من بيته بطرق الحيلة ، وتاريخ ذلك القتل بكربلاء في يوم الاربعاء الثامن عشر الذي هو عيد الغدير ، من شهور سنة ستة عشرة ومائتين بعد الالف من الهجرة المباركة»[٢] .

وقد أرخ الشيخ محمد السماوي هذه الحادثة بأرجوزة شعرية ، فقال[٣] :

فشد لا يثني هواه الثاني ومزّق الكتاب والمثاني
وهدم الشباك والرواقا واستلبت الحلي والاعلاقا
وقتل النساء والاطفالا إذ لم يجد في كربلاء رجالا
لأنهم زاروا الغدير قصدا فأرخوه بغدير عدا

منارة العبد[٤]

شيدت منارة العبد سنة ٧٦٧ هـ في مؤخرة الحرم الحسيني في الجانب

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) روضات الجنات ٤ : ١٩٨ .

(٣) مجالي اللطف بأرض الطف : ٤٢ .

(٤) يقول الاستاذ جعفر الخليلي في كون تسميتها بمنارة العبد «ومن الخطأ الشائع انّ زنجياً قد ألقىٰ بنفسه من اعلىٰ المنارة منتحراً فسميت هذه المنارة باسمه ، وإنّه من الجائز ان يكون هناك من ألقىٰ بنفسه من هذه المنارة منتحراً ، أو ان زنجياً شحاذاً جمع المال من الشحاذة وبنىٰ به المنارة ، اما سبب التمييز فهو من الاخطاء الشائعة بين العوام ، والابيات الواردة عن تأريخ هذه المنارة مأخوذة من (مجالي اللطف بأرض الطف) وهو الجزء الثاني من أرجوزة الشيخ محمد السماوي المتضمنة تأريخ العتبات الاربع ، وقد وضع لكل حادثة تأريخاً بحساب الجمل ، كما هو الحال في حكمه (خنصر الاصبع) البالغ مجموعها ٩٨٢ سنة . موسوعة العتبات المقدسة ٨ : ٢٦٨ .

الشرقي من الصحن، وكانت تسمىٰ (انگوشتي يار) أي إصبع التابع المحب، والمقصود بذلك كما قال الخليلي: «ان هذا اثر لا يزيد علىٰ اصبع ويشير الىٰ ولاء احد الموالين والمحبين»[١].

وقد وصفها المرحوم الدكتور عبد الجواد الكليدار بقوله: «وكانت مئذنة جبارة أعظم وأفخم من كل المآذن الموجودة في العتبات المقدسة من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، ومن حيث الفخامة في الابنية التاريخية كانت هي الثانية في العراق بعد (ملوية) المتوكل وجامعة سامراء.

فكان يبلغ قطر قاعدتها عشرين متراً تقريباً، وارتفاعها اربعين متراً، مكسوة بالفسيفساء والكاشاني الاثاري البديع الصنع، مما يندر في وجودهما جداً في هذا اليوم في بقية الآثار التاريخية القديمة، ان كان في العراق او ايران»[٢].

ومنارة العبد هذه هي مأذنة مرجان (مشيد جامع مرجان في بغداد) عبد السلطان أويس الجلائري، الذي عينه السلطان الجلائري والياً علىٰ بغداد، فرفع راية العصيان ضده واستبد ببغداد، حتىٰ اضطر السلطان أويس ان يسير اليه بجيش من تبريز فيقضي علىٰ حركته، ولمّا علم انصاره بقدوم السلطان أويس لمحاربته تفرقوا عنه. وحينما فشلت محاولته التجأ الىٰ كربلاء واستجار بحرم الامام الحسين عليه السلام.

فلما علم أويس بذلك صفح عنه ثم استدعاه إليه فأكرمه وأعاده الىٰ وظيفته والياً علىٰ العراق من جديد، وكان حين استجار بالضريح المقدس، قد نذر ان يبني مئذنة خاصة في الصحن الحسيني الشريف اذا خرج ناجياً من الغمّة. ففعل ذلك وبنىٰ حولها مسجداً خاصاً، ثم اجرىٰ لهما من املاكه في كربلاء وبغداد وعين التمر

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٦٦.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٤١.

والرحالية اوقافاً يصرف واردها علىٰ المسجد والمئذنة، واصبحت تلك الاملاك الموقوفة اوقافاً حسينية من ذلك الوقت[١].

لقد مرت مئذنة العبد باصلاحات علىٰ يد الشاه طهماسب الصفوية في سنة ٩٨٢ هـ من ضمن ما قام به من الاصلاحات والتعمير للحائر المقدس في تلك السنة وتوسيع الصحن من الجهة الشمالية منه[٢].

وقد أرخ الشيخ محمد السماوي هذا العمل الخير بأرجوزة شعرية[٣]:

ثم تداعىٰ ظاهر المنارة ... للعبد واستدعىٰ له العمارة

فمد كفه لها طهماسب ... وعُمرت بمالها يناسب

وأرخت بين عجم وعرب ... (انگشت يار) تعني (خنصر المحب)

بقيت مئذنة العبد حوالي ستة قرون سالمة من يوم تشييدها سنة ٧٦٧ هـ الىٰ ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٧ م، وهي آخر سنة من عمرها حتىٰ هدمت عن جهلٍ وعدم تقدير قيمتها التاريخية، والسبب هو بحجة ميلانها وتعرضها الىٰ الانهدام، وكانت متينة البنيان قطر قاعدتها حوالي ٢٠ متر وترتفع حوالي ٤٠ متر، كما كانت مزينة بالفسيفساء النادر والقاشاني البديع[٤].

* * *

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٦٦.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٤٢.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٦٧.

(٤) تراث كربلاء: ٦١.

الفصل السادس

رأس الحسين عليه السلام

لقد شكل مصرع الحسين عليه السلام مع الايام نقطة تحول عظمىٰ في تاريخ الامة الاسلامية.

واذا كانت السلطة الاموية تهدف من وراء الجريمة الشنعاء التي ارتكبتها في تصفية آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء وازالتهم من الوجود، حتىٰ يحلو لهم التحكم برقاب المسلمين بالجور والظلم، فقد ذهبت جميع هذه الاماني أدراج الرياح، ولم يجنوا منها غير الخزي والعار.

ثم بعد ذلك حاولوا طمس القبر الشريف، فأستخدموا شتىٰ وسائل الترهيب والتخويف، ومن بعدهم السلطة العباسية التي حذت نفس النهج الاموي.

وهكذا كان الحال مع الرأس الشريف، فكل المحاولات التي استخدمت في طمس آثاره باءت بالفشل.

وكانت العناية الالهية تتعقب الرأس الشريف في كل موضع حلّ فيه، حتىٰ كتب لهذا الرأس الشريف ان يظهر للوجود، سواء في عاصمة الدولة الاموية او في الرقة او القاهرة او عسقلان، وكل فريق يعتز ويفتخر بمدفن الرأس في ارضه.

واذا كان الامويون يسعون في فعلتهم هذه من التنكيل بالعترة الطاهرة وطمس آثارهم، لكن دائرة السوء كانت عليهم هذه المرة، فأصبحوا في خبر كان تلاحقهم اللعنات، ويشيد للرأس الشريف بنياناً في عاصمة اعدائه ليبقىٰ شاهداً

علىٰ خسة ونذالة آل أمية الىٰ يوم يبعثون.

اختلفت الرواة في مسألة دفن الرأس الشريف علىٰ اقوال:

اولاً ـ عند أبيه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالنجف معه الىٰ جهة رأسه الشريف، ذهبت إليه بعض علماء الشيعة، استناداً الىٰ اخبار وردت عن الامام الصادق عليه السلام.

ففي رواية ابي فرج السندي، قال: كنت مع ابي عبدالله جعفر بن محمد حين قدم الىٰ الحيرة، فقال ليلة: أسرجوا لي البغل، فركب وانا معه حتىٰ انتهينا الىٰ الظهر، فنزل فصلىٰ ركعتين، ثم تنحىٰ فصلىٰ ركعتين.

فقلت: جعلت فداك، اني رأيتك صليت في ثلاث مواضع!

فقال: اما الاول فموضع قبر امير المؤمنين عليه السلام، والثاني موضع رأس الحسين والثالث موضع منبر القائم[1].

وفي رواية ابان بن تغلب عن الامام الصادق عليه السلام وذكر مثل الحديث[2].

وبالاسناد عن يزيد بن طلحة، قال: قال ابو عبدالله عليه السلام وهو بالحيرة: اما تريد ما وعدتك؟ قال: قلت: بلىٰ، يعني الذهاب الىٰ قبر امير المؤمنين عليه السلام، قال: فركب وركب اسماعيل [ابن الامام الصادق عليه السلام] معه وركبت معهم، حتىٰ اذا جاز الثوية، وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، فنزل ونزل اسماعيل ونزلت معهم، فصلّىٰ ركعتين وصلّىٰ اسماعيل وصلّيت، فقال لاسماعيل: قم فسلم علىٰ جدك الحسين، فقلت: جعلت فداك أليس الحسين بكربلاء؟!

فقال: نعم، ولكن لمّا حمل رأسه الىٰ الشام سرقه مولىٰ لنا ودفنه بجنب امير

---

(١) انظر اعيان الشيعة ١: ٥٣٥، بحار الانوار ١٠٠: ٢٤٦ ح ٣٤.

(٢) راجع الكافي ٤: ٥٧١، حلية الابرار ٢: ٦٣٨، الوسائل ١٤: ٤٠١.

المؤمنين عليه السلام[١].

وبالاسناد عن عمر بن عبدالله بن طلحة النهدي، عن ابيه، وذكر مثل الحديث، الا انه قال: ولكن (فلان) مولىٰ لنا سرقه فجاء به فدفنه هاهنا.

ثانياً ـ انه مدفون مع جسده، ردّه علي بن الحسين عليه السلام عند رجوعه مع الاسارىٰ من الشام.

ثالثاً ـ إنه دفن عند قبر امه فاطمة عليها السلام[٢]، قال ابن سعد، لمّا وصل الىٰ المدينة كان سعيد بن العاص والياً عليها، فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبة أنفه، ثم أمر به فكفن ودفن عند امه فاطمة عليها السلام.

وذكر الشعبّي: ان مروان بن الحكم كان بالمدينة، فأخذه وتركه بين يديه، وتناول أرنبة انفه، وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الاحمرُ في الخدّين

والله لكأني انظر الىٰ ايام عثمان!

وقال ابن الكلبي: سمع سعيد بن العاص، او عمرو بن سعيد، الضجة من دور بني هاشم فقال:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنبِ

وروىٰ ان مروان انشد:

ضربَ الدهرُ وسرَ فيهم ضربة اثبتت أوتاد ملك فاستقر

ويؤيد هذا الرأي القرطبي حيث يقول: لمّا ذهب بالرأس الىٰ يزيد بعث به الىٰ المدينة، فأقدم اليه عدة من موالي بني هاشم، وضمّ اليهم عدّة من موالي بني

---

(١) الوسائل ١٤: ٤٠٠، بحار الانوار ١٠٠: ٢٤١ ح١٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

سفيان ثم بعث بثقل الحسين، وجهزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا امر لهم بها، وبعث برأس الحسين عليه السلام الىٰ عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله علىٰ المدينة، فقال عمرو: وددت انه لم يبعث به إليّ، ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر امه فاطمة عليها الصلاة والسلام[١].

وابن كثير يؤيد رأي القرطبي، فيقول: روى محمد بن سعد: ان يزيد بعث برأس الحسين الىٰ عمرو بن سعيد نائب المدينة، فدفنه عند امه بالبقيع[٢].

وابن تيمية ايضاً يذهب الىٰ انّ الرأس دفن في المدينة، فيقول: إنّ الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين، أنّ الرأس حمل الىٰ المدينة ودفن عند أخيه[٣]. وكان يستدل علىٰ ان الرجل اذا قتل سلموا رأسه وبدنه الىٰ أهله، كما فعل الحجاج في قتل ابن الزبير، وان ما كان بينهُ وبينهِ من الحروب، اعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه، فإنّ ابن الزبير ادعاها بعد قتل الحسين، وبايعه اكثر الناس، وحاربه يزيد حتىٰ مات وجيشه محاربون له بعد الحرَّة، ثم تولىٰ عبد الملك غلبه علىٰ العراق مع الشام، بعث إليه الحجاج بن يوسف، فحاصره الحصار المعروف حتىٰ قتل، ثم صلبه، ثم سلمه الىٰ امه[٤].

هذا هو الدليل الذي اعتمده ابن تيمية علىٰ مصير الرأس في المدينة، ولا يخفىٰ علىٰ القارىء النابه من ان ابن تيمية فاته كثير من الذين قتلوا في الحروب قد صلبت رؤوسهم وطافوا بها في المدن، وخير مثال رأس زيد بن علي، كما في

---

(١) التذكرة ٢: ٦٦٨.

(٢) البداية والنهاية ٨: ٢٢١.

(٣) رأس الحسين: ١٩٧.

(٤) رأس الحسين: ٢٠٨.

رواية ابي الفرج الاصفهاني ، قال : وجّه يوسف بن عمر رأس زيد بن علي (رضوان الله عليه) ورؤوس اصحابه الىٰ هشام بن عبد الملك مع زهرة بن سليم[١] . فلما جاء بالرأس الىٰ هشام بن عبدالملك نصبه علىٰ باب دمشق ، ويروىٰ أنه ألقىٰ الرأس أمامه فأقبل الديك ينقر رأسه ، فقال بعض من حضر من الشاميين[٢] :

أطـــردوا الديك عـن ذوابـة زيـد لقـــد كـــان لا يـطأهُ الدجـــاجُ

اما يحيىٰ لما قتل (رضوان الله عليه) سلبوا ما كان عليه من درعـه وثـيابه وسلاحه وتركوه عرياناً بصحراء الجوزجان ، وساروا برأسه الىٰ نصر بـن سـيار ، فوجه نصر بالرأس الىٰ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم أرسل نصر بن سيار الىٰ موضع يحيىٰ بن زيد الذي هو مدفون فيه فأستخرجه واستخرجوا اخاه ابا الفضل (اخوه من الرضاعة) فصلبا جميعاً بالجوزجان علىٰ قارعة الطريق وقيل علىٰ باب مدينة الجوزجان[٣] .

بعد هذا لا يمكننا أن نعوّل علىٰ دليل ابن تيمية فـي كـون الرأس مـدفون بالمدينة .

رابعاً ـ انه مدفون بدمشق ، قال ذلك سبط ابن الجوزي ، وماحكاه ابن ابـي الدنيا قال : وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفـنوه بـباب الفراديس . وقد أيد هذا الرأي كل من البلاذري والواقدي[٤] .

وقد علق الاستاذ حسن الامين عـلىٰ قـول انـه مـدفون بـباب الفـراديس بدمشق ، فقال : وكان هذا الموضع المعروف الآن بمسجد أو مقام او مشـهد رأس

---

(١) مقاتل الطالبيين : ١٣٨ .

(٢) الحدائق الوردية ٢ : ١٥٠ .

(٣) ينابيع المودة : ٣٨١ .

(٤) تذكرة الخواص : ٢٦٦ .

الحسين بجانب المسجد الاموي بدمشق، وهو مشهد مشيد عظيم.

خامساً ـ إنه بمسجد الرقة علىٰ الفرات بالمدينة المشهورة، ذكر ذلك عبدالله بن عمران الوراق في كتابه (المقتل) فقال: لمّا حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه الىٰ آل ابي معيط عن رأس عثمان، وكانوا بالرقة، فبعثه اليهم فدفنوه في بعض دورهم، ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع، قال: وهو الىٰ جانب سدرة هناك وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاءً ولا صيفاً[١].

سادساً ـ انه بمصر، نقله بعض الخلفاء الفاطميون الىٰ القاهرة من مدفنه في عسقلان، وذلك ان يزيد بعد ان نصب الرأس ثلاثة أيام في دمشق وضعه في خزائن السلاح زيادة في التشفي علىٰ عادة العرب في الجاهلية، وظل في خزائن يزيد وخلفائه من بعده حتىٰ عهد سليمان بن عبد الملك الذي غيّر الكثير من أمر اسلافه، وكان فيما غيّره ان امر بدفن الرأس، ولكنه لم يدفنه في دمشق لانه حدس بأن سيكون لمدفن رأس الحسين شأن يوماً ما، بل دفنه في عسقلان بفلسطين، وفي العام ٤٥٨ نقله الفاطميون الىٰ مدفنه الحالي في القاهرة، وله فيه مشهد عظيم يزار.

وقد أيد هذا الرأي الشيخ عبد الله الشبراوي صاحب كتاب (الاتحاف بحب الاشراف). فقال: لما دفن الرأس الشريف ببلاد الشرق ومضىٰ عليه مدة، أرشىٰ عليه الوزير طلائع بن رزيك وانفق ثلاثين الف دينار، ونقله الىٰ مصر وبنىٰ عليه المشهد الشريف، وخرج وهو وعسكره حفاة الىٰ نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثم وضعه طلائع في برنس من حرير اخضر علىٰ كرسي من الابنوس وفرش تحته المسك والطيب[٢].

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

(٢) الاتحاف بحب الاشراف: ٧٥.

وقد ذكر تقي الدين المقريزي: وفي شعبان سنة احدىٰ وتسعين واربعمائة خرج الافضل ابن امير الجيوش بعساكر الىٰ بيت المقدس، وبه اسكان وأبلغاري ابنا أرتق في جماعة من أقاربهما وجندهما، وجماعة كثيرة من الاتراك، فراسلهما الافضل يلتمس منهما تسليم بيت المقدس اليه من غير حرب، فلم يجيباه الىٰ ذلك، فقابل البلد ونصب عليها المنجنيق وهدم منها جانباً فلم يجدا بُداً من الاذعان اليه وسلما اليه، فخلع عليهما واطلقهما، وعاد في عسكره وقد ملك بيت المقدس فدخل عسقلان، وكان فيها مكان دارس فيه (رأس الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام) فأخرجه وحمله علىٰ سفط الىٰ اجلّ دار بها، وعمر المشهد بعسقلان الىٰ ان نقل منها الىٰ القاهرة، وكان وصوله الىٰ القاهرة يوم الاحد ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة، وكان الذي وصل بالرأس الشريف من عسقلان الامير سيف المملكة تميم، وكان والي عسقلان والقاضي المؤتمن بن مسكين، واستقر الرأس الشريف بالقصر الذي هو فيه الآن بمصر يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة المذكور[1].

وقال صاحب مرشد الزوّار: ذكر العلماء ان رأس الامام الحسين عليه السلام كان بعسقلان، فلمّا كان في ايام الظاهر الفاطمي كتب عياش الىٰ الظاهر يقول: اما بعد فان الافرنج قد اشرفوا علىٰ أخذ عسقلان وان بها رأساً يقال انه رأس السيد الحسين عليه السلام، فأرسل من تختار ليأخذه فبعث اليه مكنون الخادم في عشاري من عشاريات الخدمة، فحمل الرأس من عسقلان فأرسىٰ له في الموضع المعروف بالكافوري من الخليج الحاكمي، فحمل وأدخل الىٰ القصر واستقر فيه كما هو الآن، وبنىٰ الظافر بأعداء الله اسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد الفاطمي مسجد

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف: ٧٨.

الفاكهاني ليجعله فيه وذلك سنة تسع واربعين وخمسمائة.

وبنىٰ طلائع بن رزيك مسجداً بظاهر باب زويله وهو المسمىٰ بجامع الصالح الآن ليجعله فيه، ثم اجتمع رأيهم ان يجعلوه بالقصر بقبة تعرف بقبة الديلم، وكانت دهليزاً من دهاليز الخدمة، فبناه طلائع بن رزيك وأتقن بناءه ونقل الرأس الشريف اليه سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكان طلائع هذا صالحاً سنياً وزيراً للفائز الفاطمي[١].

وقال ابن عبد الظاهر: ان الملك الصالح طلائع بن رزيك لمّا قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان خوفاً عليه من الافرنج، بنىٰ جامعه الذي هو الآن خارج باب زويله ليدفن الرأس ويفوز بهذا الفخار، فغلب اهل القصر علىٰ ذلك وقالوا: لا يمكن ذلك إلا عندنا، فعمدوا الىٰ هذا المكان وبنوه ونقلوا اليه الرخام، وذلك في خلافة الفائز علي بن طلائع في سنة تسع واربعين وخمسمائة[٢].

وهذا الرأي ما يؤيده المؤرخ الاستاذ حسن الامين حيث يقول: وهذا الرأي الاخير هو الذي يؤيده التاريخ وينتهي اليه كل تحقيق تاريخي، وهو ما اخذت به بعد بحث طويل[٣].

وقال: يؤيد المؤرخ الفلسطيني مصطفىٰ الدباغ، دفن رأس الحسين في عسقلان مستشهداً برواية شعبية يتناقلها اهالي قرية (زرنوقة) القريبة من مدينة الرملة، عن الآباء والاجداد فيشيرون الىٰ مكان محدود من قريتهم ويذكرون باعتزاز: (ان القافلة قد استراحت هنا وهي في طريقها الىٰ عسقلان)[٤].

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف: ٨١.

(٢) المصدر السابق: ٧٩.

(٣) دائر المعارف الاسلامية الشيعية ١: ٤٤٢.

(٤) المصدر السابق ١: ٤٤٢.

هذه هي اقوال الرواة في مسألة دفن الرأس الشريف، واعتقد صواب رأي الاستاذ الامين فيما ذهب إليه حيث ان مشهد رأسه الشريف في مصر معظماً علىٰ بقية المشاهد التي تنسب اليه، حيث خصصت له الاوقاف منذ الوهلة الاولىٰ لتشييد بنائه الشامخ، كما ان المصريين يذكرون بأعتزاز كرامات هذا المشهد المطهر، وقد مدحته الشعراء واثنت عليه، فقد قال عبدالله الشبراوي: وقد كثرت القصائد والاشعار في مدح هؤلاء القوم الاطهار سيما في هذا المشهد الانور والمعبد الازهر.

وقال ايضاً: لابي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتىٰ القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك، فقال: هذا مكان شريف، وبركته ظاهرة، والاعتقاد فيه خير، والسلام[١].

وما اجدّ هذا المشهد الشريف، والضريح الانور المنيق، حيث يقول القائل:[٢]

نفسي الفداء لمشهد اسراره ... من دونها ستر النبوة مسبلُ
ورواق عز فيه اشرف بقعة ... ظلت تحار لها العقول وتذهلُ
تغضي في بهجته النواظر هيبة ... ويرد عنه طرفه المتأملُ

ومع هذا فنحن نقول كما قال سبط ابن الجوزي رحمه الله: ففي اي مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الاسرار والخواطر، انشد بعض اشياخنا في هذا المعنىٰ:[٣]

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف: ٨٣.

(٢) المصدر السابق: ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

لا تطلبوا المولىٰ حسين بأرضِ شرق أو بغربِ
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده قلبي

وقفة مع ابن تيمية في كتابه رأس الحسين عليه السلام

لابن تيمية كُتيّب صغير سماه (رأس الحسين)، حققه الدكتور السيد الجميلي، قال الدكتور الجميلي عن عمله في هذا الكتاب: «ناقشنا آراء ابن تيمية وفي حالة عدوله عن الحقيقة بحسن نية طبعاً، رددنا عليه بآراء العلماء والمؤرخين الكبار الذين اخذ عنهم، مثل الطبري والمسعودي وابن عبد ربه والقاضي ابن العربي والامام القرطبي»[١].

أول ما بدأ ابن تيمية كلامه في كتابه المذكور، حملته الشعواء علىٰ رواة الشيعة، ناعتاً إياهم بالرافضة واهل الكذب، ففي معرض كلامه يقول: (فانهم ينقلون احاديث وحكايات، ويذكرون مذاهب ومقالات، وإذا طالبتهم بمن قال ذلك ونقله؟ لم يكن لهم عصمة يرجعون اليها، ولم يسموا احداً معروفاً بالصدق في نقله، ولا بالعلم في قوله. بل غاية ما يعتمدون عليه، ان يقولوا: اجمعت الطائفة الحقة، وهم عند انفسهم الطائفة الحقة، الذين هم عند انفسهم المؤمنون، وسائر الامة كفار»[٢].

ثم يبدأ هجومه ايضاً علىٰ الائمة المعصومين وبالذات علىٰ الامام المنتظر (عج)، فهو يقول: «ويقولون: انما كانوا علىٰ الحق لان فيهم الامام المعصوم، والمعصوم عند الرافضة الامامية الاثني عشرية، هو الذي يزعمون انه

---

(١) رأس الحسين: ١٧٩.

(٢) المصدر السابق: ١٨٣.

دخل سرداب سامرا بعد موت ابيه الحسن بن علي العسكري ، سنة ستين ومائتين ، وهو الىٰ الآن لم يعرف له خبر ، ولا وقع له احد علىٰ عين ولا أثر»[١] .

ثم يتماديٰ في غيّه ويشدد هجومه ، ويعتبر الامام المنتظر ما هي الا فكرة عند الجهال الضلال[٢] .

فابن تيمية الحنبلي المملوء حقداً علىٰ ائمة الرسالة ، هذا الحقد الذي تراكم وضاق به صدره حتىٰ نفثه لسانه ، وثم تلافقته اقلام السوء والضلال تروي عنه ، وتكيل له المديح وتعتبره شيخ الاسلام بلا منازع .

والذي يهمنا الآن من ابن تيمية هو ما جاء في كتابه عن رأس الحسين .

فابن تيمية ينكر حمل الرأس الشريف الىٰ يزيد في الشام فهو يقول : «فقد تمن ان القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس الىٰ يزيد ، ونكثه بالقضيب كذبوا بها» .

وكان يعتمد علىٰ دعم حجته بأن الرأس حمل الىٰ قدام عبيدالله بن زياد ، وفي حضرة أبي برزة الاسلمي ، ويقول ايضاً : «بعض الناس روى باسناد منقطع : ان هذا النكث كان بحضرة يزيد بن معاوية ، وهذا باطل ، فان ابا برزة ، وانس بن مالك ، كانا بالعراق ولم يكونا بالشام ، ويزيد بن معاوية كان بالشام ، لم يكن بالعراق حين قتل الحسين ، فمن نقل انه نكث بالقضيب بحضرة هذين قدامه فهو كاذب قطعاً ، كذباً معلوماً بالنقل المتواتر»[٣] .

فابن تيمية بروايته هذه ، أنكر آراء جميع المؤرخين الذين سبقوه بمئات السنين[٤] ، الذين اتفقوا علىٰ ان الرأس حُمل الىٰ الشام ، كما أيده الطبري في

---

(١) المصدر السابق : ١٨٤ .

(٢) رأس الحسين : ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٩٩ .

(٤) توفي ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ .

تأريخه ، وابن الاثير في الكامل ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والمسعودي في مروج الذهب .

اما المشاهد الاخرىٰ التي ذكرت لرأس الحسين في دمشق والرقة وعسقلان والقاهرة فهو ينكرها جملة وتفصيلاً ، حيث يقول : «والمقصود هنا ان نقل رأس الحسين الىٰ الشام لا أصل له في زمن يزيد ، فكيف ينقله بعد يزيد»[١] .

ثم يزداد شيخ الاسلام في تخبطه ، ويصرح بأن اهل البيت لم يسبىٰ منهن أحد ، ويتهم من يقول ذلك بأن لا عقل له يميز به ما يقول ، ولا له إلمام بمعرفة المنقول !

فقط ابن تيمية يميز ما يقول ، وله إلمام بمعرفة المنقول ، وإلا كيف توصل مؤرخنا الكبير الىٰ ان الحجاج هو الذي قتل آل البيت ! وابن تيمية فاته ايضاً بأن الحسين لم يقتله يزيد انما قتله الحجاج !!

اما نص ما قاله ابن تيمية : «وما ما يرويه من لا عقل له يميز فيه ما يقول ، ولا له المّام بمعرفة المنقول ، من إنّ اهل البيت سبوا ، وانهم حملوا علىٰ البخاتي ، وان البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان ، فهذا الكذب الفاضح لمن يقوله ، فإن البخاتي لا تستر امرأة ، ولا سبىٰ اهل البيت احد ، ولا سُبي منهنُ احد ، بل هذا كما يقولون : الحجاج قتلهم»[٢] . كما يذكر في جانب آخر بأن الحجاج لم يقتل احداً من بني هاشم ، كما عهد اليه خليفته عبد الملك[٣] .

وقد اثنىٰ ابن تيمية علىٰ يزيد بارتكابه الافعال الشنيعة فيقول : «وكان له موقف بالقسطنطينية ، وهو اول جيش غزاها ، ما يُعد من الحسنات !!»[٤] .

(١ ، ٤) رأس الحسين : ٢٠٧ .

(٢ ، ٣) المصدر السابق : ٢٠٨ ، ولم يرد السيد الجميلي علىٰ روايته !

ثم يعرج الىٰ المتوكل ويعتبره من الائمة الذين انكروا علىٰ الشيعة بناء قبر الحسين عليه السلام ، ويؤيد ما فعله بقبر الحسين عليه السلام فيقول : «وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء ، قد بنوا هناك مشهداً ، وكان ينتابه امراء عظام ، حتىٰ انكر ذلك عليهم الائمة ، وحتىٰ ان المتوكل تقدم فيه بأشياء ، يقال : إنه بالغ فيه انكار ذلك ، وزاد علىٰ الواجب !)[١] .

ولم يقتصر ابن تيمية عند هذا الحد بل انكر قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف ، وادعىٰ انه قبر المغيرة بن شعبة ، ثم اخذ يكيل الذم لبني بويه ، ويقدحهم قدحاً لاذعاً ، ويعتبرهم سبباً بأظهار قبر الامام علي عليه السلام فيقول :

«وقريباً من ذلك ، ظهر بنو بويه الاعاجم ، وكان كثير منهم زندقة وبدع قوية ، وفي دولتهم قوىٰ بنو عبد القداح بأرض مصر ، وفي دولتهم اظهر المشهد المنسوب الىٰ علي رضي الله عنه بناحية النجف ، إلا فقبل ذلك لم يكن احد يقول : إنّ قبر علي هناك ، انما دفن علي رضي الله عنه بقصر الامارة بالكوفة ، وانما ذكروا إنّه حكي عن الرشيد ، إنّه جاء الىٰ بقعة هناك ، وجعل يعتذر الىٰ المدفون فيها ، فقالوا : إنّه علي ، وإنّه اعتذر اليه مما فعل بولده ، فقالوا : هذا هو قبر علي ، وقد قال قوم : إنه قبر المغيرة بن شعبة»[٢] .

ثم يتناول شيخ الاسلام الشيعة ، فيشن عليهم هجوماً عنيفاً ، فمرة يصفهم بأهل الكذب والضلال ، واخرىٰ بأهل البدع المنكرة ، ثم يجعل لهم شبه شديد بالنصارىٰ فيقول : «انّ الذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارىٰ»[٣] .

(١ ، ٢) رأس الحسين : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٣) رأس الحسين : ١٩١ .

لقد عاب ابن تيمية علىٰ الشيعة بناء قبور أئمتهم وابرازها بما يليق بمكانتهم السامية بين المسلمين فيعتبر هذا مروق عن الدين، ومخالفة لاجماع المسلمين، والواجب ان يستتاب، فإن تاب وإلا قتل[١].

ثم يقول: نص علىٰ ذلك ائمة الاسلام من اهل المذاهب الاربعة، تبعه علىٰ رأيه ذلك محقق الكتاب السيد الجميلي، فراح اي الجميلي يسرد في هامش الكتاب آراء المذاهب الاربعة في تحريم البناء علىٰ القبور[٢]. وفات الاستاذ الجميلي البناء الفخم الذي شيد علىٰ قبر ابي حنيفة، امام مذهب الحنفية في الاعظمية ببغداد.

كما فاته أيضاً البناء الضخم الذي ضم ضريح عبد القادر الگيلاني في بغداد ايضاً، وغيرها كثير سواء في بغداد او القاهرة او دمشق او بقية عواصم المسلمين.

كانت هذه وقفة قصيرة مع صاحب الآراء المتطرفة ابن تيمية، وقد ظهر في كتيبه متخبطاً في أفكاره يبتعد كثيراً عن موضوعه الاساسي، لكنه جعله ذريعةً لصب جام غضبه على اهل البيت، والا ما علاقة ولاية امير المؤمنين عليه السلام بموضوعه (رأس الحسين) فيقول: «وبمثل ذلك علمنا كذب من يدعي النص علىٰ علي»، والمتتبع لابن تيمية في كتابه هذا يخرج بحصيلة إنه لا يحسد ابن تيمية علىٰ سعة اطلاعه ومعرفته بالتاريخ، وان ما أوردناه من بعض ما ذكر شيخ الاسلام يبقىٰ للقارىء الكريم الحرية في اصدار حكمه، لأن القارىء النابه هو الذي يميز الغث من السمين.

* * *

(١) رأس الحسين: ٢١٣.

(٢) المصدر السابق: ٢١٤.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آمالي الصدوق: للشيخ الصدوق.

٣ ـ آمالي الطوسي: للشيخ الطوسي.

٤ ـ الاتحاف بحب الاشراف: للشبراوي.

٥ ـ اثبات الهداة: للحر العاملي.

٦ ـ احقاق الحق: للتستري.

٧ ـ اخبار الدول: للقرماني.

٨ ـ ادب الطف: لجواد شبر.

٩ ـ الاربعون: للمجلسي.

١٠ ـ الارشاد: للشيخ المفيد.

١١ ـ أرشاد القلوب: للديلمي.

١٢ ـ الارض والتربة الحسينية: لمحمد حسين المظفر.

١٣ ـ اسد الغابة: لابن الاثير.

١٤ ـ الاستشفاء: لابي المعالي الاصفهاني.

١٥ ـ الاستيعاب: لابن عبد البر.

١٦ ـ الاصابة: لابن حجر العسقلاني.

١٧ ـ أعيان الشيعة: لمحسن الامين.

١٨ ـ الاغاني: لابي الفرج الاصفهاني.

١٩ ـ الاقبال: للشيخ الصدوق.

٢٠ ـ الانباء في تاريخ الخلفاء: للسيوطي.

٢١ ـ انساب الاشراف: للبلاذري.

٢٢ ـ الايقاظ من الهجعة: للحر العاملي.

٢٣ ـ البداية والنهاية: لابن كثير.

٢٤ ـ البدء والتاريخ: لابن كثير.

٢٥ ـ بحار الانوار: للمجلسي.

٢٦ ـ بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: للكليدار.

٢٧ ـ بلوغ الارب في فنون الادب: لمحمد شكري الالوسي.

٢٨ ـ تاج العروس: للزبيدي.

٢٩ ـ تاريخ الاسلام: للذهبي.

٣٠ ـ تاريخ ابن خلدون: لابن خلدون.

٣١ ـ تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي.

٣٢ ـ تاريخ الخلفاء: لابن عساكر.

٣٣ ـ تاريخ الطبري: للطبري.

٣٤ ـ تاريخ العراق بين احتلالين: لعباس العزاوي.

٣٥ ـ التاريخ الكبير: للبخاري.

٣٦ ـ تاريخ كربلاء: لعبد الحسين الكليدار.
٣٧ ـ تاريخ مختصر الدول: لابن العبري.
٣٨ ـ تاريخ المملكة العربية السعودية: لصلاح الدين المختار.
٣٩ ـ تاريخ اليعقوبي: لليعقوبي.
٤٠ ـ تذكرة الامة: للسبط ابي المظفر.
٤١ ـ تذكرة الحفاظ: للذهبي.
٤٢ ـ تذكرة الخواص: للسبط ابن الجوزي.
٤٣ ـ تراث كربلاء: لسلمان آل طعمه.
٤٤ ـ تسلية المجالس: للحائري.
٤٥ ـ تفسير ابن فرات: لابن ابراهيم الكوفي.
٤٦ ـ التهذيب: للشيخ المفيد.
٤٧ ـ تهذيب الكمال: ليوسف المزي.
٤٨ ـ ثواب الاعمال: للشيخ الصدوق.
٤٩ ـ ثورة الزنج في البصرة: للسيد تحسين الموسوي.
٥٠ ـ التنبيه والاشراف: للمسعودي.
٥١ ـ الجامع الكبير: للسيوطي.
٥٢ ـ الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم.
٥٣ ـ جمع الجوامع: للسيوطي.
٥٤ ـ جمهرة المغنين: لخليل مردم بيك.
٥٥ ـ الجوهر الثمين: لابن دقمان.
٥٦ ـ الحدائق الوردية: لابي حسن بن احمد المحلي.
٥٧ ـ الحسين بن علي: لابن العديم.
٥٨ ـ الحسين في الفكر المسيحي: لانطوان بار.
٥٩ ـ حلية الابرار: للسيد هاشم البحراني.
٦٠ ـ الحوادث الجامعة: لابن الفوطي.
٦١ ـ خزانة الادب: لعبد القادر البغدادي.
٦٢ ـ الخصائص الكبرىٰ: للسيوطي.
٦٣ ـ الخصال: للشيخ الصدوق.
٦٤ ـ دائرة المعارف الشعية: لحسن الامين.
٦٥ ـ دائرة المعارف: للحائري.
٦٦ ـ دلائل النبوة: للبيهقي.
٦٧ ـ ديوان الجواهري: للجواهري.
٦٨ ـ ديوان السيد الحميري: للسيد الحميري.
٦٩ ـ ديوان الصاحب بن عباد: للصاحب بن عباد.
٧٠ ـ ديوان الشريف الرضي: للشريف الرضي.
٧١ ـ ذخائر العقبىٰ: لمحب الدين الطبري.
٧٢ ـ رأس الحسين: لابن تيمية.
٧٣ ـ الرجعة: للاسترابادي.
٧٤ ـ رحلة ابن بطوطة: لابن بطوطة.
٧٥ ـ روضات الجنات: لمحمد باقر الخوانساري.
٧٦ ـ سير اعلام النبلاء: للذهبي.

٧٧ ـ سيرتنا وسنتنا: للاميني.
٧٨ ـ شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد.
٧٩ ـ الشريف الرضي: لمحمد هادي الاميني.
٨٠ ـ الصراط السوي: للشيخاني.
٨١ ـ صفين: لنصر بن مزاحم.
٨٢ ـ الصواعق المحرقة: لابن حجر الهيتمي.
٨٣ ـ طبقات ابن سعد: لابن سعد.
٨٤ ـ طرح التهذيب: للعراقي.
٨٥ ـ العقد الفريد: لابن عبد ربه.
٨٦ ـ علل الشرايع: لمحمد علي بن بابويه القمي.
٨٧ ـ عمدة الطالب: لابن عنبه.
٨٨ ـ عيون اخبار الرضا: للشيخ الصدوق.
٨٩ ـ الفتوح: للبحراني.
٩٠ ـ الفتوح: لابن اعثم الكوفي.
٩١ ـ فرحة الغري: لابن طاووس.
٩٢ ـ فقه الرضا: للامام الرضا.
٩٣ ـ القاموس المحيط: للفيروز آبادي.
٩٤ ـ الكافي: للكليني.
٩٥ ـ الكامل في التاريخ: لابن الاثير.
٩٦ ـ الكامل في الادب: للمبرد.
٩٧ ـ كامل الزيارات: لابن قولويه.
٩٨ ـ الكفاية: للگنجي.
٩٩ ـ كفاية الطالب: للگنجي الشافعي.
١٠٠ ـ كفاية الاثر: لعلي بن محمد القمي الرازي.
١٠١ ـ كنز العمال: للمتقي الهندي.
١٠٢ ـ لسان العرب: لابن منظور.
١٠٣ ـ ماضي النجف وحاضرها: لجعفر آل محبوبه.
١٠٤ ـ مجالي اللطف: للشيخ محمد السماوي.
١٠٥ ـ المجتمع: للهيثمي.
١٠٦ ـ مجمع البحرين: لفخر الدين الرازي.
١٠٧ ـ مجمع الزوائد: للهيثمي.
١٠٨ ـ مجمع التذكرة: للقرطبي.
١٠٩ ـ المحاسن: للبرقي.
١١٠ ـ مختصر بصائر الدرجات: لحسن بن سليمان الحلي.
١١١ ـ المختصر في اخبار البشر: لابي الفداء.
١١٢ ـ مراصد الاطلاع: لعبد المؤمن البغدادي.
١١٣ ـ مروج الذهب: للمسعودي.
١١٤ ـ المستدرك: للحاكم النيسابوري.
١١٥ ـ مسند أحمد: لاحمد بن حنبل.
١١٦ ـ مشكاة المصابيح: للخطيب العمري.
١١٧ ـ مصباح المتهجد: للشيخ الطوسي.
١١٨ ـ المطالب العالية: لابن حجر العسقلاني.

١١٩ ـ المعجم الكبير: للطبراني.
١٢٠ ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي.
١٢١ ـ مقاتل الطالبيين: لابي الفرج الاصفهاني.
١٢٢ ـ مقتل الحسين: للخوارزمي.
١٢٣ ـ مناقب الخوارزمي: للخوارزمي.
١٢٤ ـ المنتظم: لابن الجوزي.
١٢٥ ـ موسوعة العتبات المقدسة: لجعفر الخليلي.
١٢٦ ـ المناقب: لابن شهر آشوب.
١٢٧ ـ ميزان الاعتدال: للذهبي.
١٢٨ ـ نهاية الارب: للنويري.
١٢٩ ـ نوادر علي بن أباط: لعلي بن أسباط.
١٣٠ ـ وفيات الاعيان: لابن خلكان.
١٣١ ـ ينابيع المودة: للقندوزي.
١٣٢ ـ يتيمة الدهر: للثعالبي.

* * *

المحتويات

مقدمة المؤلف ٧

الفصل الأول

كربلاء في التاريخ واللغة

«١١ ـ ٢٨»

١ ـ كربلاء ١١

٢ ـ الطفّ ١٨

٣ ـ الحاير ٢٠

٤ ـ الغَاضِرِيّةُ ٢٤

٥ ـ نِيْنَوَىٰ ٢٤

٦ ـ شفيه ٢٥

٧ ـ العِقْر ٢٥

٨ ـ النواويس ٢٦

٩ ـ عين التمر ٢٦

الفصل الثاني

اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل الحسين عليه السلام في كربلاء

«٢٩ ـ ٧٤»

المقدمة ٢٩

اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحسين يقتله يزيد ٥٠

عبور الانبياء ومرورهم بارض كربلاء ٥٣
إخبار الامام علي عليه السلام بقتل الحسين بأرض كربلاء ٥٦
العامة تعلم بمقتله عليه السلام في كربلاء ٦٣
الحسين عليه السلام ينعىٰ نفسه ٦٥
خاتمة البحث ٦٩

الفصل الثالث

فضل كربلاء والحائر الحسيني

«٧٥ ـ ١٠٢»

فضل كربلاء ٧٥
فضل الحائر الحسيني ٧٨
فضل تربة قبر الحسين عليه السلام ٨٣
حرمة الطين إلا طين قبر الحسين عليه السلام ٨٦
تربة الحسين عليه السلام شفاء من كل داء ٨٨
خلاصة البحث ١٠٠

الفصل الرابع

تاريخ زيارة قبر الحسين عليه السلام وفضلها

«١٠٣ ـ ١١٨»

أول من زار القبر الشريف ١٠٣
فضل زيارة الحسين عليه السلام ١٠٥
الامام الصادق عليه السلام وزوّار القبر الشريف ١١٠

الفصل الخامس

الأدوار التي مرت علىٰ القبر الشريف

«١١٩ ـ ١٧٠»

البداية الأولىٰ ١١٩

الحائر الحسيني في عهد المنصور ١٢٢
الحائر الحسيني في عهد الرشيد ١٢٣
عمارة المأمون ١٢٨
الحائر الحسيني في عهد المتوكل ١٢٩
عمارة المنتصر بالله سنة ٢٤٧ هـ ١٤١
سقوط سقيفة الحائر سنة ٢٧٣ هـ ١٤٢
عمارة محمد بن زيد الملقّب بالداعي الصغير ١٤٥
عمارة القبر في العهد البويهي ١٤٦
عمارة بن سهلان الرامهرمزي ١٥١
عمارة الحائر على يد الناصر لدين الله سنة ٦٢٠ هـ ١٥٥
الحائر في العهد المغولي ١٥٦
عمارة الحائر على يد أويس الجلائري سنة ٧٦٧ هـ ١٥٧
الحائر المقدس في العهد الصفوي ١٥٩
الوهابيّون والحائر الحسيني ١٦٢
منارة العبد ١٦٨

الفصل السادس

رأس الحسين عليه السلام

«١٧١ ـ ١٨٤»

وقفة مع ابن تيمية في كتابه رأس الحسين عليه السلام ١٨٠
المصادر والمراجع ..... «١٨٥ ـ ١٩٠»

* * *